

ذكريات

منتخبات من خطب وأحاديث ومقالات

لصاحب الدولة

لطفي بك الحفّار

الجزء الثاني

عني بجمعها ونشرها

وجيه بيضون

١٩٥٤ مطابع ابن زيدون بدمشق ١٣٧٣

ذكريات

منتخبات من خطب وأحاديث ومقالات

لصاحب الدولة

لطفي بك الحفار

الجزء الثاني

عني بجمعها ونشرها

وجيه بيضون

١٣٧٣ مطابع ابن زيدون بدمشق ١٩٥٤

مقدمة

كنا على ان نخرج هذا الكتاب في مجلدة واحدة لا أكثر ، ولكن استفاضة المادة وحرصنا على ان لا يفوت التاريخ شيء منها بصفتها حلقة متسلسلة في تطور البلاد السورية السياسي والاقتصادي ، أخذ بعضها برقاب بعض ليؤلف الحقيقة الكاملة ، كل هذا أرادنا على اخراج هذا الجزء الثاني مشتملا على الاحداث التي لابست بلادنا السورية العربية في شتى وجوه حياتها العامة .

وتاريخنا الحديث قد لابسته حوادث وأحاديث كثيرة لا يمكن اعتمادها بعد اذ غابت الحقيقة فيها وراء الاغراض ، ودُسّ فيها ماليس منها ، وقُصِد قصداً الى التشويه والتحريف ، وهذا مما يخلق الصعوبات في وجه المؤرخ حتى لا يدري كيف يوفي على الحقيقة الراهنة مبتغاه من عمله .

ومن الخير ان يكون في هذه « الذكريات » مرآةٌ مجلوةٌ لتاريخنا في أحداثه العامة مدى نصف قرن ، مما يؤلف مادّةً خصبة للتاريخ والمؤرخين في الوضع السوري العربي منذ أواخر العهد العثماني ، ايام عبد الحميد والاتحاديين الى يومنا هذا . وانها لمادة صادقة ناصحة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وتترجم عن الحقائق في وجهها السافر الذي لا تغشّيه الاغراض والاهواء . وذاك ما يتطلّبه التاريخ

ايوفي على الغاية من تأدية واجبه تلقاء الاجيال الصاعدة حين تتهاوى الشقة بين الاحداث في وقائعها وبين كتابتها واثباتها كما هي على وجهها الصحيح وخالص جوهرها .

زد على ما تقدم ان في هذه « الذكريات » من العبر والخطط السياسية والاقتصادية والقومية ما يلقي على حياتنا انواراً كاشفة تجعلنا على بصيرة من أمرنا في حاضرنا ومستقبلنا .

وما أحوجنا الى الذكرى والحياةُ تعدُّ بنا بحوادثها وأهوالها الزاخرة فتنسينا الكثير مما ينبغي ان لا ننساه لأنه خير درس لنا في جهادنا نحو الاصلاح والتقدم .

وغاية المأمول ان نكون قد قمنا بالواجب نحو الامة ونحو التاريخ في اخراج كتابنا هذا كاملا حاملا ما يعيد الى الاذهان ماضينا وما يعود علينا بالتبصرة مما ينير أمامنا سبيل الكفاح ويقوي عزائمنا على الثبات في الجهاد ، ويعيدنا سيرتنا الاولى عزاً ومجداً .

ولقد رأيت ان انقل في مقدمة هذا الجزء الثاني رأي العراق في صاحب هذه (الذكريات) ، وهو ما كتبه الاستاذ رفائيل بطي صاحب جريدة (البلاد) ونائب بغداد .

رجيه بيضون

ثلاثة رجال

جاء في جريدة البلاد العراقية الصادرة بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٠ لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ رفائيل بطي مايلي حرفياً :

سياسي واقتصادي وأديب ، صفات تتناكر احياناً وتتعادى أحيانا ولكنها في فخامة الاستاذ لطفي الحفار منسجمة في جميع الاحيان ويبلغ فيها أبعد مدى .

رافق الحركة العربية في خطواتها الاولى فكان احد مؤسسي جمعية [النهضة العربية] سنة ١٩٠٦ .

ولما احتل الافرنسيون دمشق كانت اول معارضة جوبهوا بها معارضة جمعية التجار التي ألفها فخامته لمقاومة الاتفاقية الجمركية بين سوريا وفلسطين وقد حسب الفرنسيون لهذه المعارضة اكبر حساب ورأوا بها نذر حركة سياسية عنيفة فألغى الفرنسيون الاتفاقية وتزعم السياسة الاقتصادية في سوريا فقاوم الشركات الاجنبية بالعمل المنتج ونهض بمشروع مياه الفيجة وهو أضخم مشروع اقتصادي عرفته دمشق فوفق الى تأسيس رأسماله الذي تجاوز ٣٠٠ ألف جنيه ذهباً من مال وطني وبادارة وطنية عرفت بالنزاهة والاخلاص وكانت من اسباب نجاح المشروع .

ثم جاءت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ فأبعدته عن الحركة الاقتصادية فأخذ يكافح في مختلف الميادين ووضع اثناء الثورة ميثاقا للأماني

القومية اعترف به المندوب السامي الفرنسي الكونت ده جوفنيل واعلن اعترافه به رسمياً في دمشق فتألفت على أثر ذلك وزارة الداماد احمد نامي ودخلها الاستاذ الحفار والاستاذ فارس الخوري للاشراف على تنفيذ الميثاق القومي ورفضت وزارة الخارجية تنفيذ الميثاق واستقال ده جوفنيل على اثر ذلك واكفهر الجو بين الوطنيين والافرنسيين فاستقال فخامته هو ورفيقه الاستاذ الخوري من الوزارة وفي اليوم الثاني لاستقالتها اعتقلا ونفيا الى الحسجة في منطقة الجزيرة فبقيا فيها عامين كاملين مع رفقائهم الآخرين سعد الله الجابري ، وفوزي الغزي ، وحسني البرازي ، وأديب الصفدي ، وبدر الدين الصفدي .

وفي سنة ١٩٢٨ دعا المندوب السامي الى انتخابات جمعية تأسيسية لوضع الدستور السوري وفاز الوطنيون في انتخابات هذه الجمعية التأسيسية التي وضعت الدستور السوري ولكن الفرنسيين أصروا على حذف المواد الست – وهي مواد تشمل سيادة الامة الداخلية والخارجية – وتقدم المندوب السامي الى الجمعية بهذا الاقتراح الغريب – فألقى الاستاذ الحفار خطابا صادعا وكان اول المتكلمين من النواب الذين ردوا طلب الافرنسيين بقوة واعان وطرح اقتراح المندوب الافرنسي على المجلس فرفض فحل الفرنسيون الجمعية التأسيسية .

وفي سنة ١٩٣٢ انتخب فخامته نائباً وترأس اللجنة المالية في البرلمان ووضع في هذه الفترة قواعد مالية ثابتة للدولة كانت محل اعجاب علماء التشريع المالي من الاجانب والوطنيين .

وفي سنة ١٩٣٦ ادار فخامته حركة الاضراب السوري وقام بتأمين نفقة ٧٠٠ سجين مع أسرهم هو واخوان له ولما انتهى الاضراب برجوع

المنفيين الوطنيين واعتراف فرنسا بحق سوريا بالسيادة والوحدة والاستقلال وسفر الوفد السوري المفاوض الى باريس بقي فخامته هو وصاحب المعالي السيد شكري القوتلي لادارة الحركة الوطنية في غياب الوفد وكان الموقف دقيقاً .

وولي الحفار وزارة المالية ثم استدعاه فخامة رئيس الجمهورية السورية بعد استقالة مردم بك الى تأليف الوزارة الكتلوية الثانية فألفها ولكنه لم يلبث ان اصطدم بالمندوب السامي الفرنسي المسيو بيو اصطداما عنيفاً ورد طلباته المتعددة التي تتعلق بالسيطرة على الجزيرة واللاذقية وجبل الدروز بالرغم عن المغريات العديدة التي حاولوا التأثير بها عليه عبثاً فكان الطود الشامخ في الدفاع عن حق بلاده وتأييد السياسة القومية فاستقال فخامته من رئاسة الوزارة في كتاب قوي صريح القاه في المجلس النيابي كان له أبلغ تأثير في الامة ورجع يقود هو واخوانه الامة في ميدان جهادها . هذا هو احد الرجال الثلاثة الذين ترحب بهم العراق وتضمهم الى قلوبها .

في حفلة المولد النبوي

الخطاب الذي ألقاه في الجامع الاموي بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٣٥ والذي نشرته جريدة الايام في ١٦ منه .

(الذكرى الخالدة)

اشرنا في عدد المولد الى خلاصة الخطاب الذي ألقاه معالي الاستاذ لطفي الحفار في المسجد الاموي والى القراء نصه :

ايها المسلمون :

اننا نهنئكم بهذه الذكرى الخالدة ونرجو الله ان يكون لنا منها عبرة نستفيد منها ولا نكتفي فيها بمثل هذه المظاهر التي لا يكون منها نتائج عملية .

اننا في هذه الذكرى نستعيد مجد العرب والاسلام ونستعيد ايضاً ذكرى هذا الرسول العربي القرشي الذي يجب ان يكون لنا من سيرته القدوة الصالحة ، فالموالد النبوية واحتفالاتها القائمة لا تفيدنا فائدة كبرى اذا لم نتقيد بسيرة صاحبها صلى الله عليه وسلم .

هذا الرسول الكريم الذي قام باعباء رسالته بوحي من الله وتأييد منه استطاع ان يقوم بها بقوة ايمانه قبل كل شيء ، قوة ايمانه الكامل الذي نفذ الى قلوب معارضيه ومقاوميه من اهله وعشيرته وصحبه الاكرمين .

قام بها بعد ان لاقى الأَلاقي والمصاعب وبعد ان قاومه الكثيرون حتى من هم اقرب الناس اليه فاضطر الى الهجرة فراراً بدينه ودعوته واعانه من مكة الى المدينة المنورة ، ولكن نفراً لم يكن كثير العدد من المهاجرين والانصار الذين آمنوا به وبدعوته ايضاً وكانوا معه قلباً واحداً استطاع بقوة ايمانه فقط وتأييد الله لهذه الدعوة التي أرسلها لخير البشر ان يدك في زمن يسير معالم الرومان في هذه البلاد وآثار الاكاسرة والفرس في العراق ، استطاع هؤلاء العرب الفاتحون ان ينشروا لغتهم في اقاصي المعمورة في مدى ربع قرن متغلبين على جميع الصعاب التي قامت في طريق دعوتهم فكانوا سادة العالم وقادة الهدى .

قال الله في كتابه العزيز (ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) فهل نحن ايها المسلمون الذين تستمعون اليّ في هذا المسجد — مسجد بني امية — الذين أسسوا ملكهم الضخم ، والذين نشروا مدنيتهم وثقافتهم في الاندلس ، هل نحن على شيء من هذه العزة التي وعد الله بها المؤمنين ، صدق الله وعده وان الله لا يخلف الميعاد ، ولكننا نحن الذين أخلفنا وخالفنا ، نحن الذين تركنا تعاليم هذا الدين الاسلامي واتبعنا أهواءنا وشهواتنا ، انني اقول لكم واقسم بكل مقدس لدينا جميعاً اننا لو اتبعنا قليلا مما دعانا الله ورسوله اليه من الصدق والاخلاص في القول والعمل لما كان شأن المسلمين ما ترونه الآن .

ها نحن نتلب اليوم في عقر دارنا وهام المطايا يمهدون السبيل لجميع مايراد تنفيذه في هذه البلاد ، ان هؤلاء النفر اشد ضرراً من الاجنبي ، ان الاجنبي لو وجد امامه رجالا يناصحونه القول ويبتعدون عن شهواتهم واغراضهم لما أقدم على التمادي في غواياته واهوائه .

انا لا أنكر ان هنالك يقظة عامة لدى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها تستفزهم للتحرر ، ولكني أقول لكم وأصارحكم ان هذه اليقظة يجب ان تتوجه قبل كل شيء الى هؤلاء الذين يبيعون دينهم وضمائرهم ويكون من ورائها القضاء على مستقبلكم ومستقبل اولادكم وأحفادكم . اننا لو عاملنا هؤلاء بالنفرة والاعراض على الاقل والمقاومة الادبية التي لا أقول بغيرها لما تجرأ غيرهم أن يكون مطية للأجنبي واغراضه.

هنالك اخطار ايها المسلمون تحيق ببلادنا الآن وتحاك دسائسها من وراء ستار وكأنه لم يكفنا ما اصابنا من تجزئة واضرار سياسية واقتصادية تعاني نتائجها البلاد بحرارة ، لم يكتفوا بكل ذلك ولكنهم يفكرون بتجزئة جديدة تقطع اوصالكم وتقضي على الامل الباقي اذا كان هنالك من امل .

انهم يريدون ان يلوحوا بنظام الولايات المتحدة على ان تكون كل ولاية مستقلة استقلالا اداريا وماليا ومحليا يريدون بذلك قبل كل شيء اضعاف المراكز الرئيسية للعمل السياسي والوطني القائم في البلاد وهما دمشق وحلب انهم يريدون ان يجعلوا من دمشق ولاية لا صلة لها مع حمص وحماه كما انهم يريدون ان يجعلوا من حلب ولاية لا صلة لها باقضيتها القريبة منها ، انهم يريدون ان يجعلوا من اسكندرون وانطاكية ولاية قائمة بنفسها ، ولقد علمت انهم يريدون اقتطاع بعض الاقضية الغنية من حلب والحاقها باسكندرون ، ان توفقهم في اتمام هذه التجزئة الجديدة يقضي قضاء مبرما على كل سيطرة للمركز وعلى الادارة وعلى الجباية حتى وعلى التشريع ، ربما هناك من يقول بان حق التشريع قد يعطونه لمجلس الولايات التي يريدون انشاءها ومثل هذا المجلس هل تخرج عن اوامر المستشار .

هذه نكبة جديدة ايها السادة ، حفزتني لان اقف بينكم هذا الموقف انبهكم الى ما يراد بكم . لقد اعتادت دمشق ان تقف في الحادثات الكبرى مواقف حاسمة واننا نحن الذين شرفتموهم بثقتكم سنقوم بواجبنا في هذا الموضوع واعتقد انكم انتم ايضاً ستقومون بواجبكم وسيقوم كل بلد سوري ايضاً بواجبه لمقاومة هذا الحادث الذي نشعر جميعاً باضراره ونتائجه السيئة واني اقول الآن ان ذلك لا يتم اذا كانت سيرة هذا الرسول الكريم الذي نحتفل بذكراه قدوة لنا في عملنا وجهادنا .

ايها السادة اخواني :

كونوا صفاً واحداً ونقوا قلوبكم من ادران الغل والتباغض والحسد واعملوا لوجه الله ولدينكم ولمستقبلكم عملا مخلصاً وكونوا اشداء كما وصفكم الله وكونوا رحماء فيما بينكم ليحقق الله وعده .

احذروا الاجنبي واعوانه وكونوا يقظين منتبهين لما يبيت من خطط ضارة ماديا بنا وباولادنا وما يقوم به نفر لا يتقون الله من استثمار خيراتنا ووضع الاشواك في طريق نهضتنا او المؤامرات الخطرة على مستقبل بلادنا . كل ذلك يدعونا لان نكون صفاً واحداً وكلمة واحدة وراء دعوة الرسول الاعظم التي دعانا الى الوحدة والتوحيد والسلام عليكم .

مَوقفُ الوَطنيّين مِن قضيةِ المَوادِ السّتّ

نشر في جريدة (النهار) البيروتية الصادرة
بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٣٥

(هل افرط الوطنيون او فرطوا ؟)

كان للمقالات التي عقدها صاحب « النهار » عن الفرص التي عرضت الوطنيين اثناء القضية السورية صدى بعيد في الاندية السياسية ، وقد تولى الزميل صاحب « القبس » مناقشة ما جاء في هذه المقالات ، كما ان رجال الكتلة الوطنية تناولوها في اجتماعاتهم بالحديث .

وقد اجتمعنا الى معالي لطفي بك الحفار نتحدث في شتى المواضيع ، ولما مال الحديث بنا ناحية المقالة والمناظرة التي قامت من حولها ، تحدث الينا لطفي بك عن موقف الوطنيين من قضية المواد الست في الجمعية التأسيسية حديثاً استأذناه بنقله لقراء « القبس » و « النهار » معاً فتلطف بالقبول . قال لطفي بك :

... اما القول بان الوطنيين اضاعوا فرصاً عديدة سنحت لهم ، فهذا قول فيه مبالغة ، فالوطنيون كانوا دائماً يقدرون الظروف حق قدرها ويزنون ما يعرض عليهم بميزان المصلحة العامة المجردة وينظرون اليها بمنظار يبين حقيقتها في الحال والمستقبل .

كيف طلبوا حذفها لا تأجيلها

اما قضية المواد الست فاليك حقيقتها :

بينما كانت لجنة الدستور تقوم بعملها بمطلق الحرية وتدرس مواده وما تضمنتها من حقوق وواجبات وتعمل بصورة دقيقة ليكون الدستور كاملا كافلا للحريات العامة وعاملا للتوازن كيلا تطغي السلطة التشريعية على السلطة التنفيذية وبالعكس . ومن المعلوم ان الدستور ومواده الكفيلة بضمان السيادة والاستقلال والحريات يعتبر بمثابة قبس تشع منه انوار الامة في مستقبلها . وبعد ان تم وضع الدستور وكان كافلا لجميع الحريات التي تتطلبها الامة في وضعها الحاضر سياسياً وادارياً ومالياً ، لم يشعر اعضاء لجنة الدستور والمجلس التأسيني نفسه الا والسلطة تتدخل في آخر وقت وتتقدم بطلب « حذف » المواد الست لا تأجيلها كما يقول البعض ، وهذه المواد هي التي تتعلق بمظاهر سيادة الامة وبسلطة رئيس جمهوريتها ، فهم يريدون من وراء حذفها تحكيل السيادة في التشريع والتمثيل الخارجي واستعمال حقوق العفو لرئيس الجمهورية ووضع القوانين الادارية والمالية وتأليف الجيش الوطني وفي الجملة يريدون تعطيل معالم الدستور تعطيلا تاما ، ولكنهم لجؤوا الى فكرة تأجيل البحث ليجعلوا العرض مقبولا لا تنفر منه الاسماع .

لم نعالج الموقف بالعواطف

على اننا في هذا الموقف الدقيق لم نعالج الموقف بعواطفنا بل عالجناه باقصى مايكون من الحكمة والرزانة والتعقل وعالجناه بالحجة والبرهان الدامغ باعتراف الافرنسيين انفسهم وفي مقدمتهم المسيو موغرا . واذكر

اني قلت في خطاب ألقيته في تلك الجلسة التاريخية قولا لا أثر فيه للعاطفة المتحمسة المتقدة التي لاتقدر عاقبة ولا تعرف غير الاندفاع ، قلت ان ارجاء البحث في المواد لا معنى له غير الحذف واذا حذفت هذه المواد من الدستور فماذا يبقى منه ؟ انه يصبح كالهيكل العظمي لا لحم فيه ولا دم !

قلت ان الجمعية التأسيسية لا تستطيع الاجتماع في كل حين فليتركونا نسن دستورنا .

قلت ان المادة ١١٠ تنص على ان الجيش الوطني سينشأ بقانون خاص فهل معنى هذا اننا سننشيء جيشاً لجباً يقاوم ويحارب فرانسا ؟ قلت هل تخل مادة الوحدة بالعهود الدولية ؟

طلب من وزارة الخارجية

بعد الرجوع الى المواد التي طلب حذفها يصبح من الغلو والاغراق في القول ان يقال بان هذه القضية عولجت معالجة عاطفية !

ولقد شعرنا اثناء مذاكرتنا التي دامت الليل بطوله قبل هياج تلك الجلسة بان الاصرار على حذف هذه المواد كان منشؤه وزارة الخارجية نفسها ولم يكن المسيو بونسو والمسيو موغرا من هذا الرأي .

نكبة تفوق المادة ١١٦

والاستاذ جبران التويني الذي رافق هذه القضية في جميع أطوارها والذي يعتبر من اقدر كتاب العربية الذين يشعرون مع امتهم الشعور الوطني الاستقلالي الحق يعتقد معي اعتقاداً جازما فيما اظن انه لو جارت

الجمعية التأسيسية طلبات وزارة الخارجية في باريس لكان من وراء ذلك نكبة على الدستور منشؤها اعتراف ممثلي الامة الذين انتخبتهم لوضعه ، نكبة تفوق المادة ١١٦ التي وضعت من طرف واحد ولم يكن للامة بها رأي او علاقة بل انها قابلتها بالاستنكار والاحتجاج في كل مناسبة .

هذه مسألة دقيقة تبدل وجه الامور وهي ناحية اعتراف ممثلي الامة بطلب ما انزل الله به من سلطان ، والى هذه النقطة الدقيقة أوجه نظر صديقنا العزيز الاستاذ القدير صاحب « النهار » الذي لا أشك في انه بعد اطلاعه على محضر هذه الجلسة وتدقيقه الظروف التي وقعت فيها وتقديره الناحية الحقوقية التي نفتقر اشد الافتقار الى التسلح بها في كل حين ، يقدر معنا الموقف في معناه الحقوقي التشريعي الذي له علاقة وثيقة في تقرير حق الامة في الحرية والاستقلال .

سوريا لم تسيء فهم مصالحها

لقد برهنا نحن الوطنيين امام الرجال الفرنسيين في مواقف مختلفة وفي ظروف سياسية كثيرة ان البلاد السورية لم تسيء فهم مصالحها الحقيقية ولم تترك ساعة الا وحاولت فيها انتزاع موافقة الجانب الفرنسي على مطالب البلاد الحقة بأساليب سياسية مرنة ، لو تجاوزت حدها لخرجت عن غايتها ، فالوفود التي كانت ترسلها البلاد الى المفوضين السامين السابقين وكنت مشتركا بها كلها ، ومفاوضات المسيو دو جوفنيل ايام الثورة وكنت احد رجالها ، والرسالة التي ذهبنا بها حتى مقر الثورة في «عرى» بجبل الدروز واجتمعنا فيها الى زعماء الثورة والوطنيين ثم وضع البرنامج الوطني مع المسيو دو جوفنيل واعلان موافقته عليه باسم فرنسا واستقبال

الشعب السوري له استقبالا لا نظن ان دو جوفنيل ينساه في تلك الظروف العصيبة ، ثم ذهابه الى فرنسا لأخذ موافقة الوزارة الخارجية على البرنامج وعدم تمكنه من ذلك واستقالته على الاثر ، ثم استقالتنا نحن وسوقنا الى المنافي ، ثم مجيء المسيو بونسو ومحاولاته العديدة في الانتخابات الاولى والثانية وما تخللها من مفاوضات وأبحاث لا يتسع لتفصيلها نطاق هذا الحديث - كل ذلك يدل على ان الجانب السوري لم يكن متأثراً بعواطفه في العمل على خلاص بلاده من سيطرة الاجنبي واستخلاص حقه في الحياة الحرة ولم يدع فرصة سانحة الا حاول الاستفادة منها ، ولكنه لم يجن الا الحنظل والعلقم .

* * *

وبعد ، هذه كلمتي المقتضبة اردت بها ان اوجه نظر الصديق صاحب « النهار » الى وقائع ثابتة ، وربما عدت الى ابداء رأيي في معالجة الحالة السياسية في سوريا في فرصة قريبة بعد ان كوّنت رأياً مستنداً الى الوقائع والحوادث الماضية والحاضرة فيما يجب عمله لخدمة قضيتنا الوطنية في موقفها الحاضر .

دعوة صريحة قائمة على البذل والتضحية

نشرته جريدة (القبس) الصادرة بتاريخ
١٧ حزيران ١٩٣٥

بين هذا الركود الذي يسود الحركة الوطنية في سوريا اليوم والسكون المخيم على ميدان الكفاح والعمل الوطني الى أمد ، تبرز مباحثات ومناقشات « هادئة » في الصحف وغير الصحف عن مصير القضية السورية المقبل بعد هذه الفترة الغامضة ، ويتطلع القوم الى وسائل جديدة للعمل السياسي رغبة في انقاذ البلاد من مآزقها الحاضرة ، وفي تحقيق أمانيها الوطنية الغالية ، التي جاهدت لأجلها منذ عشرين عاما وضحت في سبيلها باعز شيء من مال وارواح .

وسائل جديدة للعمل

كل سوري وكل مواطن كهلا كان ام شابا ، مقيما ام نازحا مغتربا ، يردد هذه الكلمة ويهتف لها ويدعو الى التفكير فيها وبحثها ، ثم يود لو يحمل مصباح « ديوجين » للتفتيش عن هذا الشيء الجديد الذي ينبغي للوطنيين العاملين والشباب العربي السوري وللأمة السورية باجمعها ان تأخذ به وتمضي في اتخاذه لتحقيق غاياتها القومية المثلى ، بعد ان سدت دونها المسالك والسبل من كل ناحية ، وفترت الهمم ، وتخاذلت العزائم عند كثيرين ، حتى عند الشباب الذي لا يصح ان يستخذي او يستكين !

حديث لطفي بك الحفار

وكنا قد نشرنا في عدد الخميس الفائت حديثاً لمعالي الاستاذ لطفي بك الحفار ادلى به تعليقاً على المحاورات التي دارت بين صاحبي « النهار » البيروتية و « القبس » عن سياسة الوطنيين السوريين وموقفهم في الحرص على حقوق البلاد ، وعلى تصريح الوطني الكبير الاستاذ سعد الله الجابري بشأنها ، وقد وعد لطفي بك يومئذ بان يدلي الينا بحديث آخر ، عن موقف القضية الوطنية الحاضرة والوسائل الجديدة الواجب اتباعها والتوسل بها لتحقيق أماني الامة فرأينا ان نخصص هذا الحديث للعدد الاسبوعي الممتاز وأوفدنا مندوبنا الخاص الى لطفي بك الحفار فنقل الينا مايلي ، قال :

قابلت معالي الاستاذ لطفي بك الحفار نائب دمشق في مكتبه وذكرت له وعده « للقبس » في بيان الوسائل التي يراها ضرورية لنجاح الحركة الوطنية وبلوغها اهدافها القومية ، فابتسم وقال بعد تردد :

عودة الى الماضي

في وسط هذا الجمود المخيم على طبقات الشعب من جراء الضربات النازلة عليه اقتصاديا وسياسياً ، أرى انه لا بد من انتهاج خطة جديدة للعمل ، لعل الناس لم يألفوا بعد دعوة منا لمثلها . ذلك اننا كنا منذ بضع سنين ، حينما ندعو الناس للاهتمام بقضيتهم الوطنية ، نسمي لافهامهم مرامي هذه القضية ، وعلاقتها بهم وبمستقبل اولادهم واحفادهم وبجميع ملابسات حياتهم ، وكنا نكتفي منهم بالتأييد والعمل معنا ضمن الحقل الوطني ، ولا يخفى ان القضية الوطنية كانت تستدعي

جهوداً واعمالا ونفقات طائلة في الداخل والخارج ، ظللنا نقوم بهـا نحن افراد الوطنيين العاملين بدون ان نكلف احداً تضحية اي شيء من وقته وتفكيره وماله لمعونتنا .

اما الآن ...

اما الآن فقد بلغت الروح التراق ولم يبق في قوس الصبر منزع ، اذ تمادى القائمون على امورنا من اعوان الاجنبي في تطبيق خططهم فكان من أدنى نتائجها ذلك الضيق العام المستفحل في البلاد ، وهذا الشعور العميق الذي فهم منه جميع الناس اليوم قيمة المبادىء الوطنية ، ومعنى الحياة الاستقلالية وحاجتهم اليها ، كما ادركوا نكبات ضياع الاستقلال على جميع مرافق الحياة ، فقد اصبح الشعور الوطني القوي عاماً وأخذ الكثيرون يتساءلون عن الخروج من هذه الحالة التي تتخبط فيها البلاد ، بينما المسخرون يعملون لتنفيذ مآرب وغايات تنافي المصالح العامة سواء أتلاشت الامة ام لا ، وسواء مات ما يشعر به كل فرد من المحافظة على مرافق البلاد الزراعية والصناعية والتجارية ام لم يمت ، والدفاع دون كرامته وحريته .

أجل ، لقد مضى هؤلاء في اعمالهم وسياستهم وهم لا يبالون اذا ما قضي على حياة الامة الاقتصادية والوطنية ، ولكن الناس يشعرون بمبلغ هذا الضرر ويتساءلون عما يجب عمله لتلافي الاخطار المحدقة !

ضرورة العمل المشترك

في هذه الأزمة التي استفحلت في البلاد واصبح كل فرد يشعر بها ، فكرت طويلا في الامر ، فلم اجد غير وسيلة واحدة للعمل والنجاة مما نحن فيه ، ولانقاذ الامة من سقوطها الاخلاقي في الدرجة

الاولى وهي : العمل المشترك بين جميع ابناء الامة بلا استثناء وتضافر جهودهم عليه تضافراً تاماً ، اقول العمل المشترك لان العاملين الآن في الحقل الوطني قلائل بالنسبة لمجموع الامة .

العمل الداخلي اولا

وينقسم هذا العمل الى قسمين : عمل داخلي وآخر خارجي .

اما العمل الداخلي فهو توحيد جهود الامة توحيداً مطلقاً عاما في مكافحة كل مشروع ضار ومقاومة من يعمدون للقضاء على روح الامة الوثابة ونحو فكرة النضال والمقاومة لحفظ كرامة الامة وثروتها من الضياع ، والواجب الوطني يدعو كل مفكر للاشتراك في الكفاح ضد هذه الاساليب ولتوحيد المعارضة الوطنية وقيامها في جميع المسائل الطارئة على البلاد للحيلولة دون هذا التدهور المخيف المستمر في جميع نواحي حياة البلاد .

ولا مجال هنا للتبسط في هذا العمل الداخلي لأن ذلك لا يفيد الا بعد ان يتجه الجميع نحو الفئة الصالحة التي اثبتت في ماضيها وفي جميع ميادين جهادها انها الفئة المخلصة العاملة لخير هذه الامة ، وعلى هذه الفئة التي تضم خيرة الرجال المجربين الذين ناضلوا وضحوا بكل مرتخص وغال وعلى الشباب العاملين والنخبة الصالحة من ابناء البلاد ان تعين الخطط المناسبة لهذا العمل وعلى الامة ان تكون مؤيدة لها في مسعاها ودعوتها صفاً واحداً لا يتزعزع لاي حادث .

العمل الخارجي في اوربا

هذا ما يتعلق بالقسم الاول اي العمل الداخلي ، واما القسم الثاني

وأعني العمل الخارجي فانه لا بد لنا من القول ومن مصارحة الامة بانه لا مجال للتردد بعد هذا الانتظار الطويل من البذل المادي العام لتأليف وفد وطني يعمل لخدمة القضية في مختلف الاوساط الاوربية من اطلاعها بتفاصيلها الوافية كما ارى وعلى حقيقة مسائلنا الوطنية والاقتصادية ، وهذا لا يكون طبعاً الا بواسطة وفد وطني يسافر ويعمل لنشر الدعوة السورية في فرنسا خاصة وفي البلاد الاوربية عامة ، واظن اننا قد علمنا بعد التجارب ان قضيتنا الوطنية غير مجهولة لدى الرجال الرسميين الذين يعملون وراء مكاتبهم في غرفهم الرسمية ليطلعوا على مختلف التقارير التي ترد اليهم عن احوال البلاد السياسية والاقتصادية ولكنهم لا يتزحزحون عن أساليبهم ولا يعملون لانقاذ البلاد عما هي فيه مع انهم على اطلاع تام على كل ما تعانيه ونشكو منه .

على ان هذه القضية هي مجهولة تمام الجهل عند الرأي العام الاجنبي ولا بد من الدفاع عن القضية السورية في مختلف الاوساط الصحفية والنيابية ولدى رجال الاحزاب وبواسطة المحاضرات والخطب والحفلات التي نقيمها لبسط جميع شؤوننا العامة للرأي العام الاوروبي وايقافه على كل ما نعانيه .

مكتب دائم للدعاية

وربما دعت الحاجة ايضاً الى انشاء مكتب دائم للدعاية السورية في باريس واصدار صحيفة وطنية بلغة القوم لاجل افهام الشعب الفرنسي حقيقة حالة البلاد ، وهو ما يجهله المكلف الفرنسي جهلا تاما مع الاسف . واذا لم نستمن باستثارة الرأي العام الفرنسي وغيره الى مناصرتنا وافهامه حقيقة احوال البلاد ومطالبها ، فانه لا مجال للخلاص من المشاكل

والأزمات المتنوعة التي تتخبط فيها سوريا الآن .

الحاجة الى الدعاية في فرنسا

ولست أحدثك عجباً اذا قلت لك بهذه المناسبة تدليلا على حاجتنا الى الدعاية في فرنسا ان المسيو « ابستيني » الذي بدأت (القبس) وبعض الصحف تعرب له مقالاته عن سوريا ، ان هذا الصحافي الفرنسي قد زارني اثناء مروره بدمشق ومكث عندي اربع ساعات فاطلعته خلال هذا الاجتماع على بعض احوال البلاد السياسية والاقتصادية السيئة واثبت له بالارقام والوثائق اضرارها على البلاد فكان لا ينتهي عجبه فيها ابداً، ويقول :

« مالكم تسكتون ؟ ان الرأي العام الفرنسي لا يعلم شيئاً مما تقولون ، ولا يدرك هذه الاساليب التي تطبق في بلادكم ويكلف هو بتأييدها والدفاع عنها دون ان تعود بمنفعة الا على افراد قلائل من رجال المال والشركات !

وكنت استمع الى الصحفي الفرنسي ولا أستطيع ان اقول له : اننا لم نتمكن من ارسال وفد مزود بالثقة التامة والمعونة المادية الوافية للقيام بهذا الواجب الوطني ؟!

كيف يصورون المعارضة

ولطالما صوروا رجال المعارضة الوطنية في البلاد بانهم اعداء فرنسا الالداء ، وطالما وصفوا الرجال الذين طالبوا الامة الفرنسوية بتحقيق مواعيدها وعهودها بانهم مشاغبون أفاقون لا يريدون غير الاثارة والشغب واقلاق النظام ، حتى انه في ابان الثورة السورية ، تلك الثورة التي

كان زعماؤها ورجالها لاينشدون غير تحقيق الغايات الوطنية المثلى ، وكان الفرنسيون انفسهم يعترفون بذلك علناً ، أخذ بعضهم يصور هؤلاء الزعماء الثائرين بأنهم اشقياء وقطاعو طرق يعملون للسلب والنهب ، كل ذلك لتشويه سمعتهم وكرامتهم والنيل من قيمة جهادهم ومطالبهم النبيلة ، ولم يتورعوا عن الصاق كل فرية بهم .

وكم وصفوا بعد هذا رجال المعارضـــة في المجالس النيابية ايضاً بالشغب ، وقالوا انهم يريدون القضاء على النفوذ الفرنسي في البلاد ، ويحاولون هضم حقوق الاقليات والاعتداء على حرماتها . وهم يعلمون جيداً ان الوطنيين المعارضين كانوا في جميع مواقفهم يصرحون بانهم طلاب تفاهم واتفاق ، على شرط الاعتراف بحقوق الامة وسيادتها واستقلالها في تشريعها وادارة امورها وتنظيم اموالها وجماركها .

حرص الامة على حفظ حقوق الأقليات

ولطالما صرح رجال الامة علناً باحترامهم لحقوق الاقليات والاتفاق مع أبنائها اتفاقاً تاما ، حتى اننا وضعنا القيود الواجبة للمحافظة على حقوق هذه الاقليات في الدستور الذي سنته الجمعية التأسيسية الوطنية وأكدنا ذلك في جميع المفاوضات التي قمنا بها ، ومع كل هــذا لم يكونوا يحجمون عن التعريض برجال المعارضة الوطنيين ووصفهم في صحفهم وتقاريرهم بانهم لا يقبلون بشيء دون خروج فرنسا من البلاد نهائياً ، ولا يكفون عن مقاومتها وهضم حقوق الاقليات . وهم يحاولون بذلك اثارة الرأي العام الفرنسوي حتى يؤمنوا استمرارهم في خططهم الملومة بينما نحن لا نزال نحتج ونجتمع ونخطب ونضرب ونقوم بجميع

وسائل الاعتراض والاحتجاج دون طائل . وأستطيع القول بأن صدى هذه المعارضة لم يكن يصل الى الرأي العام الفرنسي ليكوّن له رأياً صحيحاً فيها ، واذا وصله شيء منها كان مشوهاً .

ناحية يجب أن نصرح بها

هذه ناحية جديدة للعمل لم تسمع الامة بعد من رجالها الوطنيين الدعوة الصريحة الواجبة اليها كما اصرح الآن بها ، على انني قد أحجمت كثيراً في حياتي العامة الماضية عن دعوة الامة الى البذل المادي في سبيل قضيتها الوطنية خشية دعاة السوء وأقاويل الذين اعتادوا تشويه عمل صالح يقوم في البلاد . ولكني أعلن الآن وأقول ان هذه الامة التي تخسر كل يوم الالوف من ثروتها المهددة بسبب الحالات المفروضة عليها اليوم ، ان هذه الامة يجب عليها ان تتلافى هذا الخسران المبين المتمادي بالبذل المادي الواجب ، واذا تقدمت الامة بجزء واحد من الالوف التي خسرتها وتخسرها لربحت قضيتها وتقدمت بها اشواطاً ، حتى ونحن في هذه الحال التي وصلنا اليها أخيراً .

فعلى الامة اذن ان تفكر بواجبها تفكيراً جدياً وتبادر لجمع مبلغ غير قليل تقدمه لرجالها الامناء لايفاد افراد منهم للعمل في فرنسا وغيرها لدى رجالها وصحفها وأحزابها وفي مختلف ميادين الدعاية السياسية في الاوساط الاوربية وان نبادر لتحقيق ذلك العمل الداخلي الموحد كما تقدم آنفاً والا فالخطب ما يزال جسيما والخطر لا يزال ماثلا يسير بالامة الى الوراء في جميع مناحي حياتها .

وهذا هو الواجب الذي ادعو اليه الامة وحينما نجد له جوابا عملياً

اعتقد اننا نكون قد خطونا الخطوات العملية في سبيل انقاذ بلادنا ونجاتها مما هي فيه . وهل ظفرت امة بحياتها الاستقلالية ونيل حقوقها الضائعة الا بالتضحية والبذل العام وبالعمل السياسي الخارجي الذي لا بد منه حتى لدى الامم القويـــة التي تبسط نفوذها في جميع النواحي السياسية !؟

وها نحن كلنا نرى جهود الامم الكبيرة تنصرف للدعاية اللازمة فيما تريد عمله فكم هي حاجتنا نحن الضعفاء الى مثل هذه الدعاية وهذا العمل الواجب داخلا وخارجا .

وانه بالرغم عما قدمته البلاد السورية من الضحايا في النفوس والاموال سواء كان ذلك في ثورتها الكبيرة عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ او في مواقفها الوطنية الرائعة فان ذلك لم يكن له الاثر الكافي لدى الدوائر الاجنبية سواء كان ذلك لدى عصبة الامم او لدى الاحزاب الافرنسية على اختلاف مناهجها ذلك لان دعايتنا في الخارج كانت ولا زالت ضعيفة وغير مسموعة بالنسبة لحقائق الاوضاع السورية وجهادها وتضحياتها العديدة مع الاسف الشديد .

(الإيمان - بمناسبة ذكرى المولد النبوي)

نشرته جريدة (فتى العرب) في عددها
الخاص بمناسبة ذكرى المولد النبوي ١٩٣٦
بناء على طلب صاحبها المرحوم الاستاذ معروف الارناؤوط

تسلل في الليل البهيم سبعون رجلا من الانصار ومعهم امرأتان ليجتمعوا الى صاحب هذه الدعوة الجديدة « محمد » صلى الله عليه وسلم وليستمعوا له .

وكانوا تواعدوا معه في العقبة فجاءهم بعد مضي ثلثي الليل كي لا يراه احد من قريش ولا يرام احد فيردونهم عن اجتماعهم . وكانت قريش تقول له في ابتداء دعوته دع الصبأة واعلم ان ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة وان احق من اخذك فحبسك بنو ابيك وان اقمت على ما انت عليه فهو ايسر عليهم من ان تلب بك بطون قريش وتعدم العرب فما رأينا احداً جاء على بني ابيه بشر مما جئتم به .

جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه العباس بن عبد المطلب وهو كافر به ، ولكنه احب ان يستوثق لابن أخيه فكان اول من تكلم مع هؤلاء الانصار قائلا لهم :

يا معشر الخزرج ان محمداً منا حيث قد علمتم في عز ومنعة وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم فان كنتم ترون انكم تفون له بما دعوتموه اليه ومانعوه فأنتم وذلك ، وان كنتم ترون انكم مسلموه فمن الآن

فدعوه فانه في عز ومنعة ، فتوجه الانصار الى محمد وقالوا له تكلم يارسول الله وخذ لنفسك وربك ما احببت فتكلم وتلا القرآن . ورغب في الاسلام وقال : والله لا ازال أجاهد على الذي بعثني الله بـه حتى يظهره الله .

فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه ذرارينا يارسول الله فنحن والله اهل الحرب فاعترض الكلام ابو الهيثم بن التيهان وقال يارسول الله ان بيننا وبين الناس حبـالا وانا قاطعوها فهل عسيت ان اظهرك الله عز وجل ان ترجع الى قومك وتدعنا .. فتبسم رسول الله وقال : بل الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وأنا منكم ، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم . فقال لهم العباس ابن عبادة الانصاري يامعشر الخزرج اهل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ .. انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا انهكت اموالكم واشرافكم مصيبة قتلا سلمتموه لمن الآن فهو والله خزي الدنيا والآخرة . وان كنتم ترون انكم وافون له فخذوه فهو والله خيري الدنيا والآخرة . قالوا : انا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف ..

هؤلاء الانصار هم الذين أجابوا داعي الله وكانوا من السابقين الاولين . بايعوا رسول الله على التضحية في الاموال والرجال وكانوا يقاومون اهل عشيرته والاقربين اليه ويحمونه دونهم . جاءتهم جـلة قريش يقولون لهم : انكم جئتم الى صاحبنا تبايعونه على حربنا وانه ما من حي من احياء العرب ابغض الينا ان تنشب بيننا وبينهم الحرب منكم . ولكن الانصار بعد ان بايعوا رسول الله رجعوا الى المدينـة

يترقبون الاحداث ويستمدون لها انتصاراً وتأييداً لرسول الله حتى هاجر اليهم فكانوا عدته ورجاله الذين استقبلوه ومهدوا له الامر في المدينة .

اقام رسول الله في مكة عشر سنين على اصح الروايات يدعو قومه وبني عشيرته للاسلام والهدى ولا يلقى منهم الا الاعراض والارهاق وكان يكرر تذكير القوم بالدعوة الحسنة ، والصبر والحكمة ، ويقول لهم : يابني عبد المطلب والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به ، قد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فكانوا يضحكون ويسخرون وينأون عنه وهم معرضون .

حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك اجمعوا على مقاومته فحماه عمه ابو طالب وقام دونه ومشت قريش اليه وقالوا له انت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن اخيك ومره فليكف عن شتم آلهتنا ، وندعه وإلهه فبعث اليه ابو طالب فلما دخل عليه قال له : هؤلاء سروات قومك يسألونك ان تقف عن شتم آلهتهم ! ويدعوك والهك ، فقال له رسول الله اي عم اولا ادعوهم الى ما هو خير لهم كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم باعماه والله انهم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان ترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ابداً .

وما زال بهم وما زالوا به يقاومونه ويضطهدونه ويلحقون به واتباعه انواع الهوان والاذى حتى هاجر الى المدينة قائماً بدعوته باراً بأمته .

صلابة في العقيدة وايمان كامل بما دعاه الله اليه واستبسال في الدعوة وفناء فيها ولولا ذلك لما ثبت على هذه الكوارث والاحداث التي

أحاقت به وبدعوته ولما استطاع مقاومة بني قومه وعشيرته حتى مكنه الله منهم وجعلهم تبعاً له وجنداً .

صبر كثيراً على انواع الاذى والاضطهاد ودعا كثيراً لاعلاء كلمة الله ، امتحنه الله وبلاه بلاء شديداً وهو سائر بدعوته غير هياب ولا وجل بقوة هذا الايمان الذي لا يتزلزل ، وبفعل هذا الصبر الذي لا ينفد ، يجاهر بالحق ليحطم اغلال الوثنية الجوفاء ، ويقرع الباطل بالحجة والمعجزة ليرد قومه لتعاليم الشريعة الغراء وليجعل منهم أئمة يهدون الى الخير وبه يعدلون .

انتشرت الدعوة وعمت الآفاق وازدهي العرب وادركت قريش ان ابنها الذي انكرته سيكون موضع فخارها وعزها وتدافع المهاجرون والانصار للبذل والتضحية ومازال ينتقل من نصر الى نصر حتى اراد الله فتح مكة فدخلها ظافراً يكسر الاصنام ، وتزدحم من حوله الاقدام ، لمبايعته على السمع والطاعة ، يطوف بالكعبة وينادي : « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » ...

لم احاول في بحثي هذا الا درس ناحية واحدة من نواحي سيرة هذا الرسول العربي وهي ناحية الايمان بالدعوة ، وفعل هذا الايمان بكل دعوة يقوم بها صاحبها بعزيمة ومضاء ، وانه لولا قوة هذا الايمان وفعلها الساحر بالنفس واستيلاؤها على المشاعر والعاطفة والعقل لما استطاع احد ان ينجح بعمل من اعماله ولما كان النجاح والتوفيق حليف رجل في اي عمل يقوم به او فكرة يدعو اليها ، اذا لم يكن مؤمناً بها حقاً مندفعاً وراءها بقوة العقيدة والاخلاص .

ذكرنا قليلا مما لاقاه (محمد) صلى الله عليه وسلم في ابتداء الدعوة

من المصائب والمكاره وهنالك حوادث كثيرة تدلنا على الاساليب التي استعملها قومه للتهديد والوعيد عله يرجع عن دعوته هذه وعن مقاومته لهم في ضلالتهم وعن تحطيمه لاصنامهم ولكنه كان يقابلهم دائماً برحابة الصدر وقوة الصبر ويدعو لهم بقوله (اللهم اهدي قومي فانهم لايعلمون) . وما زال بهم بقوة هذا الايمان حتى اصبح المسلمون جميعهم من المهاجرين والانصار ، ومن الوافدين من جميع الامصار يقولون له ما قاله السابقون الاولون : (اننا معك يارسول الله على مصيبة الاموال ، وقتل الاشراف) . وحتى كانوا كلهم يتسابقون في بذل ارواحهم ودمائهم في سبيله وسبيل دعوته ويجيبهم بقوله تعالى (فمن أسلم وجهه لله وهو مؤمن فاولئك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

كل ناحية من نواحي سيرة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم تدعو الى اطالة البحث والتفكير ، وكثرة الاعجاب والتذكير ، هذه السيرة التي كانت ومازالت موضع اهتمام الباحثين والمفكرين وعلى كثرة ما كتبوا وبحثوا مازالوا دون الوقوف على حقيقة اسرارها وعظمة صاحبها .

وما أحوجنا نحن في مواقف جهادنا ونضالنا ضد الاجنبي وأعوانه لهذا الايمان الكامل بحقنا في الحياة الحرة الاستقلالية وحفظ كرامة بلادنا وأبنائنا حتى نصل الى تحقيق اهدافنا ومثلنا العليا بقوة هذا الايمان والتضحية في سبيل هذا الايمان والسلام .

هذا بيان للناس

نشرته جريدة (القبس) في عددها الصادر
بتاريخ ٤ ايلول ١٩٣٥

(ايجار شلال الهامه)

يطالع القراء في محليات هذا العدد نص الاتفاقية التي أبرمت بين الحكومة السورية ولجنة عين الفيجة لايجار شلال الهامة الى الحكومة .

وقد أرسل الينا معالي لطفي بك الحفار الذي وقع الاتفاقية بصفته رئيساً لجمعية ملاكي الماء بمدينة دمشق هذا البيان يوضح فيه وضعية مشروع الفيجة من الوجهة المالية والفنية ويشرح الاتفاقية شرحا وافيا ، قال :

من الاطلاع على هذه الاتفاقية يظهر لأدنى تأمل عظيم الفوائد التي وفق اليها القائمون على ادارة مشروع عين الفيجة وقد بذلت المساعي في سبيلها بضعة اشهر لجعلها ضامنة لحقوق المشروع وموافقة لمصلحته وقد كان يظن البعض ان الاحوال المالية لمشروع عين الفيجة غير حسنة وان هناك خطراً يهدد المشروع بالخطر بالنظر لتراكم الديون والفوائد عليه في حين ان لجنة عين الفيجة التي اضطلعت بهذا المشروع من أوله لآخره واقفة على مجرى الاحوال المالية والادارية وهي على مثل اليقين من انها ستوفق في القريب لمثل هذه النتائج ، فكما ان الله وفقها لتدبير الاموال الطائلة التي احتاجت اليها لاتمام هذا المشروع وأخذها الاموال اللازمة لاتمام الاعمال من صندوق المصالح المشتركة

لحساب الحكومة السورية بعد نضال طويل مع السلطة الافرنسية في حين ان الاهلين لم يستطيعوا الا تسديد ثلث المبالغ التي أنفقت على مجموع الاشغال او ستين في المئة من قيمة التخمينات الاولى وذلك بالرغم من الدعايات التي قامت بها والصبر الطويل في دعوة الاهلين وتقدم الاعمال المستمر ، فلو لم تتوفق لجنة عين الفيجة في عقد اربعة قروض متوالية مع الحكومة بحسب احتياجها وسير أشغالها وبعد اقرار هذه القروض ودرسها من قبل اللجان المالية والفنية الرسمية ولجان التفتيش الافرنسية وغيرها التي اعترفت جميعها بضرورة هذه الاموال وكونها تصرف في سبيلها لما تقدم المشروع خطوة واحدة وتوقف في ابتداء العمل لا سمح الله فكما ان الله وفق اللجنة لعقد هذه القروض واتمام مشروعها العظيم فقد وفقها ايضاً لتسديد معظم هذه المبالغ من قيمة الامتار التي بيعت للأهلين منذ استثمار هذا المشروع حتى الآن ودخلت قيمتها على خزينة الدولة او من قيمة ايجار شلال الهامة بزيادة تسعين الف ليرة سورية من قيمة الثلاثين ألف ليرة عثمانية ذهبية التي دفعت من قبل او من الغاء فوائد الديون كلها المستحقة على المشروع منذ سنة ١٩٢٤ حتى الآن او التي ستستحق حتى بعد عشرين سنة لتسديد الديون الباقية بدون اضافة اي فائدة بحسب شرائط ايجار الشلال للحكومة واذا أضفنا الى قيمة ايجار الشلال التي هي مائتان وخمسون ألف ليرة سورية قيمة الفوائد المستحقة حتى الآن وهي بمقدار مئتين وثمانية وستين ألف ليرة سورية وهي قيمة الفوائد التي ستستحق وتربو على الثلاثمئة الف ليرة سورية ونيف اظهر لنا مقدار نجاح هذا الايجار للشلال . وهذا توفيق من الله نحو هذا المشروع العظيم الذي أخلص له القائمون على امره

واندفعوا في سبيله بكل تجرد واهتمام ، وحسن النية والاخلاص في العمل هما عماد امثال هذه المشاريع المالية والفنية الكبيرة . وهذه مأثرة يجب ذكرها لتشجيع الاعمال النافعة والقائمين عليها بتجرد واخلاص وفي مقدمتهم مؤسس هذا المشروع العظيم صاحب هذا البيان وفقه الله واكثر من أمثاله .

الصندوق الاحتياطي للمشروع

وبحسب هذه الاتفاقية خطا المشروع خطوة سريعة لتأسيس صندوقه الاحتياطي وكان هذا لا يمكن تأسيسه الا بعد سنوات طويلة اي بعد تسديد جميع ديونه وفوائدها وأما الآن فانه بعد مرور سنتين على هذه الاتفاقية سوف تدفع خزينة الجمهورية السورية في آخر كل سنة ما يزيد عندها من قيمة القسط السنوي الذي لا يتجاوز مقدار العشرين ألف ليرة سورية وبحسب احصاءات السنين الماضية واحتياج المدينة فان مجموع ما يدخل على خزينة الدولة من اثمان المياه المباعة يكون نحو الخمسين ألف ليرة سورية معدلا وسطياً .

ولذلك فان ما يدخل لصندوق المشروع الاحتياطي المرصد للاعمال الانشائية وتوسيع الشبكة الداخلية والقيام بما تقتضيه اعمال المشروع الفنيه يكون نحو ثلاثين ألف ليرة سورية في كل سنة .

وضعية المشروع المالية حسنة

ومما تقدم يظهر ان وضعية المشروع المالية قد وضعت على اساس ركين وهي تسير في كل سنة بحول الله من حسن الى أحسن .

وبعد ان وردت هذه الاتفاقية مصدقة أصبح بامكان لجنة عين

الفيجة القيام بانشاء قسطل اضافي قامت بدرسه في هـــذه السنة مع وزارة الاشغال العامة من الوجهة الفنية لتقوية ضغط المياه في الاحياء النائية كالميدان الفوقاني وباب توما ، وهي ستطرح مناقصة هذا القسطل في القريب العاجل بعد اتمام المعاملات القانونية للقيـام بهذه الخدمة الجديدة للمدينة ولأحيائها البعيدة فيكون لديهم في مطلع السنة القادمة ان شاء الله ضغط المياه كبقية احياء المدينة التي تتمتع بالميـاه الجيدة في جميع طوابقها العالية ، وستقوم لجنة عين الفيجة بتسديد نفقـات هذا القسطل الاضافي الذي تربو قيمته ونفقات تمديده على الثلاثين الف ليرة سورية من الوفر الحاصل لديها من موازنة الاستثمار المستقلة وذلك بالرغم عن ضيق موارد هذه الموازنة التي لا تتجـاوز الخمسة والاربعين الف ليرة سورية ينفق منها على مأموري الهندسة والادارة والمحاسبة وموظفي الاحياء والعمال وثمن الادوات الحديدية والعدادات والحواصر واصلاح الطرق وجميع النفقات الفنية والاداريـة الاخرى ويبقى وفر يرصد لمثل هذه الاعمال الضرورية المستعجلة .

الذين ناصروا المشروع

هذا بيان للناس أتقدم به الآن للامة الكريمة ولرجال المدينـــة وأصحاب الاملاك فيها الذين ناصروا هذا المشروع بجد واخلاص ولا أجد حاجة لاجابة البعض القليل الذي يجعل دأبه التشويش على هذا المشروع والتهويل بدعاياته التي لا تستند الى أساس ومعرفة كلـما لاح لهم ذلك وهم يعملون وراء هذه الغاية منذ أمد طويل ولكن الله من ورائهم لا يحقق لهم أملا ولا يمكنهم من ضربتهم التي يريدونها لهذا المشروع .

بعض ماورد في خطبة التدشين

وبهذه المناسبة لا أجد بدأ من اعادة نشر ما ورد في خطبة الاحتفال لهذا المشروع فيما يتعلق بنفقات المشروع العامة التي يريد هـذا النفر مغالطة الناس وتشويه الحقيقة بسببها وهم يوهمون انفسهم والناس ان كل شيء يسير طي الخفاء ولا يعلمون بان جميع اعمال المشروع الفنية والمالية تطلع عليها لجنته القائمة بالامر خير قيام وفيهـا ممثلو الملاكين والحكومة والبلدية ووزارتا المالية والاشغال العامة وتقدم تقريرها السنوي مع الموازنة الى وزارتي المالية والاشغال العامة . واللجنة الادارية لا تتأخر عن اعطاء البيانات الضرورية في الاوقات المنـاسبة وبحسب الدواعي والضرورات . وهذا الذي ورد في خطبتي يوم الاحتفال الكبير بتدشين المشروع اعظم برهان على خطأ هؤلاء او تعمدهم ذلك وقـد نشر ذلك في جميع الصحف بدمشق وبيروت وفي مجلة الغرفة التجارية وقد جاء فيها ما نصه :

نقي كنقاء مياه الفيجة

حينما تقدمنا بهذه الفكرة واندفعنا وراء تحقيقها كان كثير من ضعاف الايمان يهزأون بنا ويعتقدون بفشلنا ويقولون اننـا لا نستطيع اتمام عمل عام بهذه البلاد ولكن الاخلاص وحسن النية ومعاونة الرجال العاملين ونقاء العمل نفسـه وصفاءه الذي يشبه نقاء مياه الفيجة وصفاءها قضى على هذه الدعايات الباطلة وذلك رغم تلك العقبات والعراقيل التي صادفتنا اثناء العمل . كان تقدير قيم الكشوف التخمينية لهذا المشروع

مئة وخمسين ألف ليرة عثمانية ذهبية وعلى هذا الاساس جعل ثمن المتر الواحد ثلاثين ليرة عثمانية ذهبية . ذلك لان تحديد قيمة المتر المكعب من الماء نسبية بعد تقسيم اجمال النفقات على خمسة آلاف ، والخارج من هذه القسمة هو ثمن المتر الواحد كما هو نص المادة السادسة من شرائط جمعية ملاكي الماء .

صفحة من الماضي

ومع ذلك فان اللجنة لم تطبق هذه القاعدة كما طلب اليها مؤخراً ولم تستوف قيمة الامتار بالنسبة لقيمة الاعمال كلها التي بلغت لانجاز المشروع ٢٧١٧٣٧ ليرة عثمانية ذهبية ذلك لان أمل اللجنة كبير جداً في اقبال الاهلين على مشترى حاجتهم من امتار الفيجة حين انتهاء الاعمال وإسالة المياه الى دور المشتركين ، وهو ما بدأنا به وبذلك تتمكن اللجنة من وفاء الدين الذي عليها للحكومة الجليلة بمدة وجيزة فقد اشترك الاهلون الى الآن بمقدار أربعة آلاف متر بسعر ثلاثين ليرة عثمانية للمتر الواحد ويوجد من اصل عدد هذه الامتار مقدار اربعمئة وستين متراً اشتركت بها المساجد والكنائس والمستشفيات وهذه يخصم منها بحكم امتياز المشروع بالمئة خمسة وعشرون فكان مجموع ما دفع الاهلون ١١٦٥٥١ ليرة عثمانية ذهبية والباقي أخذته لجنة عين الفيجة من اموال المصالح المشتركة محسوبا على خزانة الحكومة السورية بتواريخ مختلفة بمثابة قروض وسلف . فالقروض التي تم الاتفاق عليها مع وزارة المالية باتفاقات تامة تبلغ قيمتها ثلاثة وتسعين الف ليرة عثمانية ذهبية اشتركت المالية لقاءها بمقدار ثلاثة آلاف ومئة متر كل متر بسعر

ثلاثين ليرة عثمانية ذهبية على ان تبيعها للاهلين بخمسة وأربعين ليرة عثمانية وبعد خصم ستة في المئة فائدة لرأس المال وتوزع الارباح ثلاثة أثلاث الاول للحكومة والثلث الثاني المصرف الزراعي والثلث الثالث لمصلحة المياه لتضاف على حساب الاحتياط والسلف الاخرى يبلغ مقدارها ثلاثمائة وعشرة آلاف ليرة سورية عقدت اللجنة اتفاقيات موقتة بشأنها ورهنت لقاءها قيمة شلال الهامة وقيمة المبالغ التي يمكن استردادها من الجمارك لقاء رسوم المواد الاولية التي استعملت في الاعمال الانشائية للمشروع ولكننا لم نوفق لايجار الشلال . هذا ما جاء في خطاب تدشين المشروع سنة ١٩٣٢ ولكنه تم ايجار الشلال للحكومة بعدئذ سنة ١٩٣٥ كما تقدم بعد ان أعلنت اللجنة عنه مدة ستة شهور لم يتقدم له طالب ولذلك أصبحت السلفة مستحقة الاداء غير ان وزارة المالية الآن تبذل جهدها الصادق لمعاونتنا لأجل تحويل هذه السلف الى قروض ثابتة يتفق على شرائط اداثها لقاء مشترى امتار بقيمتها .

أسباب الزيادات

ربما يتساءل بعضكم عن أسباب هذه الزيادات الكبيرة في نفقات المشروع وأرى الواجب في مثل هذا الموقف يدعوني لان ادلي اليكم ببعضها بصورة موجزة لتعلموا اسبابها وعواملها فقد علمنا الاختبار انه يصعب جداً تقدير قيمة مثل هذه الاعمال الكبيرة تقديراً تاما وتعيين مدة انجازها بالنظر لفقدان الوسائط الفنية والميكانيكية عندنا والزمن الذي نحتاجه لجلبها من اوروبا ودلتنا الحوادث ان كثيراً من الاعمال التي هي اصغر من مشروع جلب مياه عين الفيجة تصاب بمثل ما أصيب به مشروعنا الذي يعد من اعظم المشاريع التي قامت بها البلاد من

عدم امكان ضبط تقدير موازنته بالنظر للمفاجآت التي تحصل اثناء العمل ولعدم استكمال الاسباب الفنية الدقيقة .

أمثـلة

ومثال ذلك حوض الماء بنبع الفيجة ، لقد كان مقدراً له الف وخمسمائة ليرة عثمانية ذهبية فكلف حين التطبيق عشرة امثال هـذه القيمة للقيام بحفر أساسات سدوده العظيمة وجدرانه المتينـة وذلك بالاتفاق مع الهيئات الفنية كلها . وكذلك القول بشأن كافة شبكة القساطل داخل المدينة فان عدم وجود مصور كامل لمدينة دمشق كان سبباً لزيادة كلف قساطل التوزيع وقيمتها في جميع شوارع وأزقة ومنافذ المدينة في المئة خمسين عن التقدير السابق وكمية القساطل والادوات التي استهلكت ووضعت في الطرق المعبدة والجادات الجديدة كانت أضعاف ما كان مقدراً لها من قبل ذلك لتأمين توزيع الماء حين وصوله الى جميع المكتتبين في جميع أحياء المدينة .

المفاجآت

وكذلك القول بشأن المفاجآت المزعجة التي لم تكن محسوبة في داخل الانفاق (التونيلات) مثل الانهيارات وصعوبة الحفر بالصخور الصلبة التي اضطرت الادارة بعد ابحاث طويلة وبالاتفـاق مع وزارة الاشغال العامة لعقد اتفاق خاص مع المتعهد لحفرها بالوسائط الميكانيكية التي تعين سعرها بعد التجارب العديـدة التي جرت من قبل الادارة والمتعهد وبطريقة التحكيم المتفق عليه قبلا وكان من نتيجة ذلك ان

اللجنة اضطرت لدفع قيمة هذه الوسائط التي لا يمكن حفر الانفاق الصلبة بدونها مقدار عشرين الف ليرة عثمانية ذهبية زيادة عما كان مقدراً لها من قبل . وكذلك القول بشأن تفجر المياه ببعض الانفاق بجبال الهامة والقيام بحفر خنادق لاجل تصريفها وتنظيفها بصورة دائمة وقد استغرق هذا العمل وقتاً طويلا بالرغم عن اشتغال الورشات ليلا ونهاراً .

بناء الانفاق

وكذلك القول ببناء الانفاق كلها بالبيتون المسلح بصورة جيدة تعيش احقابا متطاولة . وقد كان يظن من قبل انه يكتفى ببناء القسم الواقع في الاراضي غير الصلبة واما الاراضي الصخرية التي حفرت بالوسائط الميكانيكية فقد كان تقدير الهيئة الفنية الاولى انه يكتفى بطلائها بورقة من السمنت بدون بناء ولكنها حينما تعرضت للهواء وقبل ان تتعرض لرطوبة الماء ظهر فيها بعض الانهيارات المتتابعة ولذلك قرر بالاتفاق مع وزارة الاشغال العامة بناؤها كلها بالسمنت المسلح ، وتقدر الزيادة التي صرفت في هذا السبيل بمقدار خمسين ألف ليرة عثمانية ذهبية . كل ذلك اقتضى مصاريف طائلة ووقتاً طويلا لا يستطيع احد مهما بالغ في تقديره ان يعين لها قيمتها ومدة عملها وهـــذا هو السبب الذي اضطر اللجنة لطلب معونة الحكومة باقراضها مبالغ متتابعة بحسب تقدم العمل والحاجة الماسة للاموال .

الحرص والاخلاص في العمل

وأخيراً لا بد من القول ان الاعمال الانشائية جميعها قد طبقت

على أحسن وجه وأقوم مثال ، واني اعلن هنا انه لولا الجهود المبذولة والاوقات الاضافية التي يعمل بها موظفو مصلحة المياه سواء كان في الادارة او المحاسبة او في الهيئة الفنية لكانت نفقات العمل ضعفي ما هي عليه الآن ولقد كانت لجنة عين الفيجة وما زالت تقوم بعملها منذ بضع سنين بمنتهى درجات العناية والاخلاص بدون ادنى مقابل وهذه نفقات المشروع العامة كلها منذ تأسيسه سنة ١٩٣٤ الى الآن لم تتجاوز في المئة سبعة ونصف من مجموع قيمة الاعمال وذلك بالنسبة للدرس الفني وادارة المشروع ومحاسبته ومراقبته وهذه النسبة تكون لدى جميع الادارات والشركات حول العشرين في المئة بل اكثر كما هو معلوم ولقد كانت هذه النسبة موضع دهشة واعجاب المفتشين الافرنسيين كما صرحوا بذلك في تقاريرهم الرسمية . اني أعلن هذا الآن جهاراً نهاراً امام هذا الحفل الكبير وتثبت ذلك ارقام حسابات المشروع المدققة التي تسير على أضبط نظام وأوضح بيان والتي كانت وما زالت موضع اعجاب المفتشين والمحاسبين .

للباطل جولة ...

أقول هذا دحضاً لدعايات ارباب النية السيئة والانانيين الذين يسوؤهم نجاح الاعمال الوطنية والذين لا يلذ لهم الا مقاومة الفضيلة ولكن الله يأبى الا ان يتم نوره وللباطل جولة ثم يضمحل وهذه اعمال المشروع وحساباته وادارته التي تخضع لقانونه وأنظمته تعلن عن اعماله باجلى بيان والسلام .

كلمة الكتلة الوطنية في حفلة تأبين المرحوم عبد الرزاق الدندشي

التي اقامتها نقابة المحامين بمدرج الجامعة
السورية القاها لطفي بك الحفار بتاريخ ٩ ايلول
١٩٣٥ ونشرتها القبس بتاريخ ١٠ منه ٠

سادتي واخواني :

في احدى الاجتماعات الوطنية قام في دمشق منذ عشر سنين ونيف شاب يخطب في القوم بحماس متقد واندفاع ملتهب ولهجة عربية فصحى لفت انظار الكثيرين من المستمعين وأعجبوا به وبقوة عقيدته الوطنية وطلاقة لسانه وحسن القائه فتساءل الناس عنه وهم ينتظرون لهـذا الخطيب الشاب مستقبلا زاهراً يستمده من هذا الايمان الذي تجلى في خطابه ونبراته وقوة القائه ، وقيل لهم انه عبد الرزاق الدندشي من اولئك الاكارم الذين دافعوا عن ديارهم وأوطانهم باموالهم وأنفسهم وان الشاب نفسه ممن خاضوا معارك الشرف وهو بعد يافع لم يتم تحصيله الاول وكانت السنين تمر وهو يعمل في سبيل عقيدته والتحصيل العالي ليتسلح بسلاح العلم والعمل الصالح لخدمة أمته وبلاده ٠

لمع اسمه ونبغ بين اقرانه وعرف بقوة عقيدته القومية ومبادئه الوطنية وكنا مع كثير من اخواننا نتحدث عنه ونعلق عليه وعلى أمثاله من الشباب المثقف الذي يشعر بواجبه ويعمل في سبيل عقيدته اعظم

الآمال ، والشباب الذين يتحلون بعقائدهم الوطنية المخلصة هم القوة التي تدخرها الامة للعمل المقبل والثروة التي تفاخر بها وتعول عليها .

وبلادنا التي تشكو الفقر في الرجال وتبحث عن معمل لهـا باخلاص وايمان فلا تجده الا قليلا تعقد آمالها على رجال المستقبل الذين يتسلحون لمواجهته بسلاحي العلم والاخلاق والوطنية الحقة فكم تكون مصيبتها كبيرة حينما تمنى بخسارة امثال فقيدنا الذي تكامل في خلقه وخلقه وعلمه واخلاصه وكلنا يشعر بالحاجة الشديدة لامثاله في العمل المقبل ولمن يتحمل عبء العمل الوطني ممن تحلوا بصلابة المبدأ وقوة العقيدة والتضحية الواجبة .

فالكتلة الوطنية ورجالهـا الذين يعملون لوطنهم ولقوميتهم والذين يدينون بهذا الايمان منذ نعومة اظفارهم يشعرون بعظم الخسارة التي حلت بهم وبالبلاد بفقد من كان مثلا عاليا للشباب في ايمانه بعقيدته القومية والوطنية والعمل في سبيلها بقوة واخلاص .

واذا كان رحمه الله يرى العمل في هذا السبيل بطرق اخرى فقد كنا كلنا نرجو له التوفيق والنجاح في تكوين قوة من الشباب العامل للقيام بنصيبهم في خدمة هذه البلاد المنكوبة لعلمنا بانه يعمل في سبيل مبادىء الكتلة الوطنية وتهيئة الايدي المخلصة لحمل اعباء هذا المستقبل الزاخر بانواع المصائب والمتاعب ومن لنا غير هذا الشباب الذي يؤمن بعقيدته القومية والوطنية ويعمل في سبيلها واذا شب رجال الكتلة الوطنية وشابوا في خدمة مبادئهم الاستقلالية والقوميـة فانهم ما زالوا ماضين في هذا السبيل بعزم وحزم وهم ينظرون للمستقبل بعيني الحذر والامل واذا منيت اخلاق البعض بجراثيم الخضوع والخنوع وكان

الشعور بالواجب قد ضعف لدى كثير من الكهول والشيوخ فقد كانت آمالنا كبيرة جداً في هذا الشباب المؤمن الملتهب المتحلي بحليتي العلم والاخلاق واذا كان فقيدنا الغالي مثلا أعلى لهذا الشباب فان المصيبة بفقده يجب ان تشحذ من عزائمهم وان تكون قوة لهم ليعملوا متضامنين مخلصين وليعوضوا على البلاد هذه الخسارة وليكونوا مثله في آماله الكبرى والاندفاع وراء المثل العليا .

واني الآن والألم يحز في نفسي والآمال العذاب تذروها الرياح بفقيدنا العزيز لا أستطيع ان أصور مبلغ هذا الرزء على العاملين المخلصين وعلى اخوانه من الشباب والكهول والشيوخ المحبين الذين كانوا يعقدون الآمال على امثاله في متابعة الجهاد والنضال في جميع ساحات البطولة والتضحية والقتال ونحن مازلنا في معترك العمل الوطني امام اعداء البلاد في الداخل والخارج وما أحوجنا الى أمثاله وكم هي خسارتنا فادحة بفقده وهو في ميدان الجهاد يعمل بقوة وايمان وما كان عبد الرزاق الدندشي الا صفحة البطولة والفداء ورمز الاماني لبناء صرح المجد والعلاء وفي مثله يعز الرثاء والعزاء والسلام .

ذكريات وزير وطني

نشرت في العدد الصادر بتاريخ ١٥ تشرين الاول ١٩٣٥ من جريدة (القبس) .

(عهد دي جوفنيل)

لا شك ان وفاة المسيو دي جوفنيل خسارة لسورية وفرانسه لان موقف هذا الرجل كان موقف الشخص الذي يريد التوفيق بين مصلحتي سورية وفرانسه والعمل لعقيدته التي كان يجاهر بها وهي انه ليس لفرانسه في هذه البلاد من شأن سوى تحقيق الاهداف الديمقراطية الحرة التي سارت عليها في بلادها وان من مصلحة فرانسه قبل كل شيء ان تترك هذا الاثر الصالح في هذه البقعة التي تضم ارقى مجموعة في جزيرة العرب التي يجب ان يكون لنا فيها نفوذ أدبي رائع ولا سبيل لهذا النفوذ الادبي الا بالعمل على تحقيق ما تصبو اليه هذه البلاد من اهداف سياسية حرة وكان يعتقد انه يكفي فرانسه من وراء كل ذلك تمتين قواعد هذا النفوذ الادبي الذي نعتقد ان واسطة انتشاره في هذه الجزيرة العربية ما نتركه هنا من اثر وعمل .

السياسة لا القوة

قابلته مع كثير من اخواني غب وصوله الى بيروت ، والثورة السورية مضطرمة لاهبة وكان لا يكل ولا يمل من العمل السياسي قبل

كل شيء لوضع حد لهذه الثورة ، ولقد كان اتصاله بالوطنيين في بيروت مدى ثلاثة اشهر متوالية يبحث فيها بكل جد واخلاص الوسائل التي تعيد للبلاد نشاطها وأمنها ، وكان لا يعول كثيراً على اعمال القمع العسكري ولا لوضع حد لهذه الثورة بواسطة القوة العسكرية فحسب ، وهذا من اظهر اعمال هذا الرجل ومزاياه . وقد اضطرتني الظروف آنئذ ان امكث في بيروت شهرين متواليين كنت خلالها على اتصال وثيق به وبسكرتيره مسيو ميليا كما وان بعض اخواتنا ايضاً كانوا على مثل هذا الاتصال وكان يحاول الوقوف على آمال الوطنيين وخططهم في أساليبه السياسية الخاصة اللبقة ولقد صرح بعدئذ لكثيرين انـه يسر اذا رأى ان الفكرة الوطنية في هذه البلاد واحدة وان الوطنيين يتفقون في تفاصيلها وفي غاياتها وانه لهـذا يؤمن بوجوب العمل مع اصحاب العقائد والمبادىء الذين يتجردون عن مصالحهم الشخصية في سبيل تحقيق مبادئهم ومنافع بلادهم العامة .

الوفد الوطني للثورة

وبعد هذا اتفق مع الاخ الامير امين ارسلان لارسال وفد وطني الى عاصمة الثورة في بيت عرى الكبير والى الغوطة للاتصال بزعماء الثورة ورجالها والوقوف على آرائهم وخططهم الوطنية التي يعملون لتحقيقها من وراء هذه الثورة وكان الرأي متفقاً على ان يتألف هذا الوفد من الاخوان الامير امين ارسلان والمرحوم فوزي بك الغزي وعفيف بك الصلح وهذا العاجز ، وكان دهشة قائد الموقع العسكري في درعا القومانداني كوستليير كبيرة حينما رأى هذا الوفد وحينما تلقى التعليمات

بعدم ممانعة الجيش اجتيازه المنطقة العسكرية الى الثورة وصرح قائلا بانه لا يتحمل مسؤولية الاخطار التي يتعرض لها رجال الوفد وحاول كما لاحظنا حسب ترتيبه العسكرية الحيلولة دون انجاز هذه المهمة خوفاً من نجاح رجال الوفد بتحقيق مطالب الثورة ، كما وان مفاجأة رجال الثورة بهذه الزيارة غير المنتظرة كانت مفاجأة رائعة جداً هنالك . ولقد اجتزنا خطوط الثائرين بوسائل عديدة حتى استطعنا ان نفهم الحرس الاول اننا اصدقاء واننا نعمل في سبيل تأييد مبادىء الثورة واعادة السلام ، لكننا لم نلبث طويلا حتى عرف بعض رجالات الدروز الاخ الامير امين حينما اعلن اسمه لهم وتبينه بعضهم فاندفعوا لتقبيل يديه والترحيب بنا وأخذوا يسلموننا من منطقة الى اخرى حتى بلغنا دار عرى الكبرى وهنالك كان المرحوم الامير حمد الاطرش وعقله بك القطامي فاستقبلونا استقبالا حاراً وأرسلت الوفود الى الانحاء المختلفة لدعوة زعماء الثورة من اخواننا السوريين وزعماء الجبل . ولهذه الزيارة ذكريات وأحاديث ليس مجال التوسع والتبسط هنا غير اننا نذكر ماله علاقة في موضوعنا وهو اننا كنا مع اخواننا عامة هنالك سواء اكان سلطان باشا الاطرش وزعماء الدروز وشيوخ العقل او مع اخواننا السوريين امثال الزعيم الدكتور شهبندر ونبيه بك العظمة والامير عادل ارسلان وغيرهم على اتفاق تام فيما يجب عمله لوضع حد لهذه الثورة اللاهبة وللوصول الى الغاية السامية التي قامت الثورة لادراكها بتحقيق اهدافها الوطنية العليا .

مطالب الثوار

وأستطيع القول الآن ان زعماء الوطنيين السوريين سواء أكانوا

في ايام الثورة وساعات انتصارها او في ايام السلم والاعمال السياسية التي كانوا يقومون بها في الطرق المشروعة كانت آمالهم وغاياتهم هي هي في كل يوم لم تتبدل ولم تتغير .

كانوا ولا يزالون طلاب سيادة واستقلال ، وكانوا يرون وجوب عقد معاهدة تضمن حقوق سورية وسيادتها ووحدتها واستقلالها والغاء الانتداب الذي لم تعترف به البلاد .

رأينا رأي اخواننا

هذا ما نقلناه الى مسيو ده جوفنيل وهذا ما كنا نقوله من قبل ومن بعد وهذا ما يقوله رجال الوطنية اليوم سواء أكانوا نوابا في الجمعية التأسيسية او في هذا المجلس النيابي حينما عرضت عليهم المعاهدة او في محادثاتهم الخاصة مع رجال السلطة وفيما بينهم او في مفاوضاتهم مع سائر المفوضين الذين اتصلوا بهم منذ عهد المرحوم الجنرال ساري او الكونت ده جوفنيل والمسيو بونسو .

البرنامج السياسي والوزاري

عدنا حاملين هذه الامنية الحرة الصريحة الى المرحوم الكونت دو جوفنيل فأخذ يدرسها باهتمام وعناية وهو ما زال يفكر ويتصل بالزعماء الوطنيين ويبذل جهده للاطلاع على تفاصيل هذه القضية الوطنية وخوافيها حتى انتهى به التفكير والبحث الى اقرار البرنامج السياسي الذي وضعناه للوزارة التي اشتركنا فيها مع معالي الاخ فارس بك الخوري .

واذكر بهذه المناسبة ان الادارة العسكرية كانت تمنع التجول ليلا

بعد الساعة السابعة وكنا قبل وضع برنامجنا الوزاري بصيغته النهائية في أخذ ورد مع الكونت دو جوفنيل حتى اضطررنا ان نمكث في نزل فكتوريا ثلاثة ايام بلياليها حتى تم وضع البرنامج السياسي مع البيان الوزاري بالاتفاق مع الكونت دو جوفنيل بصيغته النهائية .

حفاوة الامة بعهد جوفنيل

وحينما اعلن المفوض السامي الكونت دو جوفنيل أنه سيخطب في حديقة الامة معلناً موافقته باسم فرانسه على البرنامج السياسي والوزاري كان ثلاثون الفاً من الاهلين مجتمعين هنالك فهتفوا لسورية المستقلة ولفرانسة الحرة ولممثلها الكونت دو جوفنيل وللوزراء الوطنيين ونشطت اماني الامة في ذلك الخضم من اليأس المستولي على النفوس والثورة في أوجها وابان اشتدادها وحمل الناس تمثل الحرية الافرنسية على المناكب هاتفين له واسمه النبيل ، وكان تأثره من هذا المظهر الرائع عظيما جداً .

المنفذ البحري

حتى اننا يومئذ كنا مدعوين عنده للعشاء واستطعنا ان نأخذ منه وثيقة خطيرة تتعلق بتفاصيل تطبيق هذا البرنامج وخاصة منه ما يتعلق بالمنفذ البحري لسورية ولا شك انه كان يعمل بكل جد واخلاص لوضع حد لهذا القلق السياسي والاضطراب الاداري السائد في البلاد لتصل الى عهد الاستقرار المنشود ، وبعد ان مكث هنا قليلا ونحن نعمل معه اضطر للسفر الى فرانسة للحصول على موافقة وزارة الخارجية ـ على ما علمنا ـ لتطبيق هذا البرنامج .

سأعود حاملا ما يبيض الوجه

واني لاذكر جيداً كلمة قالها لي قبل سفره وهي :

أرجو ان تنتظرني قليلا واني سأعود حاملا لكم ما يبيض وجوهكم ويفي بعهدنا !

ولكننا انتظرنا فلم يعد واضطر الى الاستقالة لأنه لم يحصل على الموافقة المنشودة على عمله ، وتسلمت يومئذ وزارة الاتحاد الوطني برئاسة مسيو بوانكاريه أزمة الحكم في فرنسا فلم يعد مسيو دوجوفنيل لمتابعة الخطة التي وضع أسسها وهو الواثق بنفسه الذي لا يستطيع ان يعمل بغير ما يعتقد .

العمل لا السياسة

وتطورت الحالة في البلاد بعد استقالته تطوراً خطيراً فأصبحت القواعد التي اتفقنا مع الكونت دوجوفنيل على احترامها غير مرعية وأراد بعضهم ان يستثمر الموقف لنفسه فسعى بالدس والوقيعة الى تكليف الوزارة لاصدار بيان بتحميل الثائرين مسؤولية الثورة ووجوب قمعها عسكريا بدلا من المفاوضات السلمية التي اتفقنا مع الكونت دوجوفنيل عليها فاضطررنا لتقديم استقالتنا دفاعا عن خطتنا التي تم الاتفاق عليها لتلبية مطاليب الثورة الوطنية .

من الوزارة الى المنفى

وفي اليوم التالي من تقديم هذه الاستقالة اعتقلتنا السلطة بسبب

موقفنا الصلب وبتأثير التقارير الكاذبة وعمل المتجسسين الذين لم يرقهم هذا الاتفاق من ذوي النفوذ والصلة الوثق بالرأي والدوائر الافرنسية ، وهم يعملون لاقناع السلطة الافرنسية بان الوزراء الوطنيين على اتصال تام بالثائرين وانهم يد الثورة ومؤيدوها في قلب الوزارة .

ولقد كنا كما يعلم الله جادين مخلصين لانقاذ البلاد من الفوضى والاضطراب لتحقيق حريتنا واستقلالنا ووحدتنا وسيادتنا لتسير هذه البقعة من الجزيرة العربية سيرها الذي خلقت له والتي هي في موضع الزعامة منه مع بقية الاقطار العربية . وهكذا قطع علينا سبيل انجاز هذه المهمة الشاقة فبقي المرحوم الكونت دوجوفنيل في باريز وانتقلنا نحن من مقاعد الوزارة والحكم الى دار النفي والاعتقال في أقاصي صحراء الحسكة . وكنا نردد مع رفقائنا حينما كنا نقرأ ونسمع ما يحل ببلادنا وباخواننا من البلاء المحيق بانواعه .

« ان مقعدنا في الحسكة مع راحة الضمير لأفضل لنا ولبلادنا وأهنأ لنفوسنا من مقاعد اولئك الوزراء الذين ليسوا الا آلة تدمير وخراب » .

هذه ذكريات تمر بنا بمناسبة وفاة هذا الرجل الشريف الذي تحفظ له البلاد ويحفظ له من عرفه واتصل به منا أجل الذكريات وأجملها ولعل الظروف تواتينا في المستقبل للافاضة فيها افاضة تفيد البلاد والاحفاد .

السياسة الجمركية وأدواء البلاد الاقتصادية

نشرته جريدة (القبس) في عددها الصادر
بتاريخ كانون الاول ١٩٣٥

فكرت الليلة بعد الحاحكم علي فيما أخطه لجريدتكم الزاهرة لعددكم الخاص الذي سيصدر مقدمة لتطورها الجديد وحلتها القشيبة واشتراكها في مجهود هذه الامة التي تقابله لكم بالشكر والثناء فخطر لي ان اذكر بعض الحوادث الاقتصادية والسياسية التي مرت امامي وقد كنت مشتركا بها من أولها لآخرها لنخرج من سرد هذه الحوادث سرداً مجرداً بنتيجة منطقية توضح الحقيقة كما هي علنا نوفق لمعالجة ادوائها بقوة وعزم .

قامت الصحف السورية واللبنانية بنصيبها وواجبها في معالجة السياسة الجمركية القائمة الآن معالجة فعالة منذ زمن طويل وقد قامت اللجان الاقتصادية بنصيبها من هذه الخدمة النافعة كما ان المؤتمر الاقتصادي المنعقد في دمشق منذ زمن يسير قد بحث في الاوضاع الاقتصادية الحاضرة ومن قبل بحث بقضية السياسة الجمركية مؤتمر الغرف التجارية المنعقد في مدينة بيروت في ربيع سنة ١٩٣٣ وقدم تقريراً ضافياً للمفوضية العليا ولوزارة الخارجية الافرنسية ابان فيه بالتفصيل

مبلغ الاضرار الفادحة التي تنتاب البلاد السورية واللبنانية من جراء تطبيق هذه السياسة وكيف انها كانت واسطة مؤثرة لتضاؤل تجارة البلاد واضمحلالها ولخراب الصناعات الوطنية التي تأسست في البلاد عقب الحرب العامة ولمضاربة منتوجاتنا الزراعية مضاربة تكاد تودي بها وتميتها ، كل ذلك مؤيداً بالبراهين الناصعة والمقالات الواضحة والارقام الناطقة ومن قبل مؤتمر الغرف التجارية لفت انظار المفوضية العليا ورجال الحكومات المؤتمر الصناعي الاقتصادي المنعقد بمدينة دمشق ايام معرضها الصناعي عام ١٩٢٨ بتقرير مطول وضعه المؤتمر المذكور وقد اشترك فيه كافة رجال الاعمال والمال والمفكرين الاقتصاديين من اعضاء الغرفة التجارية السورية واللبنانية ومن قبل ايضاً نذكر ان غرفة تجارة دمشق كانت قد انتبهت الى هذا الخطر منذ سنة ١٩٢٢ وكانت ترسل التقرير تلو التقرير الى الحكومات السورية المتعاقبة والى دار المندوب والى المفوضية العليا وهي توضح لهذه المراجع خطر هذه السياسة الجمركية القائمة على صناعة البلاد وتجارتها بصورة متعاقبة ووجوب النظر فيها والرجوع عن اخطائها . ومن قبل ايضاً في سنة ١٩٢١ الفت لجنة تجارية في مدينة دمشق ضمت جميع رجال التجارة والصناعة فيها ووضعت مذكرة ضافية بوجوب عقد اتفاقيات تجارية تناسب حالة البلاد التجارية والصناعية مع البلاد المجاورة وعلى الاخص مع فلسطين وشرقي الاردن والعراق وتركيا لأخذ جميع اسباب الحيطة والحذر من انقطاع علاقاتنا التجارية والصناعية مع هذه البلاد المجاورة بعد ان خسرت البلاد عقب الحرب العامة علاقاتها التجارية الكبرى مع الأناضول والروملي والحجاز والعراق وقد مارست

هذه اللجنة واجباتها حتى أرسلت لها المفوضية العليا وفداً من رجالها الذين يشتغلون بهذه القضايا برئاسة السكرتير العام وقتئذ وبحث مع هذه اللجنة بشأن مذكرته التي يوجد لدينا منها صورة (فوتوغرافية) لا تزال محفوظة لدينا ننشرها متى رأينا لزوما لها لبيان مقدار القلق العام الذي كان يساور رجال التجارة والصناعة منذ سنة ١٩٢١ كما اننا نذكر ان المفوضية العليا استدعت عام ١٩٢٩ اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصناعي الاقتصادي وبحثت معه بواسطة لجنة خاصة ألفت لدرس تقريرها بجميع ما ورد فيه وكان من نتيجة هذا البحث والدرس ان سلم رجال المفوضية الاقتصاديون بجميع النظريات التي أبداها المؤتمر وأقرها ووعد لجنته التنفيذية بتطبيقها ومن أهمها تعديل هذه السياسة الجمركية وانشاء مصرف صناعي ووضع قانون تشريع الصنائع المعدل موضع العمل ووضع تشريع خاص لحماية الصناعات الوطنية واليد العاملة الى غير ذلك مما ورد في التقرير الآنف الذكر .

ثم اننا نذكر اجتماع المفوض السامي برجال الغرفة التجارية في دمشق عقب مجيئه الاول من باريس سنة ١١٣٣ ومذاكرته معهم مطولا بهذه الشؤون ونذكر ان السادة اعضاء الغرفة التجارية ورئيسها قد لفتوا نظر المفوض السامي الى قضية هذه السياسة الجمركية وأبانوا مبلغ اضرارها ووجوب اقلابها رأساً على عقب وأيدوا دعوام هذه بالارقام وأبانوا له مبلغ الاضرار الفادحة التي أصابت تجارة البلاد وصناعتها من جراء هذه السياسة .

بعد كل ما تقدم الا يصح لنا ان نتساءل فيما اذا هنالك سياسة مقصودة او ان سياسة الافقار مقصودة لذاتها بعد ان أصبح كل شيء

مفهوماً وواضحاً لدى رجال المفوضية العليا القائمين على هذه السياسة الاقتصادية والماديين باضرارها والسير على منوالها ؟..

اني لا أنكر بأن المفوض السامي المسيو دي مارتيل قد وضع بعض المقررات النافعة قبل سفره الاخير الى باريس بشأن تعديل هـــذه السياسة الجمركية ولكن الحوادث دلت على ان الحالة لا تزال سيئة وان تأثر تجارة البلاد وتقهقر صناعتها الحديثة ليس بالامر البسيط وان الحالة تستدعي اهتماما أوسع وعمــلا أتم فهل تساعد الظروف على مثل هذا الانقلاب الاقتصادي الواسع اذا لم تصل البلاد الى استقرارهـا السياسي المنشود وتتمتع بحقها وسيادتها في ادارة بلادها وجماركها واقرار موازنتها والسيطرة على قوانينها وتشريعها وتنعم بوحدتها وجمع أشتاتها المبشعة تحت راية استقلالها المنشود وحريتها السليبة .

هذا ما أشك به كثيراً وما تبرهن الايام والحوادث والوقائع والمشاهدات انه يكاد يكون في حكم المستحيل فالامة التي لا تداوي آلامها بنفسها وتحك جلدها بظفرها لن تستطيع ان تحيا حياة السعادة والرفاه وإذا لم تحل قضيتنا الوطنية الرئيسية واذا لم يحكم وضع الاساس على القواعد المتينة فلا فائدة من معالجة هذه القضايا الفرعية ولا أمل بأي عمل قبل أن تنال البلاد حقها السياسي في السيادة والاستقلال الذي هو الضامن الوحيد لحل هذه المشاكل المتتابعة .

رسالة سوريا الى العراق

نشرته جريدة (البلاد) العراقية الصادرة
بتاريخ ١٠ آذار ١٩٣٦

نشرنا في عدد امس تفصيلات وافية عن الاتفاق الجديد الذي حصل في سورية بين المندوب السامي الفرنسي والوزارة الجديدة والكتلة الوطنية . وقد بعث الينا مندوبنا الخاص في سورية بالحديث التالي الذي جرى بينه وبين معالي لطفي بك الحفار أحد أركان الكتلة الوطنية . قال المراسل : لقد تمكنت من الاجتماع بأحد اركان الكتلة الوطنية وهو الاستاذ الوطني المعروف لطفي بك الحفار وسألته سؤالين باسم جريدة البلاد فتكرم بالاجابة ببشاشته المعهودة رغم قصر الوقت وانا أقول ان مجرد ذكر العراق وجريدة البلاد كان كافياً بحد ذاته ليترك السيد لطفي جميع ما حوله من المشاغل في هذه الظروف الحرجة لكي يجاوبني بهدوء ورحابة صدر . ولا لزوم لتقديم الاستاذ الحفار وهو من اركان النهضة الوطنية في سوريا وكبار المفكرين المشهورين بطول الباع في المسائل السياسية والاقتصادية ، لان المعرفة لا تعرف ولكن اقول ان الاستاذ خرج في أوائل المظاهرات يتقدم احداها فأصيب برضة قوية على يده وكتفه وهو من كبار الخطباء يقف ساعات متوالية يخطب ارتجالا وكلامه مملوء بالافكار الرصينة والوطنية المتأججة والطلاوة التي لا تمل .

س : هل كانت الحركة الاخيرة في سوريا حركة مدبرة ؟

ج : كانت هذه الحركة السلبية التي ظهرت في سوريا من اقصاها الى اقصاها نتيجة الضغط الشديد ومقاومة الاجنبي لمطاليب البلاد السياسية والاقتصادية مقاومة عنيفة واستهتاره بحركتها وشعورها والسير وراء تقارير دوائر الاستخبارات الكاذبة التي كانت تؤكد فتور الفكرة الوطنية لدى عامة الشعب وسعيه وراء خبزه فقط وان حركة المعارضة التي تظهر وتضج ليست الا حركة افراد ذوي مطامع خاصة لا يهتم بهم الشعب ولا يقول بقولهم . كانت هذه النغمة تتردد على أفواه الرجعيين والحكوميين المأجورين وكانت دوائر الاستخبارات والموظفين الافرنسيين يؤيدونها باطلا ليصفو لهم الجو وكانت النار كامنة تتأجج في القلوب وآلام الامة بلغت حداً لم يعد يصح السكوت عليه ومنذ رفض المجلس النيابي المعاهدة التي حولها له المفوض السامي المسيو دي مارتل كانت الدسائس تحاك ضد مصالح البلاد في الدوائر الرسمية ولدى موظفي الاستخبارات في دمشق وقد قام هؤلاء بتوسيع شقة الخلاف بين الشعب والافرنسيين ليصفو لهم الجو وتعاقبت الاعمال المخالفة لرغائب الامة وقد اوقفوا المجلس النيابي عن متابعة اعماله وألفوا حكومة غير مشروعة ممن قاومت الامة انتخابهم بدمائها ، وصادروا حرية الصحافة والخطابة والاجتماع وأرهقوا البلاد بالضرائب الباهظة ، وكانت تصرف على غير منافع الامة وفي غير السبل المنتجة وأقروا نظام الحصر (المونوبول) للتبغ بالرغم من احتجاجات البلاد ومقاومتها لهذا الحصر من أقصاها الى أقصاها ، وكانت بيانات المفوضية العليا لا تتلاءم مع واجب اللياقة والحقيقة بالنسبة لاعمال الوطنيين ومعارضتهم .

وكانت مظاهر الهزء والاستهتار بالامة وبمطاليبها تتوالى بتأثير رئيس الحكومة وبعض معاونيه ومديري دوائر البعثة الافرنسية الى ان اكدوا للمفوض السامي دي مارتيل انه يستطيع ان يصادر اعمال الوطنيين باغلاق مكاتب الكتلة الوطنية وابعاد بعض رجالها وانه لا يوجد من يهتم في البلاد بمثل هذه الحركة او يقوم بالدفاع عن الوطنيين وعن اعمالهم والانتصار لها وكانت حفلة أربعين الزعيم المرحوم ابراهيم هنانو وكان الشعب السوري مشتركا بها اشتراكا عاما وكانت رائعة بمظاهرها وحقيقتها ثم أعقب ذلك اعلان ميثاق الكتلة الوطنية ثم القيام باعمال التنظيم الوطني العام وكان من مجموع هذه المؤثرات ان قامت البلاد السورية قومة الرجل الواحد لاظهار استيائها وذلك باغلاق جميع متاجرها وتعطيل سائر اعمالها في جميع المدن السورية وقد أعقب ذلك قيام مظاهرات عظيمة اشترك فيها رجال الكتلة الوطنية وكانت من وراء ذلك اصطدامات عنيفة بين الشعب وبين القوى الحكومية والاجنبية سالت فيها الدماء غزيرة ووقع كثير من القتلى والجرحى وملئت السجون والمعاقل بالمئات من رجال الكتلة الوطنية . ولم يثبط ذلك من عزيمة الامة ورجالها وكان حماس الشعب طيلة هذه الايام التي تجاوزت الخمسين عظيما جداً تتجلى في كل وقت بتقديم الضحايا والاندفاع وراء اظهار السخط والألم بالمظاهرات الدامية التي لم تنقطع بالرغم عن نزول فرق الجيش واعلان الاحكام العسكرية حتى اننا اضطررنا مراراً لتهدئة ثائرته بانفسنا ووجوب الصبر على المكاره وكان يجيبنا راضياً وانه لولا المؤثرات العديدة التي كان يقوم بها عقلاء القوم لبلغ مقدار الضحايا والقتلى عدداً لا يعلمه الا الله .

مما تقدم يظهر ان اسباب هذه الفورة النفسية والحركة الوطنية كانت متعددة وان مقدماتها تمتد الى الحوادث التي كانت تجري في السنين الاخيرة . ولا بد من الاشارة الى انه بالرغم عن تعطيل الاعمال العامة واغلاق المتاجر والمصانع هذه المدة الطويلة ، وبالرغم عن خلاء الاسواق من الحراس والشرطة واطفاء الانوار في الشوارع العامة لم يحدث حادث واحد من حوادث السلب والسرقات والمصادمات الفردية وكان هذا من اعظم الادلة على قوة هذه الحركة الوطنية العامة .

وهنا سألت محدثي الكبير السؤال الآتي :

س : ان العراق هو أول البلاد العربية التي قامت على لسان نوابها الكرام بلفت انظار جمعية الامم والامة الافرنسية لحالة سوريا المضطربة فهل يمكنني ان أحمل لاخواننا العراقيين وعلى رأسهم جلالة الملك غازي المعظم ولرئيس الوزارة الهاشمي باشا رسالتكم الاخوية على صفحات جريدة البلاد ؟

ج : فأجاب الاستاذ : لقد كان لمؤازرة البلاد العربية عامة والعراق خاصة وعطفها على حركة البلاد السورية الاخيرة تأثير كبير لتأييد البلاد السورية في مظهرها الاخير ولقد كان لموقف جلالة الملك المعظم غازي الاول وحكومته الرشيدة ورئيسها الوطني المؤمن وخاصة نواب العراق والشعب العراقي النبيل بالانتصار لسوريا المدى الواسع لمثل هذا التآزر والتناصر. ولا عجب فان الواجب الوطني العام يدعو جميع أجزاء البلاد العربية لاظهار تضامنها وتآلفها ووحدة شعوبها وآلامها وآمالها وبمثل هذه المقدمات توضع أسس الوحدة العربية العامة وعلى هذه الآمال تسير البلاد وراء تحقيق أغراضها وأهدافها . والبلاد السورية تعلق اعظم

الآمال على البلاد العربية التي تتمتع باستقلالها وممارسة حقوقها وتترقب نتائج هذه المعاهدات الودية التي يجري البحث لتحقيقها وابرامها فيما بين حكومة العراق الفتية والحكومة السعودية العربية وما وراء ذلك من اليمن ونعتقد انها سائرة في طريق الوحدة التي توضع مقدماتها الآن وهي تبشر بأطيب النتائج وأينع الثمرات . ولا سبيل لمقاومة الاجنبي وخططه الخطرة اذا لم تتحد البلاد العربية قلباً وقالباً ويعمل زعماؤها ورؤساؤها وملوكها في سبيل هذا الاتحاد العربي الشامل ليكون مقدمة لوحدة البلاد العربية جمعاء . هذا الامل المنشود والذي قامت النهضة الفكرية منذ ثلث قرن في سبيله ، وأسست الجمعيات القوميــة السرية والعلنية ايام استبداد عبد الحميد وطغيان الاتحاديين للدعوة الى هذه الفكرة القومية والتضحية بكل مرتخص وغال في سبيل تحقيقها .

ثم قامت الثورات بعد الحرب العامة في سوريا والعراق والحجاز لمقاومة الاستعمار الاجنبي حتى تصل البلاد الى ما تصبو اليه من حرية واستقلال وسيادة تامة لتسير في طريق وحدتها وتعزز كرامتها .

وهنا حل موعد اجتماع الاستاذ لطفي بك الحفار للاتصال بوفد الكتلة الوطنية في بيروت فودعته باسم البلاد شاكراً انه ولا عجب فلطفي بك هو اللطف اسماً ومسمى .

أمانة الأمة في أعناقكم

خطاب نشر في جريدة (ألف باء) بتاريخ ٢٢
اذار ١٩٣٦ لحفلة وداع الوفد السوري المفاوض.

سادتي واخواني :

يا رجال الوفد الميامين :

في هذه الساعة التي تتجه فيها قلوب الامة بجميع طبقاتها رجالها وشيبها وشبانها الى الله العلي القدير وهي تبتهل اليه ليجعل التوفيق والنجاح حليفكم ويسدد خطواتكم لخدمة امتكم وبلادكم ، في هذا الموقف الدقيق تلتف الامة حولكم وتمدكم بالثقة المطلقة والتأييد العام . فسيروا على بركة الله واعلموا ان من ورائكم أمة تدرك خطورة هذا الموقف الذي سيكون له ما بعده لأنكم تحملون آمال هذه الامة وتناضلون عن تضحياتها ودمائها التي سفكتها في هذا السبيل .

فاما حياة باسمة تزدهر فيها الآمال واما ممات تزدحم فيه الآلام .

بعد هذا الجهاد الطويل وهذه التضحيات الكبيرة في الانفس والاموال ، بعد مضي ثماني عشرة سنة والامة تمني نفسها بمواقف عديدة مرت عليها وتجارب مختلفة دعيت اليها لم تستطع ان تحقق خلالها تأمين أمانيها الوطنية او تظفر بقليل من حقوقها المضاعة وهي مازالت تبذل ماعز وهان وتدافع باكثر من المستطاع دون حريتها واستقلالها ووحدتها في جميع ميادين جهادها السياسي وكفاحها الوطني ولكنها

مازالت تسير الى الوراء وتعامل بالضغط والازدراء .

لقد طفح الكيل ولم يبق في قوس الصبر منزع بعد ان امتهنت الكرامات وعطلت الحريات وضاعت الحقوق والواجبات ومزقت البلاد شر ممزق وصرفت اموال الامة في غير سبلها المشروعة واستنزف الدرهم الاخير من جيوب المعدم والفقير ليصرف على غير العمل المنتج والمشاريع النافعة . ولقد هبت الامة ووقفت وقفة الرجل الواحد وصاحت صيحة الحق لتدك معالم الجور والظلم والاستبداد فكان لموقفها هذا مداه البعيد وصداه المؤثر كما انه فتح أمامها طريق المفاوضة السياسية ورغبت الامة لترسل رجالها المخلصين وزعمائها المفكرين وأرباب الرأي والعلم والعمل من القادة الوطنيين الى باريس ليبسطوا للاجنبي المتسلط قضيتهم الوطنية بجميع نواحيها دقيقها وجليلها فكنتم انتم الصفوة ، المختارة ومن خابرتم من اخواننا المبعدين العاملين المخلصين الذين لا بد من الاشتراك معهم والاستعانة بآرائهم وسوف تلتقون معهم ان شاء الله في القريب العاجل لتقوموا بمهمتكم خير القيام وتؤدوا هـذه الامانة خير الاداء والامة معكم ومن ورائكم صفاً واحداً وكلمة واحدة ورأياً واحداً وهي تعلم انكم تقارعون القوة بالحجة وتصارعون الباطل بالحق ولا بد لنا في مثل هذا الموقف الرهيب الذي يتعلق عليه مستقبل بلادنا وأمتنا وأولادنا وأحفادنا من ان تتذرع جميعاً بالعصمة من الهوى وباليقظة من الزلل وان نحاسب أنفسنا وضمائرنا لنهيبها عن الضغائن والاحقاد وتتجرد من الأنانية الخاصة ونضحيها في سبيل مصلحة البلاد العامة .

فسلاحكم هذا تستمدونه من ايمان هذه الامة وقوة شعورها وشرف غايتها ونبل اخلاقها وصدق عزمتها .

وانتم من عرفنا وعرفتكم الامة في معالجة قضيتها السياسية وأمراضها الاجتماعية وأدوائها الاقتصادية ومواقفكم الماضية وجهادكم المستمر واخلاصكم وتجردكم ، كل ذلك من العوامل التي تكفل لكم التوفيق والنجاح بحول الله وتأييد هذه الامة لكم لتصلوا الى غاياتكم وتحققوا أمانيكم الوطنية وتعملوا في سبيلها بوحي ضمائركم وقوة ايمانكم لتعودوا وقد قمتم بالواجب ولا شك وأديتم الامانة حقها وانتم الموفقون والناجحون على كل حال في حالتي السلب والايجاب والاتفاق والاصطدام لا سمح الله .

فالعمل السياسي والجهاد الوطني لا يحدد بزمان ومكان ولا يستطيع احد ان يقف امام يقظة الامة حينما تؤمن بحقها وتوطد العزيمة على الوصول الى تحقيق أغراضها وأهدافها الوطنية العامة مهما كلف الامر .

لولا يد الله لم تدفع مناكبها ولم تعالج على مصراعها الاربا
لاتعدم الهمة الكبرى جوائزها سيان من غلب الايام او غلبا
وكل سعي سيجزي الله ساعيه هيهات يذهب سعي المخلصين هبا
سيروا فان وراء الضعف مقدرة وان للحق لا القوة الغلبا

المعارضة العامة

نشرته جريدة (الايام) بتاريخ نيسان ١٩٣٦
بمناسبة الاحتفال بمعرض دمشق .

المعارض العامة

المعارض العامة عنوان تقدم الامة ، ومعيار نهضتها وحيويتها ، تلجأ اليها الامم لتبرهن على رقيها واطراد تقدمها في سبيل الحياة .

والحكومات التي تهتم بمستقبل بلادها والاعلان عنها تعمل لايجاد هذه المعارض ، وتنفق في سبيل انشائها وزخارفها والترغيب فيها مبالغ طائلة بحسب قدرتها المالية ومركزها السياسي والاقتصادي .

وهي لا تتطلب من وراء ذلك النفع او الربح الخاص بها ، ذلك لان ما يعود على البلاد وعلى صناعتها وتجارتها من الرواج والانتشار ، وما تستفيد منه الامة من الدعاية الحسنة لها يعوض كثيراً مما تخسره الحكومات على معارضها وما تنفقه في سبيلها كل امة او حكومة بنسبة قوة صناعتها ، ومقدرة ميزانيتها ، فقد قدروا مبلغ ماأنفقته حكومة فرنسا على معرضها الكبير سنة ١٩٠١ بمقدار ٤،٦٦٠،٠٠٠ الف جنيه وكان مقدار دخله ٤،٥٨٠،٠٠٠ الف جنيه ، وكانت خسارة الحكومة تقدر بثمانين الف جنيه ، ولكن الماليين لا يعدون هذه الخسارة شيئاً مذكوراً بل يعدونها في باب نفقات الدعاية التي تحتاج اليها الحكومة .

دعاية المعارض

دعاية المعارض لا تقتصر على الوجهة السياسية بل تتعداها الى الدعاية الادبية والصناعية والتجارية ولذلك فان الحكومات كلها مجمعة على وجوب اقامة المعارض العامة لخدمة بلادها من حين لآخر .

واما العرب فقد كانت اسواقهم شهيرة عامة منها عكاظ ، والمربد ، ومجنة ، وذو الحجاز وغيرها ، كانت تعرض فيها مصنوعات العرب انفسهم ومتاجرهم التي كانوا يجيئون بها من دمشق وعن طريق دمشق ، ولم يكن العرض يقف عند الصناعات والتجارات بل تعداها الى الادب من نثر وشعر فكانت تقوم في هذه الاسواق ولا سيما في عكاظ سوق للخطابة بل كانت ايضاً ميداناً للدعوة الدينية .

وترقى الزمن فترقت هذه الاسواق معه ، ومعرض دمشق الذي نحن في صدد الحديث عنه دليل على هذا الارتقاء في موقعه وبنائه وفي مصنوعاته ايضاً .

معرض دمشق

ومعرضنا الحالي أفاد مدينة دمشق من الوجهة العمرانية فوائد كبيرة ، فقد كان سبباً في تحويل هذه البقعة الخربة التي كانت مهدأ للاقذار والأتربة في مدخل المدينة الى منظر بهيج ، يكسب المدينة روعة وجمالا ، كما كان معرضنا سبباً في فتح الشوارع المحيطة به وتعبيدها وبذل الهمة والجهد لاكمالها بالسرعة الممكنة .

هذه بعض فوائد المعرض من الوجهة العمرانية ، وهي أقل فوائده ، واما فائدته الادبية والتجارية والصناعية فهي عظيمة جداً ، عدا عن

فائدته السياسية اذ يبرهن للأجنبي على مقدار استعداد البلاد لادارة اعمالها الصناعية ، ومبلغ تقدمها بالرغم عما يحيط بها من عوامل التثبيط والتأخر عن معاونة مؤسساتنا الصناعية معاونة فعلية تشجع مؤسسيها ومنشئيها ، وتنشيط منتوجاتها ، وتمهد لها سبل الازدهار والتقدم .

معارض الامم

والامم الراقية تعمد في كل فرصة تسنح لها الى انشاء معرض من المعارض المختلفة التي تحسن القيام بها ، وتجد في بيئة بلادها وطبيعتها واستعدادها القدرة على الظهور بها امام غيرها من الامم .

فبعض الدول تقوم بمعارض الزهور في كل سنة ، وبعضها بالمعارض الطبية والفنية ، وبعضها بمعارض الصناعة والزراعة وغيرها بمعارض الصور والزخارف والآثار القديمة وغير ذلك ، حتى ان المدن الاميركية الكبيرة دعت مرة الى معرض اسمته « المعرض المدني » كان القصد منه نشر أحدث الطرق في حياة المدن الصحية والعمرانية وكيفية استعمال وسائل النقل وماء الشرب ، والحدائق العامة ، والمجاري وطرق تزيين المدن ومساعدة الفقراء ، ومحاربة المسكرات ونوادي القمار والامراض السارية ، وحماية الاطفال وأساليب تربيتهم ووسائل التنوير وزخرفة البناء وفرشه ، وما الى ذلك مما له صلة بهذا الشأن .

فائدة المعارض

فيظهر مما تقدم تفنن الحضارة الحديثة في المعارض العامة المختلفة ،

والاهتمام بها ، وما ذلك الا لأجل الدعاوة الصالحة عن نهضة الأمة والاعلان عما تحسنه من الاعمال والصناعات .

ومن هذا يعرف مقدار ما تربحه كل امة تقوم بانشاء اي معرض كان من المعارض المختلفة سواء أكان من الناحية المادية او الادبية او السياسية .

ولذلك وجب على كل أمة ان تضافر جهودها في سبيل الدعوة الواسعة لمعارضها وان تسعى في اظهارها بالمظهر اللائق بها لان المعارض مرآة الامة ، والفائدة الطيبة والاحدوثة الحسنة تعود نتائجها عليها .

وهي اسلوب من أساليب الدعاية الوطنية والسياسية لتعريف الامم التي تشترك فيها او تأتي لمشاهداتها بما وصلت اليه من معالم الحضارة والتقدم الصناعي والعلمي او الفني وما الى ذلك .

وأرجو ان يأتي يوم قريب نستطيع ان نقوم فيه بمعارض دولية عامة تقدم فيها نماذج مختلفة من صناعاتنا القديمة والحديثة الفنية والعصرية ونفاخر فيها بما وصلنا اليه من تقدم عمراني وصناعي وفني . وما ذلك على همم المخلصين العاملين بعزيز .

الى الشاعر العبقري الياس قنصل

أخذت ديوانك الشعري الذي تفضلت باهدائه إليّ منذ زمن وقد قرأته ثم قرأته وأنا معجب الاعجاب كله بهذه الروح الثائرة والفكرة الوطنية المتقدة وهذا الشعور القومي الحي الذي تلألأ من خلال شعرك وهذه الجراحات الدامية التي تتركها سهامك في قلوب وأفئدة أعداء قضية البلاد الوطنية والقومية .

ولقد كان سبب تأخري في اجابتك هذه الثورة الفكرية والاضراب العام الذي شمل البلاد السورية من أقصاها الى أقصاها مدى خمسين يوما وما تخلل هذه الحركة من المظاهرات الوطنية التي كنا في مقدمة القائمين بها والمصابين بسببها وكثرة الاعمال وادارة الحركة والقيام بالواجب حتى اني أؤكد للأخ العزيز انه لم يكن عندنا من الوقت ما نجد فيه مجالا للراحة والنوم فبارك الله فيك وأكثر من أمثالك العاملين الذين يشعرون مع أمتهم بآلامها التي تحز من نفوسها ويبثون هذا الشعور السامي بتمجيد ذكرياتها والاندفاع وراء مُثُلها العليا في الحرية والاستقلال . وما أحلى هذا التغريد في أناشيدك الرائعة وما أجمل هذا الهتاف الذي تردده في كثير من شعرك :

أيرهبنا الحديد وقد بنينا ... بحد السيف مجداً مشمخرا
أيرهقنا الغريب ويزدرينا ... ويجعل سهلنا بالخسف وعرا

وما زلتم في مهاجركم تقومون بالقسط الأوفى من العمل الوطني ومن بث روح العروبة والقومية . وإنا ليعلم الله لنزدهي دائماً بكم وبأعمالكم وبتضامنكم مع بني قومكم وشعوركم الحي نحو ما يجري في بلادكم وبين اخوانكم وبني أعمامكم وتتبعكم لهذه النهضة الوطنية والفكرية ومماشاتكم وتأييدكم لها فبارك الله بكم وأكثر من عديدكم ولا زلتم للوطن ذخراً وللعروبة مشعلا يضيء سناه في الخافقين والسلام عليكم ورحمة الله .

دمشق في ١٦ محرم عام ١٣٥٥ وفق ٧ نيسان ١٩٣٦

في حفلة تكريم الشهداء

نشرته جريدة (الشعب) في عددها الصادر
بتاريخ ايار ١٩٣٦

نص الخطاب الذي القاه حضرة السيد لطفي بك الحفار باسم الكتلة الوطنية في حفلة تكريم الشهداء التي أقيمت في دمشق في الساعة الرابعة ونصف بعد ظهر سادس ايار في حديقة الامة من سنة ١٩٣٦ .

سادتي واخواني :

باسم الله والوطن وباسم دم الشهداء الابرار الذين سقطوا صرعى الحرية والاستقلال في ميادين الجهاد والنضال ، وفي جميع ساحات الشرف والقتال ، وفي مختلف الظروف والاحوال ، نجدد هذه الذكرى ونطأطيء الهام أمام أرواح شهدائنا التي ترفرف فوقنا وتنظر الينا ونحن نقدس ذكراها في مثل هذا اليوم من كل عام ونذكر قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) وقوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) .

الشهادة في سبيل الله والوطن اقصى ما تبذله النفس الآمنة المطمئنة الى ربها والى حقها ، ولولا قوة هذا الايمان الصادق لما بذل اصحاب المبادىء والعقائد أرواحهم وضحوا بأعز ما لديهم في سبيل الدعوة لها والدفاع عنها ، والذود دونها .

كانوا نفراً قليلا من الغر الميامين يهمسون فيما بينهم اننا أمة دانت

لها حضارة الرومان والفرس ويتسارون في أنديتهم اننا أصحاب قومية عربية وتاريخ مجيد فما بال هؤلاء يريدون القضاء على قوميتنا ولغتنا ويعملون لاستعبادنا في بلادنا . وكنا نجتمع اليهم ونستمع لأحاديثهم ونحن فتيان لا نزال في مقاعد الدرس والطلب . وكان عملهم هذا قبل استشهادهم بأعوام طويلة وكانوا في عهد عبد الحميد ، عهد الظلم والاستبداد والبطش والاضطهاد ، يؤلفون جمعياتهم السرية لبث الدعوة للفكرة العربية والمطالبة بحقوق أمتهم وبلادهم وكانت حقوق الامـــة مغتصبة مضاعة وكانت البلاد أشتاتاً متفرقة مبعثرة في خضم المملكة العثمانية الممتدة الاطراف المترامية الحدود والغارقة في فوضى الادارة الناشئة القائمة .

كان هذا الايمان الصادق يحفزهم للعمل بالرغم عما يحيط بهم من عوامل الخوف والبطش وضعف الأمل فألفوا جمعياتهم السرية فكانت جمعية النهضة العربية اولا ، وكان بعدئذ حزبا العهد والفتاة وغير ذلك وكانوا يتجشمون الاخطار والاهوال لايقاظ نفوس القوم الوانية ، وتنبيـــه الشبيبة السادرة وتحذير الناجين المخلصين ، ولقد شهدتهم علم الله وراء هذه الجبـال يعقدون مؤتمرهم ويبحثون أمرهم ، ويتدارسون ويخطبون ليكونوا بعيدين عن عيون المتجسسين والرقباء يلتهبون غيرة في سبيل أمتهم وبلادهم ويعملون لخلاصها مما يحيط بها من أخطار المستقبل المجهول والقضاء على تاريخ البلاد ولغتها وطمس آثار نهضتها وهضم حقوقها .

كانوا يعتقدون ان مصير المملكة العثمانية الى الدمار والاضمحلال وانه لا بد للبلاد العربية من ان تنتبه لمستقبلها وتسعى له حثيثاً ولا يكون ذلك الا بايقاظ الفكرة القومية والدعوة لنشر تاريخ الامة العربية بين ابنائها وتجديد الحياة الاجتماعية بين طبقاتها وهو ما كانوا يعملون في سبيله في مختلف الظروف والاحوال .

يعرف البعض بما لا يعرف ويتهم رجال القافلة الاولى من شهداء العرب أنهم كانوا ضحية الدعاية الاجنبية . لقد سمعت هذا كثيراً كما سمعتم ، ذلك لأن الكثير يجهلون حقيقة حركتهم ومطمح آمالهم ويظنون انهم كانوا أسرى فكرة محدودة هبطت اليهم قبيل استشهادهم بتأثير بعض الدعايات الخارجية . ذلكم هو الخطأ الكبير والجهل الفاضح بتاريخ الحركة القومية العربية وبتأثير هذا الخطأ يسعى البعض لتشويه معالم حركتهم وطمس آثارها الرائعة وما هي الا أبعد من ذلك أثراً ، وأقصى أمداً وأعلى مقصداً .

كان لهم فروع واخوان يعملون معهم لبث هذه الدعوة العربية والاصلاح الاجتماعي العام في مصر والحجاز واليمن والعراق والشام ولكنهم كانوا نفراً قليلا لا يستطيعون الاطمئنان الى كل أحد والاعتماد الا على الذين وثقوا بهم بعد التجربة والاختبار وكانوا في صدق ايمانهم وقوة عزيمتهم ومضائهم ينشرون فكرتهم ويبثون دعوتهم ويوسعون دائرة أعمالهم في رفق وأناة وكانوا المثل الاعلى في الصبر والثبات لا يرهبون الحديد والنار ولا يخافون السجن والعذاب ولا يتراجعون امام التهديد والوعيد وكان شعارهم دائماً قوله تعالى : ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . وبالايمان والصبر والصدق والرجولة اثمر غرس الدعوة ، وتألق نور الوطنية الحقة وانتشرت الفكرة القومية الخالدة .

ومن الغريب ان احد اخوانهم الذين لايزالون في قيد الحياة كثيراً ما كان يردد أمامهم قول ابن الزبير :

ابى لابن سلمى انه غير خالد	فلاقى المنايا اي صرف تيمما
فلست بمبتاع الحياة بسبه	ولا مرتق من خشية الموت سلما

ولكن الله أفسح في أجل هذا الاخ ليشاهد هذه الآلام ويتابع هذه الآمال في مختلف الظروف والاحوال .

لقد اهتبلت الفرصة السانحة التي أفسحت لي مجال القول في هذا اليوم لأنشر هذه الحقيقة وأذيعها بين الناس ليعلموا بعض ما يجهلون من اعمال شهدائهم البريئة التي كانت خالصة لوجه الله والوطن لاتعرف الملل ، ولا ترهب الخطر ، وملء بردبها الأمل والظفر .

بعد هذا يجب علينا ان نتساءل ايها السادة هل نحن على آثارهم سائرون وهل نحن بمثل جلدهم وصبرهم ماضون ؟ ذلك ما يجب ان نرجع فيه الى أنفسنا لنعلم اذا كنا صادقين في تقديس ذكراهم مخلصين في تكريم جهادهم وتمجيد مآتاهم .

على انني أستطيع ان أقول وقد رافقت هذه اليقظة يافعاً وهذا التطور وحوادثه شابا وكهلا :

ان هذه الامة التي نعتز بها ونفتخر بالانتماء اليها ماضية في جهادها سائرة في تحقيق غاياتها ومثلها العليا قدما واصلة بحول الله وقوة عزيمتها الى ما تصبو اليه من حرية واستقلال وها هو وفدها الامين ماض في سبيل غايات هؤلاء الشهداء الابرار لتحقيق آمال الامة بوحدتها واستقلالها وهو يستمد من روحها قوة ومن تضحيات أمتنا العزيزة تأييداً وسوف تجني هذه الامة ثمرة جهادها وصبرها وتستطيع ان تبدل الماضي المؤلم بالمستقبل المملوء بالأمل الناصع والهواء الناجع ان شاء الله .

وسوف تعرف هذه الامة الابية كيف تعالج هذا المستقبل بالمضاء والوفاء وكيف تمضي الى غاياتها وتحافظ على كرامتها بفضل جهود

أبنائها ودماء شهدائها الذين تتخذ منهم دائماً المثل الاعلى في التضحية والجهاد واعادة مجد الآباء والاجداد .

ورحم الله امير الشعراء شوقي القائل :

في مهرجان الحق او يوم الدم   مهج من الشهداء لم تتكلم
يوم الجهاد بها كصدر نهاره   متمايل الاعطاف مبتسم الفم
دعت البلاد الى الفخار فغامرت   وطنيــــة بمثقف ومعلم
من كان أعزل حقه بيمينه   كالسيف في يمنى الكمي المعلم
يوم النضال كستك لون جمالها   حرية طبعت اديمك بالدم

وبعد فالايمان بالله وبالوطن ايها السادة من اسمى شواعر الوجدان والتضحية لله والوطن من أصدق شعائر الايمان، والوفاء لذكرى الشهداء بالتأسي بهم والاقتداء من أقدس مظاهر الحق والولاء فعلينا ان نكون من المؤمنين الاوفياء .

وَاجِبُ الشَّبَابْ

نشرته جريدة (الف باء) في عددها الصادر
بتاريخ ٢٢ ايار ١٩٣٦

قال مندوبنا الخاص :

أشرت في عدد أمس الى الاجتماع الكبير الذي قررت اللجنة العليا للشباب الوطني اقامته بعد ظهر أمس الجمعة في دار آل مردم بك بشارع الفخر الرازي وفيما يلي وصف موجز لهذا المهرجان الوطني العظيم :

ما أزفت الساعة الرابعة من بعد الظهر حتى كان صحن الدار على رحبه غاصاً بالشباب المثقف المنضوي تحت لواء الشباب الوطني وفق تنظيماته الجديدة ، وكان أسبق رجال الكتلة الوطنية الى الحضور الاستاذ لطفي بك الحفار ثم الاستاذان فائز الخوري وعفيف الصلح ، وأخيراً زعيم الشباب الاستاذ فخري البارودي . وقد كان الشباب يستقبلون كلا من اعضاء الكتلة واعضاء اللجنة العليا بالهتاف والتحية الرسمية .

وحوالي الساعة الخامسة وقف الدكتور احمد السمان عضو اللجنة العليـا وافتتح الاجتماع باسم الله وباسم الوطن ثم طلب الى المجتمعين الوقوف دقيقة واحدة تحيـة لارواح شهداء العرب فنهض الجميع ووقفوا بخشوع صامتين ويد كل منهم اليمنى مرفوعة الى العلاء .

تحية العلم

ثم طلب الدكتور السمان القيام بواجب تحية العلم عندما يطلب القائد الاعلى السيد نزهة الملوك ذلك فوقف القائد العام وأصدر أمره بتحية العلم فلبى الجميع الامر وأدوا التحية بينما كان النفير ينفخ في بوقه تحية العلم ايضاً ، ومن ثم تابع الدكتور السمان كلامه شارحا مبادىء الشباب وغاياته ومما قاله : ان الشباب الوطني يقوم على أساس الكفاءة ليجعلها فوق الوجاهة الى ان قال : ليس الشباب الوطني حزبا ولكنه حركة اكبر من حزب .

ثم تلا القانون الاساسي لتنظيمات الشباب الذي نشرته الصحف في بدء حركة التنظيم وبعد ذلك طلب الى الاستاذ لطفي الحفار ان يلقي كلمة فتقدم الى المنبر بين التصفيق والهتاف والقى الخطاب التالي :

خطاب لطفي بك الحفار

واجب الشباب

الشباب ! وواجب الشباب . وما هو الشباب ؟

نحن الآن في حفلة الشباب ، هذه الزهرات التي تتفتح عن اكمامها بمختلف الاشكال والالوان فهل يكفي ان نبتهج بكم ونسر برؤياكم ونصفق لكم ونناديكم يارجال المستقبل وعماد الغد .

لا هذا لا يكفي ابداً ... بل لا بد ونحن في موقفنا هذا من ان نبحث معكم في معاني الشباب وواجب الشباب ويجدر بكم ايها الابناء الاعزاء ان تصغوا لامثالنا نحن الذين تخطينا عقد هذا الشباب ووقفنا

على أبواب الكهولة تسير بنا نحو الشيخوخة سراعا. أعترف بهذا بالرغم عن اصرار أخي ورفيقي منذ نعومة الاظفار السيد فخري البارودي في دعوى الشباب وزعامة الشباب وفراري أنا من هذه الدعوى لأنني لا أستطيع اثباتها كما يستطيع هو ، ولا أزيد ! نعم انه لجدير بكم ان تصغوا لامثالنا لأننا حينما كنا فتيانا وشبابا أمثالكم كنا نشعر بواجبنا ونعمل في سبيل أمتنا وبلادنا رغم ان الظروف لم تكن تساعدنا وتواتينا فقد كنا نشتغل بالخفاء خوفا من بطش الجواسيس والرقباء وكان عهد عبد الحميد وما أدراكم ما وراء ذلك من التهديد او الوعيد وقد ألممت بشيء من تاريخ الجمعيات السرية وقتئذ وعملها في سبيل الدعوة القومية والوطنية في خطبة يوم الشهداء وما عهدها ببعيد وليس هذا ما أقصده الآن بل الذي أريده هو ان أقرر أمامكم حقيقة جديرة بكم يجب ان تنتبهوا اليها جيداً وهي ان الحوادث والوقائع دلتنا دلالة قاطعة على انه لا ثقة بمن لا ماضي لهم ، ولا اعتماد على الذين لا يدينون بالمبادىء الوطنية والعقائد القومية منذ نعومة اظفارهم ، ولا اطمئنان الا الى الذين شبوا وهم يتغنون بها ونهضوا وهم يتدارسون معانيها ولا تغرنكم صيحات الادعياء فهي لا تلبث ان تتلاشى مع الهباء والهواء فاذا أردتم ان تكونوا رجالا للمستقبل وعمالا لهذا الوطن فاحرصوا على جامعتكم هذه وأخلصوا في عملكم هذا واقتدوا بمن سبقكم في الحرص على خدمة امتكم وبلادكم مهما لاقيتم من العقبات والمثبطات او بذلتم في سبيل ذلك من الجهود والتضحيات فالوطن لا يبنى الا بالتضحية والايمان ؛ والامة لا تتكون الا من ابنائها العاملين الامناء .

وقديماً قالوا (وكل قرين بالمقارن يقتدي) فاذا لم تعاونوا العاملين

المخلصين واذا لم تقتدوا بالشهداء الصالحين واذا لم تعشقوا بلادكم ووطنكم وتهيموا بحب لغتكم وأمتكم واذا لم تعجبوا بماضيكم وتاريخكم وتفاخروا به وتتفهموا ما حوى من المفاخر والمآثر واذا لم تملوا بنشوة الغضب والكرامة لماضيكم وآتيكم فلن تكونوا رجالا صالحين .

ابناء المستقبل امامكم كثيرة وواجبات الوطن تناديكم لان تتجردوا عن شهوات الهوى والشباب وتتحلوا بالاخلاق القومية الفاضلة وتعشقوا بلادكم لتستطيعوا ان تقوموا بواجبكم نحوها فالمستقبل ايها الابناء الذين يتقدمون لساحات العمل بالجد والثبات والاستقامة المجردة والاخلاص ، والحوادث تقهر العاملين في مختلف الادوار فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

هذا واجبكم ايها اليافعون والناشئون هذا طريقكم ايها الشباب فالاخلاق الفاضله قبل العلم والتعليم ، على انه لابد لكم من قسط وفير تأخذونه من العلم النافع ولكن هذا العلم مهما بلغ شأنه وسما مكانه اذا لم يقترن بالاخلاق الفاضلة فضرره اكثر من نفعه على صاحبه قبل كل انسان والشواهد على صحة هذا كثيرة جداً . وسبيل الاخلاق الفاضلة وطريق المبادىء القومية هو ان تجتمعوا الى بعضكم بعضاً وان تآلفوا وتتدارسوا وتهتموا بنواديكم الرياضية وتقوية أجسامكم وان تكونوا مخلصين طائعين لاساتذتكم وقادتكم . هذا هو واجبكم نحو أمتكم وبلادكم اوجزته لكم لأني على مثل اليقين انكم تعلمون واجبكم هذا وانكم لم تجتمعوا في صعيد واحد الا في سبيل القيام بهذا الواجب .

ولقد كان من أقصى أمانينا نحن رجال الكتلة الوطنية ان نرى امامنا شباباً وطنياً مثقفاً يشق لنفسه طريق العمل ويبني لمستقبل امته

وبلاده صروح الأمل ومازلنا نشجع الذين نتوسم فيهم الخير والبركة ونستنهض همم الذين نرى فيهم المضاء والعزيمة حتى حقق الله أمنيتنا هذه باخواننا اعضاء اللجنة العليا للشباب الوطني فأيدتهم الكتلة الوطنية في عملهم هذا ووثقت بهم وألقت اليهم بحمل هذا العبء الذي يقومون به خير القيام فهم منا وأنتم منا ونحن منهم والامة كلها مجتمعة بقواها المادية والمعنوية تعمل في سبيل مبادىء الكتلة الوطنية وتحقيق ميثاقها الوطني العام وهي لا تعمل بميثاقها هذا على اساس توحيد جميع قوى الامة وتوجيه جهودها لتحقيق الآمال القومية ولذلك فان الكتلة الوطنية تعتبر تأليف الاحزاب السياسية في هذه الآونة مخالفاً لوحدة الجمهور للعمل على مقارعة الاجنبي صفاً واحداً . وهي تعتبر الامة جمعاء بكل ما لديها من قوة معنوية ومادية وقفاً على هذا الجهاد الوطني حتى تبلغ الامة اهدافها . بقي عليّ ايها الاخوان الاعزاء ان أشرح أمامكم ما أفهم من معاني الشباب وقد تساءلت في ابتداء كلامي عنه وقلت ما هو الشباب ؟ انا لا أفهم من معاني الشباب الا العزيمة والقوة والمضاء والفضيلة والوفاء ولا أتخيل الشاب الا عاملا مجداً لا يني ولا يمل يقبل التضحية ولا يفر من المعركة يثابر ويناضل ويهادن ويقاتل ويسير طبق مشيئة قادته وحاجة أمته .

فمن صحت عزيمته ، وقويت شكيمته فهو الشاب كل الشاب وان كان يدب في سني الكهولة والشيخوخة أيا ، ومن وهت قوته وهانت عليه كرامته ولم يخفق قلبه في الملمات ولم يندفع للعمل في المدلهمات بل كان أسير الشهوات والملذات فهو الشيخ الهرم وان كان يزهو في سني الفتوة والشباب زهواً ، وأبلغ ما قرأت في هذا المعنى ما خطته يراعة البحاثة الاستاذ السيد احمد امين صاحب كتابي ضحى الاسلام

وفجر الاسلام يقول : ان علامات الشباب والشيخوخة في نظريتنا ليس موضعها النظر انما موضعها القلب فاليأس شيخ لان اليأس ضعف في الارادة وضيق في الخيال وبرودة في العاطفة . والشيب شيب القلب لا شيب الرأس فمن لم ينفعل لمواضع الانفعال ومن لم يعجب لمواضع الاعجاب ولم ينازل في مواضع الكفاح ولم يطرب للموسيقى الجميلة والمنظر الجميل ولم يهتج للاحداث ولم يأمل ولم يطمح فهو شيخ اي شيخ شاب قلبه وان كان اسود الرأس حالكه .

ان أردت ان تعرف أشيخ أنت ام شاب فسائل قلبك لا رأسك هل ينهض بالحب حب الجمال وحب الطبيعة وحب الفضيلة وحب الانسانية وحب الوطن وهل ينفعل لذلك فيهم ويثار ويدافع ويضحي . هل يبادل من حوله حباً بحب وعاطفة بعاطفة وخيراً بخير . وأحياناً شراً بشر . وهل يترك العالم خيراً مما تسلفه .

هذا هو القياس الصحيح للشيخوخة والشباب ايها الاخوان واني أدعوكم الآن اخواني ولا أدعوكم أبنائي وفقاً لهذا القياس ذلك لاننا نحن مثلكم الآن شئتم ام أبيتم لم تهن لنا عزيمة ولم تخمد لنا عاطفة نشعر شعور الشباب الناضر ونندفع اندفاع السحاب الماطر والشهاب الثاقب في سبيل غاياتنا الوطنية العليا وتحقيق اهدافنا القومية الكبرى نضيف الى قوة هذا الشعور تجاربنا الماضية وجهادنا المستمر على اننا لا نزال نشعر بالقصور والفتور ونعترف اننا لم نقم بواجبنا بعد وان دون هذا الواجب أنفسنا وقوتنا حتى النفس الاخير ونردد قول الشاعر :

يا عز هل لك في شيخ فتى ابدا   وقد يكون شباب غير فتيان

وثقوا يا ابنائي ويا اخواني اننا نثق بالمستقبل ثقة لا حد لها ، ذلك

لأننا نراكم امامنا تهيئون نفوسكم الأبية وتشدون من عزائمكم القوية لخدمة أمتكم وبلادكم، سلاحكم الخلق الرضي والعلم الصحيح والمبدأ القويم فلا نتردد بأن نضع على اعناقكم مسؤولية هذا المستقبل وان نجعلكم موضع العمل والامل .

وقف الفيلسوف الفرنسي رينان في جمع مثل هـذا الجمع يقول : ايها الشباب انظروا الى ماحولكم ... ان كل ماترونه رهن الزوال والاضمحلال الا ثلاثة امور . خير يعمل ، وحقيقة تبحث ، ووطن يحب ويعشق ، وما أجدرني بهـذا القول في موقفي بينكم ، وحسبي هذا وكفى .

ارتجالات وإسلاميات

نشرته جريدة (الايام) بعددها الصادر بتاريخ
٥ حزيران ١٩٣٦

في الحفلة الوطنية التي أقيمت مساء (الاثنين) في منزل الوجيه السيد الترياقي ارتجل السيد لطفي الحفار عضو الكتلة الوطنية الخطاب الآتي :

اخواني ! نحن اليوم كما تعلمون في ذكرى المولد النبوي ، هذه الذكرى الرائعة التي اعتاد المسلمون ان يقيموا لأجلها الزينات والمهرجانات العظيمة وان يقوم المسلمون بتلاوة السيرة النبوية هذه السيرة الطاهرة التي قضت ظروف فلسطين وما تعانيه من الجهاد والتضحيات وما تبذله من دماء الشهداء الطاهرة الذين يقضون صرعى على مذبح الحرية والاستقلال ان نكتفي فيها بذكرى صاحب هذه الرسالة العظمى .

وحداداً على فلسطين العربية الشهيدة وعلى شهدائنا المجاهدين الابرار الذين يموتون صرعى الظلم والجور والاستعمار في فلسطين قامت البلاد السورية بالاقتصار على تلاوة قصة المولد النبوي مجرداً عن الزين والمهرجان والظهور بمظهر الفرح والاغتباط . وهذا ايها السادة لا يمنعنا من الاعتبار بحياة الرسول الكريم . حينما بعثه الله وأمره باداء الرسالة والظهور بها ، رأى من قريش انواع الأذى والعدوان ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم صبر ولم يفل هذا من عزمه ، بل سار كما

امره الله يبث الدعاية والارشاد لينقذ قريش من الظلمة والجهل الى النور ، ولكن العرب في بدء الرسالة قاوموه مقاومة شديدة وقد بقي سنين عديدة يبث دعوته حتى اضطر الى الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ليقوم فيها بدعوته حيث ارتفع الدين وعلت كلمة الله وذلك بصبره صلى الله عليه وسلم ووعظه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى هداهم الى نور الاسلام وتعاليمه العالية وحتى مكن الله له ما يريد ومع هذا كله كان يلاقي من العنت والارهاق أشده ولكنه صلى الله عليه وسلم ما زال قائماً بدعوته مستمراً باعانه وعزيمته وصبره الى ان حصحص الحق وزهق الباطل وجعل من رسالته نوراً يهتدي به العربي والعجمي . وان من أعظم ما تحلى به الرسول الكريم الايمان والصبر على المكاره حتى قال : والله لو انهم وضعوا الشمس بيميني والقمر بشمالي على ان ارجع عن هذا الامر ما رجعت ابداً .

مع ان الله تعالى أيده ولكنه أراد ان يعلم امته الصبر حتى تصل بثباتها وجهادها الى ما تصبو اليه من عزة ومنعة .

ان رجال الكتلة الوطنية الذي حملوا عبء هذه القضية الوطنية على اكتافهم ينادون : لو وضعوا الشمس والقمر بأيدينا على ان نرجع عن دعوتنا هذه ما رجعنا ابداً ، حتى تنال الامة حقها المغصوب واستقلالها الضائع (تصفيق حاد) .

نحن لا نقول هذا من قبيل الفخر بل نقول الحقيقة . ان اخوانكم رجال الكتلة الوطنية وانا من اعجزهم هم الرجال الذين اثبتوا في مواقفهم انهم رجال صدق وايمان وان المنافي والسجون لا تفت من عزائمهم وقد جربوا كثيراً واغروا اكثر وأنزلوا بهم انواع الاضطهاد والعذاب فلم يفلحوا

بل كانوا يزدادون ايماناً فوق ايمانهم وقوة فوق قوتهم (تصفيق حاد) .

لقد انفق رجالكم العاملون زهرة حياتهم وشبابهم النضر في المنافي والسجون ومع هذا فهم ثابتون كالجبل الاشم يطالبون بحق الامة ولا يرجعون عن هذا الطلب حتى يقضي الله امراً كان مفعولا .

ايها السادة : يقوم الآن رجال الوفد في عاصمة فرنسا بالمطالبة باستقلال البلاد ويناضلون نضالا عنيفاً لتصل البلاد الى حقها المشروع لتتمكنوا ايها السادة من ان تعيشوا عيشة هنيئة كالامم المستقلة ولا يكون لنا عيشة هنيئة الا بالاستقلال الصحيح والحرية التامة .

ان رجال الوفد الذين حباهم الله بالعلم والايمان والاخلاص والدفاع عن حقوق الوطن المقدس يقومون بواجبهم حق القيام . فهل تقومون انتم هنا بواجبكم ؟ نعم نعم .. ان الامة تقوم بهذا كله وتضحي بكل مرتخص وغال لأنها في مفترق الطرق فاما موت واما حياة .

ايها السادة : اننا نحن اليوم في ظرف دقيق يتعلق بمستقبلنا الذي طالما جاهدت الامة لتحقيق أمانيها فيه فالواجب يقضي ان تكون الامة صفاً واحداً وان لاتدع مجالا للدسائس الدساسين والدعايات الخبيثة التي يقوم بها بعض من لاخلاق لهم .

لقد برهنت الامة ساحلا وداخلا انها صف واحد وانها تسير وراء الكتلة الوطنية دون ان تفسح مجالا للدسائس والدعايات وهذا لا يمنع نفوس خبيثة في الامة ان تقوم ببث المفاسد وتشويه سمعة الامة وتقضي على أمانيها واستقلالها لقاء بسمة صغيرة ومنافع خاصة يلتمسونها من نكبات البلاد ، ولكن هذه الفئة الضالة لن تفلح وسيكون مصيرها الخسران المبين .

نحن نناضل ونطلب حقاً شرعياً وهذا الطلب ليس بالامر السهل . لا تظنوا انا ننتزع هذا الحق بالسهولة اذا لم نكن اهلا له .

هنالك أشخاص وموظفون يستفيدون من الظروف الحاضرة وهؤلاء يعملون جميعاً على مقاومة حقنا ليعيشوا عيشة هنيئة ولا يبالون عاشت الامة او ماتت .

مضى على البلاد ١٨ سنة وهي تحت وطأة الادارات غير المشروعة يبتزون أموالها ويتنعمون بمواردها كيف يشاؤون وهناك رجال عمى أعمى الله بصيرتهم وقلوبهم ، فهم كالجماد ما زالوا نكبة على البلاد بأعمالهم .

هؤلاء ايها السادة يجب مقاومتهم ومحاربتهم لتصل البلاد الى حقها فالموقف كما قلت دقيق ولا يجوز ان ندع دسائس هؤلاء الرجعيين الخونة تسري بين صفوفكم .

يجب ان تكونوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص وان لا تدعوا لاي دخيل كلمة ينال فيها من هذا الاتحاد وهذا التضامن العام .

ايها السادة ! اننا نفخر بهذا الحي الوطني الذي برهن على أنه كان صفاً واحداً في مواقفه الوطنية . ان لهذا الحي مواقف عديدة لا ننساها وسيأتي اليوم الذي يعامل فيه المحسن باحسانه والمسيء باساءته .

هذا الحي هو المثل الاعلى في التضامن والوطنية الصادقة وأختم كلمتي بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم القائل : المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ولا يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص الا اذا كان يتحلى بالايمان الصادق ويفهم معنى الاخلاق السامية والفضيلة والاستقامة والتضحية والطاعة حينما تجب الطاعة .

وان نعلم ما يضرنا وينفعنا وان نكون اشداء على عدونا رحماء بيننا واني أرى فيكم الاخلاص والصدق فيجب ان تكونوا متفقين وان تسيروا وراء التنظيم الذي يقوم به الشباب الوطني العامل وان تكونوا جميعاً صفاً واحداً . وهذا ما يدعوكم اليه واجبكم الديني والوطني (تصفيق حاد) وهتاف للكتلة الوطنية .

وليكن لنا برسول الله اسوة حسنة في الدعوة الصالحة وتحمل الأذى في سبيلها والصبر على المكاره والتضحية في النفس والنفيس لندافع عن كرامتنا وحقنا في الحياة الحرة الكريمة ولولا الثبات والايمان الايمان بالله وبدينه الحق وما دعا اليه من العزة ودين الحق وما بذله اصحابه من الانصار والمهاجرين في جميع ميادين الجهاد من التجرد والاخلاص والتضحية والايثار والعمل الصالح ومقاومة اهواء النفوس الخبيثة ، لولا هذه الاخلاق الفاضلة لما انتشرت دعوة هذا الرسول الامين في مشارق الارض ومغاربها لخيري الدنيا والآخرة . ولتكن لنا هذه الذكرى حافزاً للعمل والتضحية في سبيل امتنا ودينا وكرامتنا .

الأشواك في طريق المعاهدة

نشرته جريدة (الايام) بعددها الصادر بتاريخ
٢٥ حزيران ١٩٣٦ .

نثبت هنا نص الخطاب الذي ألقاه الاستاذ السيد لطفي بك الحفار في الحفلة التي أقيمت مساء أمس في مكتب الكتلة الوطنية كما يطالع القراء في عمليات هذا العدد .

ويلاحظ القارىء ان هذا الخطاب المهم يلقي ضوءاً على حقيقة سير المفاوضات ، ويتلاقى في روحه وهدفه مع روح اليقظة والحذر التي كانت تسود جميع ما كتبته « الايام » عن المفاوضات، منذ بدأت الى هذا اليوم . قال:

الحقيقة ان من يجتمع بمثل هذا الحفل الذي يموج بالشباب ، ويزدخر بآمال الشباب وقد ضم خيرة الشباب الوطني العامل من أغلب المدن السورية ساحلا وداخلا ، لابد وان يشعر بقوة الشباب واندفاعهم وان يلهمه مثل هذا الموقف مواضيع عديدة للكلام .

ولكني اجتزىء على ما لابد منه في مثل موقفي هذا بالنسبة للظرف السياسي الدقيق الذي تجتازه البلاد الآن .

لقد قام الشباب بواجبهم ، وعملوا لتوحيد كلمتهم ، ولم شعثهم ، والعمل على تأدية رسالتهم نحو اخوانهم وأترابهم ، فالشباب والفتيان والاشبال منهم يسعون كلهم الى هدف واحد وغاية سامية ويلتقون في

صعيد واحد ، ويلتفون حول مبادىء الكتلة الوطنية ، ويسيرون تحت رايتها ، كما أعلن ذلك خطباؤهم وقادتهم ، وهم بذلك يشعرون بواجبهم الوطني وبعزيمة الشباب وهمة الشباب فبارك الله بهم وبعملهم . وكم نكون نحن سعداء بمثل هذا المشهد الذي يوحي لنفوسنا الثقة والاطمئنان للمستقبل البعيد والقريب حينما نرى امامنا امثالكم فاذا كنتم تحتفون هذه الليلة بفتيان حمص وقادتها العاملين ورجلها العامل المخلص السيد سليمان المصراني واخوانه فاننا جد مغتبطين للقيام بهذا الواجب وتشجيع العاملين المخلصين .

ولذلك فاني انتهز هذه الفرصة التي دعوتموني للكلام فيها لألفت انظاركم الى ان الامة التي تنتظر بفارغ الصبر نتائج عمل وفدها الامين العامل في باريز يجب ان تعلم انها الآن تجتاز أدق موقف من مواقف حياتها السياسية ، ولذلك فان الواجب يتقاضاني لأن أقول لكم ان المستقبل خطير وان مسؤولياتنا كبيرة . لا تظنوا ان الامر بالسهولة التي يصورها البعض فلا تزال امام وفدكم مهام كبيرة وعقبات كأداء يسعى بكل ما اوتي من قوة لاجتيازها وتمهيد سبلها ولقد مضى عليه هـــذا الوقت وهو لا يدع فرصة تمر او ساعة تفر الا ويعمل فيها لتحقيق غاياته الكبرى وربما يظن البعض بان الوقت الذي قضاه كان كافياً لاتمام مهمته وهو لا يعلم كم هنالك من مناورات ومداورات ومحادثات ومجادلات واجتماعات للوصول الى تحقيق غاية من غاياته الاستقلالية او للقضاء على دسيسة من الدسائس الكثيرة التي تحاك حوله هنا وهنالك .

وانه بالرغم عن نجاح الاحزاب اليسارية التي تعطف على قضيتنا وبالرغم عن اتصال رجال وفدكم بزعماء هذه الاحزاب قبل استلامهم

مهام الحكم وبعد هذا الاستلام وبالرغم عن الجهود الجبارة التي بذلها في هذا السبيل وعن التقارير الضافية التي وضعها لتحقيق مطالبنا الوطنية الكبرى ، وبالرغم عما تقرأونه في الصحف من رسائل مكاتبيها المملوءة بالآمال الواسعة فاني استطيع ان اقول لكم ان العمل محفوف بالمصاعب الكثيرة وان الاشواك تلقى من الكثيرين الذين لا يروقهم ولا يكون من مصلحتهم تحقيق آمال البلاد في استقلالها ووحدتها وسيادتها ومصادر هذه العراقيل ليست بسيطة او قليلة وهي تستمد قوتها من الداخل والخارج ولكن هذا لا يعني اننا متشائمون خائفون وانه لا أمل بالوصول الى ساحل السلامة ...

واكرر هذا القول ولكن في الوقت نفسه يجب ان لا نسير وراء هذه الآمال الواسعة ونظن انا وصلنا الى كل شيء وان وفدنا كاد ينهي مهمته الخطيرة . ونحن امام اعداء ألداء لا اصدقاء ولا اوفياء ...

ان انتزاع حق البلاد لتقرير سيادتها في تشريعها وادارتها واعمالها وجماركها ليس بالامر اليسير ولا بد من السير الطويل والعمل الكثير ، والجد والدأب فلا يستعجلن احد في مثل هذا الموقف ولا نظنن ان اللقمة سائغة ، ولا بد من ان نزود وفدنا العامل بالثقة المطلقة والتأييد التام وهو ما يتمتع به بدون اي ريب والوقت مهما طال في مثل هذا الموقف لا يعد شيئاً لان العمل كبير والمهمة شاقة والعقبات ليست قليلة .

اياكم ان تظنوا اني من المتشائمين ولكني في مثل هذه الحالة لا أريد ان نكون من المتفائلين كثيراً ويجب علينا ان نواجه الحقيقة بكل قوة ومضاء ولابد من اليقظة والحذر .

نعم لقد قطع وفدكم العامل شوطاً كبيراً في عمله ، ولكن لا يزال

امامه عقبات يسعى لتذليلها وهو موفق وناجح بحول الله وبقوة تأييد الامة وايمانها فكما انه يوجد من يسعى لعرقلة العمل هنا وهنالك فان كثيراً من احرار الامة ورجالها يعملون على قطع هذه المرحلة ويسعون لتأييد الوفد في عمله وجهاده .

واذا رأينا بعض النفعيين والمستثمرين يسعون لعرقلة العمل لأنه سوف يقضي على مطامعهم ومنافعهم وهؤلاء ليسوا بقلة ، فان الذين يعلمون قوة ايمان هذه الامة بحقها في الحياة ويعرفون مبلغ تضحياتها في جهادها يدركون جيداً ان لا سبيل لاستقرار الامر في هذه البلاد الا بتحقيق مطالب البلاد باستقلالها وحريتها ووحدتها .

لقد ارتفعت رؤوس الذين لا يروقهم الا ان يروا هذه الامة تتخبط في حاضرها ومستقبلها بمجرد ماشعروا ان الامر يسير سيراً طبيعياً فأرادوا ان ينفثوا سمومهم وان يشوشوا على البلاد عملها وأخذوا يروجون الاشاعات الكاذبة والأقاويل الخادعة ، واتهموا رجالكم بالتساهل والتفريط وهم يعلمون ان ما بذل في سبيل قضيتكم الحقة ليس فوقه من مزيد .

لقد أشاعوا ان هنالك اختلافاً بين رجال الوفد وسعوا كثيراً لان يقولوا بأن هذا الاختلاف بلغ حداً خطراً ، ولقد قرأتم برقية الرئيس الجليل ، وقرأنا الآن مع اخواننا كتابا من الاخ سعد الله الجابري يقول فيه انني استبشع جداً تكذيب هذه الاشاعات السخيفة التي يروجونها عن الوفد ، فلو كان يوجد مثل هذا ـ لا سمح الله ـ لكنا اول السابقين لاعلامكم ولكنهم لا يتقون الله في امتهم وبلادهم ، وفي جيبي كتاب من الاخ فارس الخوري يقول فيه : انه لا يوجد ادنى أثر

لاختلافات بعض المغرضين فيما يتعلق بعملنا ، وان اشاعات الاختلاف بين اعضاء الوفد يمكنكم ان تضربوا بها وجوه اصحابها بكل قوة وازدراء . وعندي كتاب آخر ، يقول فيه بعد ان يكذب هذه الاشاعات من الغريب نسبة الرأي الي في بعض القضايا المعروضة وانا واخواني من أشد الناس عملا لتنفيذ ما يجب تنفيذه وكتابة التقارير الضافية لتأييد حقوقنا كاملة غير منقوصة .

فعليكم ايها الشباب واجب مقاومة امثال هذه الدسائس الخبيثة ، والاكاذيب الدنيئة والامة تعلم ان الله قد وفقها لرجال عاملين مخلصين وعاملين جادين ، يبذلون قوتهم وجهودهم في سبيل الذود عن حقوقها ومطاليبها الوطنية العامة بكل عزيمة ومضاء .

فيا ايها الشباب والفتيان والاشبال ! لقد وطئتم سهلا ونزلتم اهلا فحياكم الله وبياكم .

الرسول الأعظم يعلمنا التضحية

خطاب نشرته جريدة (الايام) في عددها الصادر
بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٣٦ في حفلة اقيمت
في بهو المجمع العلمي العربي بدمشق .

أحسن الله لجمعية التمدن الاسلامي التي أقامت هذه الحفلة الرائعة وقامت بواجب تكريم البحث والدرس العلمي والانصاف والتحرير في شخص المحتفى به الاستاذ الفاضل السيد لبيب الرياشي .

حينما قلت له ان عناصر الامة ستشترك بحفلة تكريمك وانه حينما طلبت الي جمعية التمدن الاسلامي الاشتراك فيها لم أتردد انا واخواني في تلبية طلبها قياما بالواجب ، قال انا لا أستحق هذه العاطفة واذا كنتم تريدون تكريمي لبحثي المجرد في كتابي (نفسية الرسول العربي) فاني أرجو ان توجه بحوث العالمين والمفكرين للتعمق في دراسة هذه النفسية العظيمة فان جميع جهود العلماء والمفكرين ومباحثهم لا تزال تحتاج الى متابعة البحث والدرس . واجابة لطلبه فقد رأيت ان تكون كلمتي هذه لبحث احدى نواحي عظمة الرسول العربي وما أجلها وما أوسعها فأقول :

أمنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وندخر
امنن على نسوة قد عاقها قدر ... ممزق شملها في دهرها غير
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكرك النعمى وان كثرت ... وعندنا بعد هذا اليوم ندخر

أنشد هذه الابيات زهير ابو صرد من بني سعد بن بكر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء مع وفود هوازن يستعطفونه بعد ان سباهم بحنين وقد فرق الاموال وقسم السبي فذكروه حرمة رضاعه فيهم من ابن حليمه وكانت من هوازن وقالوا يارسول الله انا اهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك فامنن علينا منّ الله عليك ثم قام زهير ابو صرد بعد ان أنشد الابيات المتقدمة وقال: يارسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللائي كن يكفلنك ولو انا ارضعنا الحرث بن ابي شمر الغساني او النعمان ابن المنذر لرجونا عطفه وانت خير الكفيلين .

فنظر اليه والى وفودهم وكانت نشوة الظفر والنصر آخذة كل مأخذ من نفوس المسلمين بعد ان ابلوا في وقعة حنين بلاءهم الشديد فقال رسول الله : ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم ؟ فقالوا : وهم يتسكعون ويستعطفون ولم يكادوا يصدقون بما يسمعون : خيرتنا بين اموالنا وأحسابنا ، فاما نختار أحسابنا فهل ترد علينا ابناءنا ونساءنا فهم أحب الينا من اموالنا .

وهنا حانت الفرصة التي طالما كان رسول الله ينتهزها ليقوم بهداية المسلمين بالفعل لا بالقوة وسن لهم طريقاً رشداً فقال : اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وكانت جموع المسلمين حاضرة تشتغل في قسمة الاموال والسبايا وتُسرّ بها وكانت قبائل مختلفة وما زال عهدهم في النزعات الجاهلية قريباً ولكن رسول الله صلى عليه وسلم عرف كيف يهذب من نفوسهم ويلقي عليها من بهاء رسالته مايردها الى الصراط السوي ؛ والنزاع بين القديم والجديد ، وبين الدين الحديث ومقاومة

التقاليد لا يكون سهلا ولا يمحي أثره الا بعد وقت طويل وبعد ان اعطاهم هذا المثل الرائع في التضحيـة لخدمة مصلحة المسلمين العامة قالت قريش : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الاقرع بن حابس وقد أخذته النعرة الجاهلية وقال : اما انا وبنو تميم فلا ؟ فتبعه عيينة بن حفص بمثل قوله عنه وعن بني فزاره وقال العباس بن مرؤي السلمي اما انا وبنو سليم فلا ، فقامت بوجهه بنو سليم وقالت : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت رسول الله للقوم قائلا : اما من تمسك منكم بحقه من هـذا السبي فله بكل انسان ست قلائص فردوا الى النـاس ابنـاءهم ونساءهم وما زال حتى رد جميع السبايا واستوثق من ذلك .

وفي الحق ان الرسول اعطانا دروساً عظيمة في مثل هذه المواقف فقد حاول كثيراً لينتزع من نفوس القوم هذه النزعات الجاهلية ويستبدلها بالنفسية الاسلامية التي كانت مظهراً من مظاهر الايمان المطلق والتضحية والايثار والصدق والامانة والكف عن المحارم والمآثم ولكن انطباع هذه التعاليم الاسلامية السامية في النفوس والطباع أخذ وقتـا ليس بالقليل . وقد قسم المؤرخون الصحابة الى طبقات وأوصلها بعضهم الى اثنتي عشرة طبقة كما ورد في تاريخ ابي الفداء قال الله تعالى : (لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وكان رسول الله يروض نفوس الكثيرين بالعبر والحكمة والموعظة الحسنة ، ولا أدل على ذلك من متابعة موضوعنا هذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم لما فرغ من

رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون يارسول الله اقسم علينا فيئنا وعلق رداؤه بشجرة فقال ردوا علي ردائي ايها الناس فوالله لو كان لي عدد اوراقها من النعم اقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جباناً ولا كذابا ثم رفع وبرة من سنام بعير وقال ليس لي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس وهو مردود عليكم .

بمثل هذه الاخلاق السامية والدروس العملية كان هذا النبي العربي صلى الله عليه وسلم يعلم الناس واجبهم ويقوم بتهذيبهم ويشجعهم على التضحية والبذل في سبيل الله ويؤلف بين قلوبهم ، وبمثل هذا أسس هذا الملك الفخم وقام بهذه الدعوة الصالحة التي قلبت وجه التاريخ الانساني.

كان الرسول يعلم الناس الواجب ويكون هو القدوة الاولى ، والتضحية ويكون هو المضحي الاول ، والثورة على الباطل ويكون هو الثائر الاول في سبيل الحق .

قال ابو سعيد الخدري : لما اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك الغنائم في قريش وقبائل العرب ولم يعط الانصار شيئاً وجدوا في أنفسهم حتى قال قائلهم :

لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه . فأخبر سعد بن ابي عبادة رسول الله بذلك . فقال له : فأين انت من ذلك ياسعد ؟

قال : ما انا الا من قومي . قال : فاجمع قومك ، وقد أراد بذلك ان يعلمهم منزلتهم عنده من الصدق والاخلاص وكان يرى وجوب تقريب المؤلفة بينهم والذين لم يكونوا من السابقين الاولين ، ويرى ان يكون من الانصار مثلا أعلى في التضحية والايثار والثبات كما كان شأنهم من قبل وأراد ان يخصهم بهذه الميزة الكبرى فأتاهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعد ان اجتمعوا وقال : ماحديث بلغني عنكم ! الم آتكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وفقراء فاغناكم الله بي ؟ واعداء فألف بين قلوبكم بي قالوا : بلى والله يارسول الله . ولله ورسوله المن والفضل فقال : الا تجيبوني ؟ قالوا : بماذا نجيبك فقال والله لو شئتم لقلتم فصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ! ومخذولا فنصرناك ! وطريداً فآويناك ! وعائلا فواسيناك ! اوجدتم يامعشر الانصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم أفلا ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فقالوا رضينا برسول الله قسما وحظاً !..

وهكذا علمهم الرسول بحكمته الباهرة معنى الاسلام وقوة الاسلام وقيمة هذا الاسلام الذي يجب ان يكون مبلغهم من العزة والمنعة وسؤددهم الذي يفاخرون به ليكونوا قدوة للآخرين والمتأخرين ويكون لهم فضل السبق في الاولين والعزة بين المسلمين والتضحية في سبيل الحق المبين .

سوريا بعد المعاهدة (حديث)

نشرته جريدة (الايام) في عددها الصادر
بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٣٦

اذا أدلى الاستاذ لطفي الحفار عضو الكتلة الوطنية بحديث تراه يتناوله من مختلف نواحيه ، بكثير من الدقة ...

واذا سمعت الاستاذ الحفار يتكلم ، شعرت في الحال بأن في وسعك ان تقسم حديثه الى أحاديث ومقالات .

فهو يستجمع الرأي بسرعة ، ويدلي برأيه بسرعة ، وعليه على محدثه املاء لا يحتاج الى « رتوش » ...

وقد قابلنا السيد الحفار ، والقينا عليه السؤال فقال :

السؤال ...

تشير بعض الصحف الفرنسية ، والاوساط الرجعية الى صعوبة فترة الانتقال المنتظرة والمصاعب التي تعترض القائمين على ادارة البلاد في عهدها الجديد ... فماذا تعتقدون في فترة الانتقال وهل هناك في الواقع مصاعب لا يمكن تذليلها ؟ ...

هدف الامة ورجالها

... وبدأ الاستاذ الحفار حديثه قائلا :

ـ لا بد لكل امة تتطلب الحياة الاستقلالية من تهيئة أسبابها ، واعداد

مقوماتها ، والقبول بالتضحيات الثمينة في سبيلها ، والشعور – كما يقولون – اول مراتب العمل .

وقد شعرت أمتنا العزيزة بحاجتها للاستقلال والحرية ، وناضلت في هذا السبيل نضالا عنيفاً مستمراً لم ينقطع منذ عهد عبد الحميد حتى الآن .

وقد قام زعماء الامة ، ورجال الوطنية فيها بواجبهم نحوها . فطالبوا بحقوق البلاد وممارسة سيادتها وادارتها منذ زمن غير قصير ، فاصطدموا بكثير من العقبات الكأداء ولقوا كثيراً من المقاومة ، والاضطهاد من مختلف السلطات . وكانت غايتهم الوحيدة في نضالهم ، وتحمل مايلقونه من مقاومة واضطهاد تأسيس دولتهم ، وتوطيد كيانهم السياسي – الاستقلالي على قواعد علمية متينة ، واصول ادارية حديثة ، لينهضوا بامتهم من وهدة الخمول والضعف ، وينشلوها من براثن الاجنبي ويفتحوا امامها سبيل الجـد – والعمل المنتج ، ويمارسوا شؤون الدولة والسلطة والحكم الوطني .

وبالرغم من ظهور العقبات في طريق رجالات الامة ، وحؤولها دون تحقيق غايتهم السامية هذه منذ عشرات السنين فقد انتشرت دعوتهم بقوة ، وسرعة بين جميع طبقات الامة ، وأخذ الشعور الوطني الاستقلالي ، ينمو ويزدهر في نفوس الجميع – وكان انتشار العلم ، وتقدم الثقافة ، يساعدان كثيراً في نمو هذه الفكرة واعداد المدة لقبولها ، والعمل بها .

الجيل الصالح ...

... وقد تهيأ الجيل الصالح لتحمل اعباء المسؤوليات في الادارة

والحكم ، من الوجهتين العلمية والثقافية ، غير انه لم يتمكن من ممارسة هذا الحق ، وتطبيق خططه الوطنية والاقتصادية والمالية لتأسيس هذا الكيان السياسي الاستقلالي الذي حلم به كثيراً ، وهام به وضحى في سبيله كثيراً ... واعتقد انني لست في حاجة لذكر العوامل التي حالت دون ممارسة هذا الحق .

وقد قام فريق من رجال الامة ، في العهد الاخير ، باعمال ومشاريع ادارية ، واقتصادية ، وسياسية كبيرة جداً ، أثبتوا فيها كفاءتهم واخلاصهم واستقامتهم . ثم حالت الظروف بينهم وبين متابعة العمل وتحقيق الامل ، ولكنهم كانوا في ذلك حجة لهذه الامة على أهليتها ، وجدارتها في ممارسة شؤونها بنفسها .

وقد كان من الطبيعي ان يعمد الاجنبي – سواء في العهد التركي – او في عهد الانتداب ، الى اقصاء هؤلاء العاملين المخلصين ، واضطهادهم وابعادهم وزجهم في السجون ، واعلان الحرب على الكفاءة والاستقامة ، وتشجيع واصطفاء الاشخاص الذين يكونون مطية لاهوائهم ويظهرون استعدادهم لان يكونوا حربا على امتهم ، وبلادهم ، وكان من جراء هذا كله ان تدنت اخلاق قسم كبير من الموظفين والمأمورين ، وأصبحوا يعتقدون ان سبل الارتزاق والوصول الى منصات الحكم هو في محاربة أماني الامة بمختلف الوسائل وخدمة الاجنبي والتقرب اليه ، على اساس هذه النفسية الدنيئة .

على انه بالرغم من هذا كله ؛ لا يزال بين موظفي الدولة قسم كبير ، استطاع ان يحافظ على استقلاله الفكري ونزاهته واستقامته .

الامة في نجوة من الخطر

... اما الامة فقد كانت في نجوة من خطر هذا الانحطاط الخلقي ، وكانت روح التنبه واليقظة ، تسود في نفوسها وتنمو يوما بعد يوم ، ويجب ان لا ننسى هنا ، بان هنالك طبقة من المتعلمين الذين عرفوا بعبادئهم الوطنية والعمل في سبيلها لم يتمكنوا من استخدام قواهم وكفاءتهم في الاعمال المختلفة التي تتطلبها البلاد - حكومة كانت او شعبية - من جراء الخطة التي اتبعت في العهود التي مرت في محاربة الاعمال النافعة ، ومقاومة الذين عرفوا بعبادئهم الوطنية واستقامتهم واعتقد ان هؤلاء سيجدون مجال العمل أمامهم فسيحاً ، حين تتمكن البلاد من التمتع باستقلالها وسيادتها ، وسيؤلفون في برهة قصيرة ، مجموعة راقية صالحة تستطيع ان تصلح ماأفسدته العهود التي مرت بالبلاد .

فترة الانتقال

وهنا توقف الاستاذ الحفار عن الكلام ثم عاد يقول :

... ولذلك كله لست أرى في فترة الانتقال التي ستواجهها البلاد عن قريب ان شاء الله ، الاشواك والعقبات التي تشير اليها الصحف الاستعمارية ، وخاصة وان الامة بجميع طبقاتها كانت تسعى للوصول الى حقها في الحياة الاستقلالية عن عقيدة وايمان ، وتعمل في هذا السبيل في المحافظة على اخلاقها ومقوماتها ، وتغذية الفكرة الوطنية بين ابنائها وما تتطلبه البلاد من تضحية ، او في احياء صناعتها ، وترقيتها ، ووضعها على أسس فنية واستبقاء قسم من ثروتها بالرغم مما حل بها من كوارث ومحن . وتمكنها من القيام ببعض المشاريع

العمرانية ، والمالية ، والاقتصادية الكبيرة وهو ما يبرهن لنا على قوة حيوية هذه الامة واستعدادها لحمل اعباء المستقبل، وأهليتها للحياة الاستقلالية.

عثرات لا عبرة لها

وهذا الماضي الذي ألمت به الامة مختصرة يؤيد ماذهبت اليه ، واعتقد ان المستقبل القريب سيثبت صدق ما دل عليه هـذا الماضي الذي لم يستطع قتل مواهب الامة ومقاومة ارادتها .

اما بعض الهنات او العثرات التي قد تظهر في فترة الانتقال ، فلا عبرة لهـا ولا تأثير في مجرى الامور ، وخاصة اذا قوبلت بالحزم ، وقوة العزيمة ، لانها عثرات تعترض طريق الامـة في ابتداء ممارسة حقوقها ، وفي فترة انتقالها من عهد لا رأي لهـا فيه الى عهد آخر بذلت في سبيل الوصول اليه أثمن ما تبذله امة تفهم معنى الحرية والاستقلال .

من تاريخ الامة

وختم الاستاذ الحفار حديثه قائلاً :

هذه نظرة اجمالية مقتضبة عن فترة الانتقال التي تشيرون اليها ، استمدها من تاريخ امتنا العزيزة ، وقوة حيويتها وسمو اخلاقها وصدق ايمانها.

وهذا الموضوع يحتاج الى بحث طويل قد أعود اليه في فرصة اخرى .

الشعب السوري في مرحلة المعاهدة

نشرته جريدة (الشعب) الصادرة بتاريخ
٥ تشرين الثاني ١٩٣٦

يصل الى دمشق اليوم ، حضرة الاستاذ السيد لطفي الحفار بعد قضائه اياما في بيروت ، انتجاعاً للصحة والراحة . وقد اطلعنا لحضرته على حديث جرى بينه وبين مندوب جريدة صوت الاحرار ننقله للقراء بجملته لما فيه من الآراء السديدة التي عرفت عنه حفظه الله ، قال :

أساليب تنفيذ المعاهدة السورية

س ــ ما رأيكم في أساليب تنفيذ المعاهدة السورية الفرنسية ؟

فأجاب حضرته :

ج ــ لا شك ان هذا الدور الذي تجتازه البلاد السورية سواء من الوجهة السياسية او الادارية دور امتحان وميزان لكفاءة الشعب السوري في ممارسة حياته الاستقلالية المقبلة وانا على أتم اليقين ان الامة السورية التي ناضلت وجاهدت في سبيل حريتها واستقلالها عن عقيدة وايمان سوف تعرف واجبها وتقدر المسؤوليات التي القيت على عاتقها في دور التنفيذ والتطبيق . ولا شك ان هذا الدور يحتاج قبل كل شيء الى تضافر ايدي العاملين المخلصين من ذوي الكفاءة والمقدرة العلمية الذين يتحلون ايضاً بالصفات الاخلاقية الرصينة ، وعندي ان هذه الصفات

الاخلاقية يجب ان يكون لها المقام الاول في دور العمل ، فاذا لم يصحب عملنا الآتي التجرد المطلق والبعد عن المنافع الخاصة فان الخطر من عدم التمسك بمثل هذا الوازع الاخلاقي ليس بقليل .

الكفاءة والاخلاص اولا وقبل كل شيء

والكتلة الوطنية التي قادت الامة في ميادين الجهاد والتضحية وشقت لها طريق العمل تدرك هذا جيداً وهي تفتخر انها بحمد الله تضم بين رجالها كثيراً من ذوي الكفاءات الممتازة والعلم والنضوج والاخلاق الفاضلة ، ولا يعني هذا انها سوف تكون في غنى عن التعاون مع جميع افراد الامة الذين ترى حاجة للاستفادة من مواهبهم وكفاءتهم على ان يكونوا ممن لم تلوث سمعتهم بسوء ولم يوصم ماضيهم بالعمل ضد اماني البلاد الوطنية ومساعيها الاستقلالية . فالكفاءة والاخلاص والتجرد والنزاهة شرط أساسي للنجاح في العمل ولوضع مستقبل الامة الاستقلالي سواء من الوجهة الادارية او المالية او السياسية على أساس صحيح .

لقد حملنا في الماضي مسؤوليات العمل السياسي السلبي وسنقوم في الآتي بحمل هذه المسؤوليات والواجبات الايجابية بكل شجاعة واخلاص .

رأيه في برقية الدكتور شهبندر

س — ما رأيكم في حركة المعارضة التي ظهرت بوادرها من بعض المبعدين للحقل الوطني وبصورة خاصة برقية الدكتور شهبندر التي وردت من مصر ؟

ج — اطلعت وانا في لبنان التمس الراحة والصحة على مثل هذا

السؤال الذي طرح على كثير من اخواني ، وعلى أجوبتهم في هذا الموضوع وهي تدل على مبلغ تقدير الاخوان جميعاً للحرية الفكرية واحترام المعارضة الشريفة وخاصة التي تصدر من امثال الزعيم الاخ الدكتور شهبندر .

غير اني أزيد كلمة تتعلق بهذا الموضوع ، وهي اني على مثل اليقين ان الدكتور الزعيم شهبندر حينما يطلع على حقيقة الحالة التي وصلت اليها البلاد في سوريا في ادوار الانتداب الماضي وما قاسته من انواع المغارم وما أصابها من ضروب المصائب وما جرته على البلاد تلك الادارات المتقلقله التي كان يتخذ فيها الاجنبي اعواناً له لا يتقون الله في امتهم وبلادهم والذين كانوا يشجعونه على كثير مما جر على البلاد اسوأ النتائج وأوخم العواقب ، وما وصلت اليه حالة البـــلاد السياسية والاقتصادية والاخلاقية من التدني والانحطاط ، اذا اطلع الاخ الدكتور على تفاصيل هذه الحالة السوأى وقد كان في هذه الفترة بعيداً عن البلاد ثم قارن بين المنافع والمزايا الاستقلالية التي سوف تتمتع بها البلاد السورية في التشريع والادارة والجمارك والمالية وتطهير الدوائر من جراثيمها الفتاكة والخلاص من هذه الرقابة والسيطرة الاجنبية على جميع مرافق البلاد واحلال السيادة السورية محلها ، وبين ما كانت عليه الحالة سابقاً لكان رأيه متفقاً مع اخوانه القاطنين في البلاد وبيني وبينه مراسلات عديدة لم تنقطع نبحث فيها عن أحوالنا وأوضاعنا وما يجب ان نقوم به نحن هنـا وهو هناك ولم أختلف معه في امر عام من أمور قضيتنا الوطنية فهو يتمتع باحترام اخواننا جميعاً .

نحن والدكتور لا نفترق ولن نفترق

فالدكتور شهبندر الذي رافق هذه القضية منذ كان يافعاً والذي

عملنا واياه زمناً طويلا منذ كنا على مقاعد الدرس في سبيل تحقيق اهدافنا الاستقلالية والقومية والذي اعرف انا كثيراً من آرائه وافكاره الناضجة لن يترك سبيلا للمغرضين الذين يحاولون استغلال الظروف السياسية استغلالا مضراً بالصالح الوطني العام ، وسوف ينفذ ببصيرته فيرى ما يرى الاخوان المقيمون هنا ويسلك الخطة التي يسلكون ، لاننا في هذا الماضي الطويل لم نفترق ولم نختلف في مواطن الجهاد الوطني والقومي . وقد كان وما زال مثلا من أمثلة التضحية والاخلاص .

حدث العراق الأخير

س — ما رأيكم في الحدث الاخير الذي تم في العراق ؟

ج — لا تزال الانباء الواردة من العراق متضاربة لا يستطيع احد ان يأخذ عنها فكرة صحيحة . غير انا نرجو ان يخرج العراق من محنته هذه وهو أشد مراساً وأقوى تضامناً لتسيير دفة حكمه الوطني وتثبيت دعائم استقلاله ، ووطنية اخواننا العراقيين وتقديرهم للواجبات الملقاة على عاتقهم كفيلان بهذا ، فهم الآن في دور انقلاب غير يسير ، ولا نسمح لأنفسنا ان نبحث في العوامل والاسباب الداخلية التي أهابت بهم لهذا ، غير ان الامر يهمنا من وجهته القومية العامة ونعتقد ان الامة العراقية شعباً وحكومة سوف تبرهن على انها تعرف كيف تحافظ على استقلالها وعلى وحدة كلمتها وكيف تخرج من هذه المآزق التي تتعرض لها جميع الامم الناشئة بالسلامة والسداد ان شاء الله .

الاتفاق بين سوريا ولبنان

نشرته جريدة (الشعب) بعددها الصادر
بتاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٦

(المعاهدة ليست غاية بل وسيلة)

تحدث الزميل مكاتب « البيرق » بدمشق الى الزعيم المخلص والوطني الصميم السيد لطفي الحفار عن الطريقة الواجب اتباعها للاتفاق والاتحاد بين سوريا ولبنان وقد صدره بكلمة عن الزعيم السيد الحفار رأينا أن ننشره للقراء بجملته فيما يلي . قال المكاتب :

الاستاذ لطفي بك الحفار من الشخصيات القوية التي شادت الكتلة الوطنية عظمتها على عبقريتهم وحنكتهم واخلاصهم ، وأصبحت بهم خير مظهر لارادة الامة السورية والمحور الذي تتمركز فيه ثقتها الغالية .

والاستاذ لطفي بك أحد خطباء الكتلة البلغاء المعروف بالتفكير العميق والصراحة بجرأة ، تجلس اليه فتجد امامك مكتبة كبرى فيها من كل فن خير روائعه ومن كل علم أدق ابحاثه ، يحدثك فتشعر أنك أمام رجل صريح الى آخر حدود الصراحة يترجم بصدق وأمانة عن لغة ضميره ووجدانه ، لا يحاول مطلقاً محاولات سواه من رجال السياسة الذين يلقون دائماً فوق أحاديثهم وتصريحاتهم ستاراً من الاحتمالات والتأويلات .

قصدت الاستاذ لطفي بك في داره مهنئاً بابلاله من الوعكة التي ألمت به بعد ان دخل احد مستشفيات بيروت بسببها ، فقلقت عليه الافكار وأخذ الجميع يستفسرون عن صحته باهتمام دائم يدل على المكانة التي له في قلوب الجميع .

ثم كان بيننا الحديث التالي والاستاذ الحفار يجيب على اسئلتي بتفكير تام وصراحة واخلاص قلت :

الاتفاق السوري ـ اللبناني

س = ما هو الاسلوب الذي ترونه موافقاً لبناء الاتفاق السوري اللبناني ؟

ج = لا يخفى على أحد أن المصالح العامة بين سورية ولبنان متشابكة بشكل واسع جداً فلا يسع لبنان اذا لاحظنا مصلحته التجارية والاقتصادية ، وموقفه الجغرافي في البلاد السورية والعربية ان يعيش مفترقا عن سوريا ، وفي الوقت نفسه لا يسع سوريا بالنسبة لاساليب التجارة وزراعتها الواسعة فيها وطراز حياتها العملية مع الساحل وقد اعتادت على هذه الحياة منذ زمن بعيد ان تفترق عن هذا الساحل وبالاحرى عن لبنان .

اسمان لمسمى واحد

وتابع قائلا : ان لبنان وسوريا بنظري وبنظر جميع المخلصين ـ كما أعتقد ـ اسمان لمسمي واحد تجمعها الوحدة الجنسية واللغوية والاخلاقية والاقليمية ، ووحدة العادات والاسلوب العام في التفكير وفي الآمال والآلام .

ان هذه البلاد التي أرادت أن تفرق بينها الاغراض السياسية والغايات الشخصية لبعض ذوي المآرب من علمانيين واكليركيين واجانب هي في الحقيقة بلاد تتوفر فيها جميع عناصر الوحدة في المصالح العامة ، ولا يمكنها مطلقاً الا ان تسير في حياتها الاقتصادية والتجارية وفي أساليب اداراتها العامة السياسية الا على أسلوب واحد .

النعرات المذهبية والنشء الحديث

وربما خالفني البعض متذرعا بدعوى بعض الفوارق التالية التي هي حجة جميع الذين يضربون بمعول التفرقة والتباعد والاختلاف ، وقد سها عن بال هذا البعض أن العصر الحاضر لم يعد يعول كثيراً على مثل هذه الفوارق المذهبية التي يجب ان تحصر ضمن نطاق ضيق جداً لا يتعدى الكنيسة والمسجد والمعبد لاية طائفة ولأي مذهب كان .

ان التربية الحاضرة للنشء الحديث والفكرة القومية التي تسير بقوة العلم والثقافة والحقيقة والتاريخ لابد ان ترشدنا شئنا أم أبينا ، الى الواجب الذي نتبعه في مستقبلنا القريب ، فاذا كان الرأي متفقاً من اخواننا اللبنانيين بوجوب الاتفاق مع سوريا في القضايا الاقتصادية المشتركة فان الرأي الاعم الذي سيكون عليه المعول في المستقبل هو ان يكون هذا الاتفاق شاملا لجميع مرافق الحياة العامة .

فكرة الاتحاد

ان الفكرة التي تقدم بها فريق من اخواننا اللبنانيين بوجوب عقد

اتحاد بين سوريا ولبنــان (كونفيدراسيون) والتي يحجم أو يتردد البعض عن قبولها هي الفكرة التي سوف يكتب لهــا النجاح والظفر في القريب العاجل وسوف يدرك المخالفون قريباً وجوب تأييدها والتمسك بها وهي مقدمة لتكوين الوحدة السياسية العامة شئنا أم أبينا .

كيف ينفذ الاتحاد

أما طرق تنفيذ هذه الفكرة فهي معروفة يسهل بحثها وتفصيلها بين الفريقين عندما يأتي وقت طرحها على بساط البحث والعمل بها .

وكلمة اخيرة أقولها حول هذا الموضوع ان الامم الكبرى في هذا العصر الذي عمت به وسائل السرعة بالمواصلات وتشابك المصالح العامة في الحياة لم تعد تأبه كثيراً لمثل هذه الفوارق الصغيره التي يتمسك بها بعض اصحاب العقول الضعيفة والغايات والاغراض .

المعارضة الضئيلة قسمان

س = ما هو رأيكم بالمعارضة التي ظهرت في بعض الاوساط مؤخراً وفي الاهداف التي ترمي اليها ؟

ج = تنقسم المعارضة التي أرى شبحها الضئيل الآن في سوريا قسمين :

فئة ذات اغراض وغايات شخصية رجعية تدعو للمعارضة وهي ذات اسوأ ماض مع هذه الامة سواء كانت في حلب او دمشق لا يجوز مطلقاً ان نسميها بالمعارضة بل بالرجعية المجسمة التي تعمل للرجوع بالبلاد الى عهد الاستعباد والاستعمار ومن البديهي القول بان الامة تقابل هذه الفئة بالازدراء والاحتقار .

والفئة الثانية تضم افراداً ساهموا بالحركة الوطنية وكان لهم ماض ناصع فهذه الفئة تقوم بالمعارضة كما نعتقـــد بدافع الغيرة على المصلحة العامة كما تتراءى لها هذه المصلحة غير اني اعتقد ان الرأي العام غير مستعد مطلقاً للسير وراء هذه المعارضة ايضاً لاعتقاده بانها تعرقل العمل الانشائي الاستقلالي الذي تريد البـلاد ان تقوم به بعد ان جاهدت وضحت في سبيل الحصول عليه زمناً طويلا . وبذلت اعز ما لديهـا من مهج وارواح .

واجب التضافر والتعاون

ان الرأي العام السوري يكاد يكون متفقاً على ان الواجب يدعو الجميع الى التعاون والتضافر في بنـاء صرح الاستقلال وعدم ضيـاع هذه الفرصة التي سنحت للبلاد .

والكل يعلم ان المعاهدة التي يعمل الوفد السوري للاتفاق عليها مع الامة الفرنسية الحرة كانت بفضل جهود الشعب السوري ونضاله المستمر واتفاق كلمته ووحدة جهوده وبسبب الظروف السياسية سواء كان ذلك في اوربا بصورة عامة أو بفرنسا بصورة خاصة والتي كانت مؤاتية للحصول على المزايا الكبيرة الحسنة التي ضمنتها المعاهدة .

فالشعب السوري يحرص الحرص كله على الاستفادة من هذه المزايا وممارسة هذه الحقوق في السيادة والاستقلال والقضاء على الانتـداب البغيض والخلاص من تحكم الاجنبي وتحقيق جميع الآمال والاماني الكبرى .

المعاهدة واسطة لا غاية

وتابع قائلا : لقد تقدم وقلت واكرر ايضاً ان بعض اخوانـنـا

يرون انه ليس في المعاهدة جميع ما نصبو اليه من وحدة واستقلال تام ، والمعاهدات لم تكن يوما من الايام غاية من الغايات ولكنها وسيلة لتحقيق الغايات الكبرى ، وقد ادركت الامــــة هذه الحقيقة فاستقبلت العهد الجديد بارتياح وسرور ، وغداً عنـد المباشرة بتطبيق هذه المعاهدة اعتقد ان المعارضة من الفئة الثانية المخلصة ستنقلب الى تأييد اذ تلمس الفوائد وتظهر الفروق . لتكون وثبة وطنية لتحقيق المثل العليا .

هل توجد معارضة في البرلمان

س = هل تعتقدون ان المعارضة ستمتد ولو ضئيـلة الى تحت قبة البرلمان ؟

ج = ان المعارضة اساس الحياة الديمقراطية الحرة فاذا شاءت الامة ان تعطي اصواتها لمعارض شريف حريص على المصلحة العـامة فنحن نرحب بكل معارضة من هذا النوع وعندئذ تتناقش وتتبـادل الرأي وهدف الجميع الحرص على مصلحة الامة والعمل في سبيل مجدها ورخائها ولـكن كما قلت سابقاً ان الامة غير ميالة مطلقـاً لمعارضة ما حققته الامة الان وستعطي اصواتها على اساس التصديق على المعاهدة وايجاد حالة استقرار في البلاد ليتمكن المخلصون من متابعة السير الى الهدف الاسمى والاماني الكاملة (اهـ .)

هذا ما تفضل به معالي الاستاذ لطفي بك وكان يندفع في كلامه دون ان يدع مجـالا لاسئلتي موضحاً باخلاص جميع نواحي الموضوع فشكرته باســـم جريدتي وانصرفت مشيعاً بابتسامته الصافية ولطفـه الديمقراطي العذب .

ذكرى أيام .....

نشرته جريدة (الانشاء) بعددها الصادر
بتاريخ ٢ كانون اول ١٩٣٦ .

(واجبات العهد الدستوري الجديد)

يعود بنا يوم الانتخابات الذي مر امس هادئاً وادعا الى ذكر ايام خلت في تاريخ هذه البلاد السياسي . يعود بنا الى يوم مثله كان عبوساً صاخباً الى يوم ٢٠ كانون الاول ١٩٣١ الذي تقدمت الامة فيه للانتخابات فكانت هي في صف والسلطة الحاكمة واجرائها في صف آخر ، واذا بوسائل الاغراء واساليب التطبيق تبذل لها بسخاء فلا تجدي ولا تنفع ، واذا بالجموع تتدفق محتجة فتشتبك في نضال عنيف تسيل فيه الدماء الزكية وتعطل بعده الانتخابات .

وقد انبثق عن تلك الانتخابات التي اعيدت في آذار ونيسان ١٩٣٢ مجلس كانت الفئة الوطنية قلة فيه ولكن ارادتها كانت المثل الاعلى وكلمتها العليا ، وكانت هذه الفئة القليلة في عددها قوية مسيطرة ، سيرت دفة الشؤون المجلسية حيث كان يجب تسيرها خدمة للمصلحة العامة .

* * *

واذا نظرنا الى ماض ابعد ، تذكرنا عهد الجمعية التأسيسية وما قام فيها من البراهين القاطعة على ان قوة المبدأ والاخلاص كانت تتغلب على كل قوة ، وان الفكرة الوطنية سادت في مواقف الجمعية

المشرفة فدافعت عن دستورها احسن دفاع ولم توافق على حذف المواد الست وضربت على الايدي العابثة التي كانت تكيد لهذه الامة كيداً فنجحت في درء عادية الظالمين والمعتدين .

لقد كان للمواقف الشريفة التي وقفتها الجمعية التأسيسية والمجلس النيابي من بعدها اثر كبير في تطور الحركة الوطنية والوصول بها الى النتائج التي جاهدت في سبيلها وجدت للوصول الى تحقيقها ، ومن هذه النتائج ايضاً يوم الانتخابات الذي قالت الامة فيه كلتها بحرية مطلقة واستعملت حقها بجرأة وصراحة ورفق واناة ، واقبلت على الصناديق بهدوء واطمئنان فاولت ثقتها رجالا انجزوها الوعد وصدقوها العهد ان العهد كان مسؤولا .

مررت بتلك الصفحات من جهادنا السياسي الوطني مروراً سريعاً لاشير بوضوح الى ما بين يوم امس وما سبقه من فروق ، مررت بتلك الصفحات لاستنتج العبرة واقول : ان كلمة الامة هي السائدة سواء في ظلال الحراب او في عهود التفاهم والاتفاق .

* * *

ان الامة قادمة اليوم على عهد جديد وانقلاب كبير في حياتها السياسية تبني قواعده على اسس المعاهدة التي دعيت البلاد للاستفتاء بشأنها امس فايدتها تأييداً مطلقاً ومنحت ثقتها للرجال العاملين المخلصين والمتأهبين لحمل اعبائها ، ولا شك ان مهمة المجلس القادم الذي انبثق من ارادة الامة عظيمة جداً ، فهو مدعو للتعاون مع الحكومة الدستورية المقبلة على انشاء هذا المستقبل والاضطلاع بما فيه من مسؤوليات وواجبات .

واني لاعتقد ان هذا المجلس لن يجد امامه عقبة تعترض سبيله وتحول بينه وبين التبعات الملقاة على عاتق رجاله ، هذه التبعات التي تتصل بشتى النواحي الادارية والتشريعية والاقتصادية والاجتماعية وسوف يبرهن على انه اهل للقيام بمهمته الخطيرة وجدير بمؤازرة الحكومة الدستورية المنبثقة عنه لاجتياز هذا العهد الدقيق وتسلم جميع الادارات وانتقال المسؤوليات حتى تمارس الامة حقها في السيادة والاستقلال .

المفاوضات السورية الافرنسية

نشر في العدد ١٦ من مجلة (الشباب)
التي كان يصدرها في القاهرة الدكتور محمود
عزمي بتاريخ ٣ كانون الثاني ١٩٣٦ .

معالي لطفي بك الحفار نائب دمشق وركن من اركان الكتلة الوطنية ووزير سابق وهو يقوم الان على رأس مشروع وطني حيوي (مشروع مياه عين الفيجة) رافق الحركة الوطنية في جميع تطوراتها . وقد تكرم علينا بالحديث التالي الذي هو عبارة عن تاريخ موجز لسير القضية الوطنية منذ بدء الاحتلال حتى يومنا هذا .

س : ما هو رأيكم في التجربة الاخيرة التي تمر بها البلاد في هذه الآونة ؟

ج : من المعروف أن البلاد السورية منذ الاحتلال الاجنبي حتى الآن وهي تطالب بحريتها واستقلالها كما انها لم تعترف قط بالانتداب الذي فرضته على هذه البلاد جمعية الامم ولم يكن للبلاد وأصحابها رأي فيه . وقد لجأت منذ سني الاحتلال الاولى الى تأليف الوفود من أرباب الرأي واصحاب الكلمة كلما أرسلت فرنسا مفوضاً سامياً لتعرب هذه الوفود الى هذا المفوض عن مطالب البلاد السياسية قبل كل شيء . وخزائن المفوضية العليا تحفظ بين جنباتها هذه التقارير

التي كانت تقدمها هذه الوفود . ولقد كنت عضواً عاملا في كل وفد قابل كل مفوض آتى الى هذه البلاد ولذلك فاني اذكر جيداً مدى هذه الابحاث والمطالب السياسية التي كان يقابلها كل مفوض بوعود الدرس وتقديمها لوزارة الخارجية حتى الجنرال سراي فقد كان أوسع هؤلاء المفوضين الذين سبقوه صدراً وأرحبهم مجلساً اذ انه كلفنا بان نؤسس الاحزاب السياسية لنطالب بأماني البلاد .

لقد كان هنالك احزاب سياسية تعمل في سبيل بلادها بقدر ما تساعد الظروف والاحوال وبعد أن شجع هذا المفوض الرجال العاملين على تأليف الاحزاب اجتمع رجال من مختلف الاحزاب العربية الوطنية الاستقلالية وألفوا حزب الشعب وفروعه الواسعة في جميع المدن السورية . ولم يلبث هذا الحزب الا قليلا حتى نشبت الثورة السورية واشتد أوارها واتهم رجال السلطة الفرنسية اعضاء حزب الشعب بكونهم من موقدي هذه الثورة وبدأت بمطاردتهم فكانت تجربة فاشلة . ثم تطورت الاحوال واشتدت البلاد في المطالبة بحقوقها المضاعة واتصل الرجال الذين أمكنتهم الظروف من البقاء في البلاد برجال المفوضية العليا لوضع حد لهذه الثورة والقلق العام الذي يساور البلاد فجاء المفوض السامي المسيو دوجفنيل الى البلاد وقبل أن يصل اليها ارسل التصريحات العديدة باستعداده الحسن باجابة مطالب البلاد ودرسها بالتجرد والاخلاص ، واذا كان البعض يحتج بان مقابلة الوطنيين السوريين له بعصر لم تكن ناجحة من جراء تصلبهم وشدة مراسهم كما يدعون فان الوطنيين السوريين الذين كانوا يعملون في بلادهم ويطالبون بحقوقها بالوسائل المشروعة لم يضيعوا هذه الفرصة بل

استأنفوا عملهم هنا بالمطالبة بما يرضي البلاد ويضع حداً لثورتها اللاهبة . ولقد كنت وقتئذ على اتصال شديد به بعد أن كلف الامير أمين ارسلان باستصحاب وفد من الوطنيين الموثوق بهم للذهاب الى عرين الثورة والاتصال بزعمائها للوقوف على حقيقة مطالبهم وما يمكن عمله لاجل انهاء هذه الثورة . كان الوفد مؤلفاً برئاسة الامير أمين ارسلان ، وكان من اعضائه المرحوم فوزي الغزي والسيد عفيف الصلح وهذا العاجز . ذهب هذا الوفد الى جبل الدروز واجتمع بزعماء الثورة وقادتها وباحثهم طويلا في موقف البلاد وما يجب عمله للاستفادة من الظروف الطارئة ثم عاد واتصل بالمسيو دوجفنيل وكان هذا المفوض يسعى كثيراً لاجراء التجارب المختلفة عله يتوفق للقضاء على هذه الثورة ولكنه أخيراً لم يجد بداً من الاتفاق مع الزعماء الوطنيين على برنامج وطني يعلنه للبلاد بواسطة حكومة يثق بها أو بأكثر اعضائها الشعب ، فألفت حكومة احمد نامي الداماد بعد أن هيأ برنامجها الوطني رجال حزب الشعب الذين امكنتهم الظروف من البقاء في البلاد وخدمة قضيتها داخلا وخارجاً . وقد كان من الوطنيين في هذه الحكومة كل من السادة فارس الخوري وحسني البرازي وهذا العاجز مع موافقة الاخوان السادة : سعد الله الجابري وفوزي الغزي وعفيف الصلح وفخري البارودي وغيرهم من الشباب والكهول الذين لايسعنا تعداد اسمائهم . ولقد دخلنا بعد ان استوثقنا من برنامجنا الوطني ومن موافقة المفوض السامي المسيو دوجفنيل باسم فرنسا عليه وقد أعلناه باسم الحكومة ووافق عليه المسيو دوجفنيل باسم فرنسا بخطبة ضافية ألقاها في حديقة الأمة على ملأ كبير من الناس صفقوا له كثيراً وهتفوا

باسمه وباسم فرنسا بينما كانت الثورة في أشد مواقفها . لقد كنا نسعى كثيراً لتطبيق هذا البرنامج الذي نعتقد اعتقاداً جازما بأنه سيكون واسطة فعالة لانهاء هذه الثورة وتوفير ضحاياها ونكباتها على البلاد وعلى فرنسا ، ولكننا مع الاسف الشديد لم نلبث الا قليلا حتى اضطر المفوض السامي الى السفر الى فرنسا لأخذ موافقة وزارة الخارجية على تطبيق برنامجنا الوطني ولقد صرح لي قبل سفره بأنه سوف يعود سريعاً وسوف يبيض وجوهنا امام الأمة والبلاد وهو يرجو أن ننتظره بصبر واناة ، وكان كذلك الى أن فوجئنا باستقالته، ذلك لأنه لم يستطع اقناع وزارة الخارجية وقتئذ بالموافقة على برنامجه الذي أعلنه باسم فرنسا فكانت تجربة فاشلة أيضاً مع الاسف .

ثم جاء المسيو بونسو الى البلاد وقد كنا مع كثير من اخواننا في المنفى ، ذلك لأننا استقلنا من الوزارة بعد استقالة مسيو دوجفنيل في باريس وبعد ان اصطدمنا مع الرجال العسكريين والاداريين هنا ، وكان ان انتقلنا من الوزارة الى المنفى في أقاصي الصحراء ومن هذا يتضح تأثير هذه التجربة ومداها في تاريخ البلاد السياسي . ابث المسيو بونسو في البلاد ما يقرب من السنتين وهو يدرس ويبحث ونحن في منفانا نمطره وابلا من الاحتجاجات والتقارير الضافية عن وضعية البلاد السيئة وعن انها لا يستقر لها قرار ولا تطمئن الى مستقبلها ما لم تتحقق مطالبها السياسية العادلة التي يتضمنها برنامجنا في الحكومة على الاقل . ولا مجال للتبسط في تفاصيل هذا البرنامج الآن لانه معروف لدى الكثيرين ولأنه لا علاقة له بسؤالكم .

ثم بعدئذ أعلن استعداده لدعوة البلاد لانتخاب جمعية تأسيسية

يضع لها دستورها بملء حريتها ، أعاد لنا حريتنا وعدنا الى البلاد وكانت على أشد ما يكون من القلق والاضطراب فعقد الوطنيون السوريون مؤتمرهم في دمشق للبحث في هذا الموقف الاخير وبالرغم مما فيه من عوج ومما في قانون الانتخاب من مواطن الضعف والانتقاد كان قرار هذا المؤتمر الوطني وجوب خوض معركة هذه الانتخابات التي دعيت اليها الامة لتأليف جمعيتها التأسيسية ، وكان من أقوى العوامل التي دفعت الوطنيين لقبول الانتخابات هو كون استعمال هذا الحق لا ينفي المطالبة بالحقوق الاخرى ، وان الجمعية التأسيسية مظهر من مظاهر سيادة الامة وحقها فلا يجب ان يغيب عنها رجالها الامناء وقد كان نجاح الوطنيين في هذه الانتخابات عظيماً بالرغم من جميع الوسائل التي لجأت اليها السلطة لمقاومة انتخابهم .

سارت هذه الجمعية في سبيلها وقامت باعمالها وانتخبت لجنتها الدستورية برياسة الزعيم ابراهيم هنانو وكان مقرر هذه اللجنة الاخ الوطني المرحوم فوزي الغزي ثم أتمت هذه اللجنة عملها ووضعت الدستور السوري بحرية تامة وبعد ان قدمت هذه اللجنة عملها للجمعية التأسيسية فوجئت بأزمة حذف المواد الست بناء على طلب الافرنسيين وكان موقفاً شديداً انتهى باصرار الجمعية التأسيسية بوجوب الاحتفاظ بهذه المواد لانها جوهر الدستور ومظهر السيادة الوطنية فكانت هذه أيضاً تجربة فاشلة !

ثم عدت على البلاد عواد عديدة ووقفت مواقفها الوطنية الشديدة التي لا تني فيها ولا تمل ، فاعلن الجانب الفرنسي الدستور السوري الذي وضعته الجمعية التأسيسية مذيلا بالمادة ١١٦ التي يحتفظ بها الجانب الافرنسي بالحقوق التي أقرتها المواد الست بحجة المحافظة على الامن

العام ، وأرفق هذا الاعلان بكتاب رسمي يقول فيه ان هذه المادة وضعت بصورة مؤقتة بينما تعقد المعاهدة بين سوريا وفرنسا . وقد احتج الوطنيون على هذا احتجاجاً شديداً ولم يعترفوا بشرعية المادة (١١٦) وبعدئذ دعا المسيو بونسو البلاد لانتخاب مجلسها النيابي لاجل ايجاد الجانب السوري الشرعي للمفاوضة لعقد المعاهدة فعقد رجال الكتلة الوطنية — الذين اعلنوا اسمهم هذا بعد مؤتمر سنة ١٩٢٨ الذي سبق انتخابات الجمعية التأسيسية — مؤتمراً في دمشق للبحث في هذا الموقف الجديد وبعد اجتماعات طويلة ومذاكرات ذات شأن فيما يجب عمله لخدمة قضية البلاد الوطنية قرروا ايضاً وجوب دخول هذه الانتخابات لتأليف الجانب السوري الشرعي ولكي لا تدع حجة للاجنبي من أن الوطنيين يضيعون الفرص ويسوقون البلاد للفوضى والاضطراب . كان نجاح الوطنيين في هذا المجلس مجلس سنة ١٩٣٢ محدوداً بالنظر المداخلات المديدة التي جرت في انتخابات الاقضية بصورة خاصة والاساليب الغريبة التي استعملت في بعض المدن الكبيرة ، وبالرغم من ان عدد رجال الكتلة الوطنية لم يتجاوز اثني عشر نائباً من نحو ستين نائباً فان قيادة المجلس من الوجهة الوطنية والفنية لم تخرج من أيدي رجال الكتلة الوطنية ، حتى إذا فوجيء المجلس بالمعاهدة التي قدمها له المسيو دومارتل كان موقفه بالاكثرية الساحقة لرد هذه المعاهدة التي لم تكن تحقق اماني البلاد . وهنالك تفاصيل تتعلق بهذا الموقف لا علاقة لها بسؤالكم ولا مجال للتبسط بها الآن . وبعد أن اوقف هذا المجلس الذي كانت اكثريته بجانب السلطة أصدر المفوض السامي قرارات متتابعة بتعطيل أعماله وايقافه فكانت مع الاسف ايضاً تجربة فاشلة !

ثم بعد ان طفح الكيل وبلغ السيل الزبى غضبت البلاد السورية غضبتها الاخيرة وبعد اضراب عام شامل لجميع متاجرها ومرافق حياتها وبعد الازدراء والامتهان اللذين توالبا على هذه الامة برجالها دعا المفوض السامي المسيو دومارتل الرئيس الجليل السيد هاشم الاتاسي لمقابلته والبحث معه في الموقف الحاضر ، وكان اتفاق بيروت باعتراف الجانب الافرنسي ووعده القطعي بوجوب عقد معاهدة مع سوريا لا تقل فيها حقوق السوريين عن حقوق العراقيين التي منحتهم اياها المعاهدة الاخيرة مع بريطانيا . وكانت الكتب التي تبودلت بشأن الوحدة السورية والتصريح بان لا مصلحة للافرنسيين بالتجزئة الحاضرة الى ما هنالك من مذاكرات وابحاث ارضت الجانب السوري لاجل وضع حد لهذا الاضراب وانتداب وفد للعاصمة الافرنسية للمذاكرة في عقد معاهدة ووضع تفاصيلها وملاحقها على الاسس السابقة ونرجو الله أن يوفق هذا الوفد الامين العامل الذي تؤيده الامة تأييداً مطلقاً تاماً ، واننا لنرجو الله ان لا يكون حظ هذه التجربة كالتجارب السابقة . على ان الموقف الدولي العام ويقظة البلاد السورية العامة وتأييد بعض الرجال الافرنسيين الذين وقفوا على حقائق القضية السورية وموقف البلاد من كل ذلك يجعل الامل قويا بقرب نجاح هذه التجربة التي سبقها تجاريب عديدة وكانت دروساً كافية ليعلم كل واجبه في هذا الموقف الدقيق . واني على مثل اليقين بان اعمالنا الوطنية كلها اذا كانت فاشلة حتى الآن من وجهتها الايجابية فقد كانت ناجحة كل النجاح من الوجهة السلبية وخاصة بما يتعلق منها بتربية الامة الوطنية العامة ووقوف الامة صفاً واحداً للدفاع عن حقها في الحرية والاستقلال. واننا لنرجو الله التوفيق والسداد في صراعنا هذا .

ذكرى الاستقلال

بتاريخ ٨ آذار ١٩٣٢ ونشر في
جريدة (القبس) بتاريخ ٩ منه .

الخطاب الذي القاه نائب دمشق السيد لطفي الحفار باسم الكتلة الوطنية في حفله ذكرى اليوم الثامن من آذار التي أقيمت على مدرج الجامعة السورية أمس :

وان تكن الايام فينا تبدلت ببؤس ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صلبية ولا ذللتنا للذي ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوساً كبيرة تحمل ما لا يستطاع فتحمل

أجل أيها السادة ! لقد تقلبت بنا الايام بعد الحرب العظمى بالبؤس والنعمى ولكن هذا اليوم العظيم - ٨ آذار ١٩٢٠ - اليوم الذي أعلن فيه نواب الامة السورية الشرعيون امام العالم ارادتها الصادقة في أن تكون حرة مستقلة كان حادثاً عظيما في تاريخنا الوطني ، وجهادنا القومي بما اشتمل عليه من معنى سام هو تحقيق هدف من اهداف هذه الامة العربية . وان فيصلا — الذي كان رجل الثورة العربية الكبرى والملك الذي توجته سورية بتاج الملوك الخالدين على صفحة الدهر لتصل ما انقطع من عهدها الزاهر ومجدها

م - ١٦

الغابر ولتأسيس كيان الدولة العربية السورية المتحدة — كان رمزاً لهذا الاستقلال ولأماني الامة التي ضحت ما ضحت في سبيل تحقيق هذا الاستقلال ، ولكن الظروف وحوادث السياسة وتقلباتها حالت دون ادراك هذه الامنية الغالية والسير بالامة في طريق الحرية الى النهاية !

لقد تهدم الاستقلال فلم تيأس الامة ولم تستسلم للقنوط من ادراك حقها ، بل كان مصابها بفقد استقلالها درساً عملياً قاسياً علمها كيف تصمد للحوادث وكيف تعمل في سبيل تحقيق اهدافها ، ومضت في طريقها تجاهد وتناهد ، وتقاوم وتجالد حتى وُفقت بفضل يقينها ، وقوة عزيمتها وتضحية شهدائها لتحقيق اهدافها الاستقلالية وانشاء دولتها الناهضة الفتية التي نرجو ان يكون لها مستقبل سعيد في تحقيق الجامعة العربية الكبرى .

ايها السادة : اننا لنرجو ان تكون فرانسا مخلصة في تحالفها مع سوريا كل الاخلاص ، عاملة على التعاون مع هذه الدولة السورية العربية الناشئة لبلوغ الغايات التي ترمي اليها سوريا من وراء نضالها الشريف ، وجهادها النبيل ، وان فرنسا لتعلم باننا كما كنا صريحين في خصومتنا في الماضي فاننا ايضاً صادقون مخلصون في التحالف معها فلقد كنا شرفاء في خصومتنا ونحن شرفاء في ودنا وتحالفنا . ولقد قطعنا شوطاً بعيداً في مضمار الحياة ما كان رجالنا الاولون ليتوقعوا ان تدركه الامة بعد عشرات السنين فاني لاذكر جيداً ان استاذنا الجليل رحمه الله الشيخ طاهر الجزائري شيخ الحركة العربية في هذه الديار كان يقول لنا :

— ان الامة العربية اذا استطاعت ان تبث في نفوس ابنائها معنى الحياة الاستقلالية والعزة القومية وان تنفث في روعهم الغيرة وروح الثورة ، يمكنها بعد نصف جيل اذا ما ساعدتها ظروف سياسية كبرى طارئة ان تحقق أمنيتها هذه بقوة هذا الايمان القومي .

وها اننا اليوم نقلب نظرنا في انحاء الاقطار العربية فنرى دولة عربية ضخمة في الحجاز ونجد تتمتع بجميع عناصر الحياة والقوة والاستقلال كما نرى دولة ناشئة فتية في العراق تبذل ما عز وهان في سبيل توطيد دعائم هذا الكيان العربي ونشاهد أن سوريا التي قاومتها الاقدار وتصاريف الزمان لتنجو من الاشواك المبثوثة في طريق حريتها والعثرات والعقبات الصعبة القائمة في سبيل استقلالها استطاعت بعد ربع جيل او أقل ان تؤسس دولة عربية قومية نعتقد انها النواة التي ستنمو منها الشجرة الكبرى ، شجرة الوحدة العربية الجامعة التي يتفيأ كل عربي ظلالها .

واذا عدنا بابصارنا الى الوراء بضعة عشر عاما نجد اننا خطونا خطوات واسعة لتحقيق اهدافنا القومية والوطنية هي افسح مجالا مما كان يظن زعماء النهضة العربية الاولى واسرع مما كانوا يحسبون بكثير ، وهذا ما يبعث الطمأنينة في نفوسنا على ان المستقبل سيكون سعيداً كما كان الحاضر حميداً والماضي مجيداً .

أيها السادة : نحن في هذا الدور الدقيق الذي تجتازه بلادنا السورية تعترضنا عقبات شديدة ونسير في طريق مليئة بالاشواك السامة ، ولكننا سنجتاز هذا الدور بقوة وايمان فما كانت الاشواك والصعاب لتنال من نفوسنا ولا لتوهن من عزائمنا ، وعلينا ان نكون أشداء

في مواطن الشدة ، صابرين في مواقف البلاء ، حكماء حيث تجب الحكمة ، حذرين حيث يجب الحذر ، تقارع ونجاهد ونعمل بجميع اساليب السياسة التي تؤدي بنا الى غاياتنا وتصل بنا الى اهدافنا الوطنية والقومية . وعزائم الامة الصلبة ، وإيمانها الصحيح واخلاصها العميق ، كفيلة باقتحام العقبات مهما صعبت وتذليل العثرات مهما تكاثرت وأحب ان أكون متفائلا في حاضرنا ومستقبلنا وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل .

ايها السادة : اننا في هذه الذكرى السامية تلفت الى اخواننا فنحيي الدول العربية الناهضة في الحجاز ونجد ومصر والعراق واليمن تحية الاخاء والاعجاب ونرجو ان نلتقي واياهم عما قريب لوضع أسس الاتحاد العربي الشامل ليكون مقدمة لوحدة البلاد العربية التي تعيد لها حياة السؤدد والكرامة .

ونلتفت الى ارواح شهداء العرب التي ترفرف فوق رؤوسنا ، والى اجداث ضحايا العرب في كل قطر فنرسل اليها تحية الرحمة والوفاء

كما نحيي روح مليكنا رجل الثورة العربية الكبرى فيصل المجاهد تحية الاكبار والاجلال .

البطالة . أدوائها الاجتماعية والاقتصادية

نشرته جريدة (الشعب) الصادرة بتاريخ
٦ نيسان ١٩٣٧

تهتم الامم المتحضرة لتلافي خطر انتشار البطالة وضعف الاعمال العامة بين ابنائها ، وتؤلف اللجان الاختصاصية لدراسة العوامل المسببة لهذه العلة ، وترسل البعثات الى خارج بلادها للوقوف على الاساليب المستعملة عند الامم الاخرى للقضاء على هذا الداء والتخلص منه .

ونحن نشكو هذه العلة ونكابد آلامها ونشاهد عناصرها في كل يوم ، فهل تقدم منا احد لبحث هذا الموضوع الهام ودراسة هذه العلة دراسة علمية تستند الى الاستقراء والاحصاء؟ وهل لدينا وسائل هذه الدراسة الفنية لنقف على حقيقة الاضرار والمصائب التي تنتاب البلاد من جراء انتشار البطالة وشلل الايدي العاملة وخسارة انتاجها وكسبها .

كل منا يشاهد هذا العدد الضخم من الشباب المتعلم وغير المتعلم الذين يسعون في مختلف النواحي لايجاد عمل يسدون به حاجتهم ويطمئنون به الى مستقبلهم ومستقبل الذين يطالبون باعالتهم من الاطفال والنساء .

ولا أبالغ اذا قلت ان ثلث افراد هـذه الامـــة سواء كانوا من الشباب أو الكهول أو الناشئين اليافعين لا يجدون عملا مطرداً يخصصون به ليكون احدهم قد قام بواجبه نحو نفسه ونحو أسرته ونحو أمته .

بل لا تزال فكرة التواكل والاعتماد على الآخرين ، بل قل فكرة قتل الطموح الشخصي والكرامة الاخلاقية تسوق الكثيرين لان رضوا بان يكونوا عالة على افراد يحسنون اليهم من حين الى حين ، وهذا أقتل داء يصيب الامة ويقعدها عن الانتاج العام ، ويقضي على مواهب الافراد ويجعلهم مستهلكين غير منتجين ، ومقعدين غير عاملين ، بل هذه هي الخسارة العامة التي تصيب الامـــة في تعطيل مواهب افرادها ، وقتل الايدي العاملة فيها ، وهذه هي الاخلاق التي منشؤها الكسل والتواكل وعدم الاعتماد على النفس والثقة بها ومغالبة الزمن ومقارعته .

وهنالك عدد من الشباب المتعلم تعلما ابتدائياً أو ثانويا قصارى همه واقصى مجهوده ان يسعى الليل والنهار وراء الوظيفة في دوائر الحكومة ولا يجد سبيلا للعمل والعيش الا من هذا الطريق ، وهو يطلل النفس ويقتل الوقت بالانتظار والالتماس ولا يستطيع التفكير في عمل حر آخر يسد به حاجته ويؤمن مستقبله ، ويصقل بالقيام به مواهبه وكفاءته ، والامة في حاضرها ومستقبلها تحتاج الى اعمال عديدة ، ومنشئات جديدة بعيدة عن اختصاص الحكومة وعن خططها ، وهذه الاعمال والمنشئات تحتاج الى الافراد المجدين الذين يفتحون للامة هذه السبل الحديثة

ويطلون من ورائها على آفاق المستقبل الواسعة التي تدعو جميع افراد الامة للعمل والانتاج ، وتفسح لهم مجال التسابق في هذا المضمار .

في البلاد الغربية وخاصة عند الشعوب السكسونية تقوم الجمعيات الاهلية واللجان والافراد الذين امتازوا بمواهبهم واخلاصهم واندفاعهم نحو الخير العام والاعتماد على النفس باعظم الاعمال ، فاكبر المؤسسات العامة كالمستشفيات والمدارس والجامعات الكبرى انما تقوم وتنمو وتدار بمساعدة الجمعيات ومراقبة الافراد وتبرعاتهم ، بل ان هنالك اعمالا عديدة هي من اختصاص الحكومة في بلاد الدنيا تقوم بها جمعيات ولجان منظمة وافراد عاملون ، فمصلحة الاذاعة اللاسلكية التي يقدر ايرادها بثلاثة ملايين من الجنيهات تدار بواسطة لجنة اهلية ويستخدم فيها عدد كبير من العاملين والفنانين والميكانيكيين ومن سائر انواع الحرف والصناعات .

وأعجب من ذلك أن ميناء لندن العظيم على كثرة موارده العظيمة يدار بواسطة مجلس تعينه الحكومة لمدة ثم تنتهي مهمتها بذلك التعيين ، فلا دخل لها في شؤونه ، ولا مراقبة لها عليه ، بل ان هذا المجلس يتألف بحسب نظامه الخاص ويمارس هذه الصلاحيات الكبيرة ويضطلع بها ويقوم بها خير قيام ، ويشرف على تنظيم اعمال هذا المرفأ الذي يعد من اكبر المرافيء في العالم ويؤدي الى الخزانة العامة كل سنة موارده التي تقدر بملايين الجنيهات ، الى غير ذلك من الاعمال التي تقوم على روح الثقة والاعتماد على النفس والتعاون العام بين الافراد الذين نمت فيهم روح النظام والتجرد والاخلاص والرغبة في الخدمة العامة .

بمثل هـذا الاسلوب من العمل تفتح ابواب الاعمـال امام جميـع الافراد العاملين المفـكرين ، وبمثل هذه التربية تقـاوم روح التواكل والاتجاه نحو الاعمال الحكومية ليستطيـع كل فرد ان يبحث عن الميدان الذي يجد فيه مجال العمل والانتاج لخدمة بلاده بعزيمة صادقة وايمان قوي .

ويجب علينا جميعاً ان تلقن ابناءنا وبناتنا معنى الاعتماد على الذات وضرورة التعلم للعلم نفسه لا ليكون اداة للتوظف والتسكع على ابواب الحكومة والادارات العامة لطلب الوظيفة .

فحامل شهـادة الحقوق أو الهندسة أو الاختصاص باي فرع من فروع الثقافة العامة يستطيـع أن يشق لنفسه طريق العمل والنجـاح بالعمل الحر والاعتماد على عزيمته والثقة بالنفس .

وهل اجمل من الحرية في الحياة ؟ والوظائف قيد وانتـاج ضعيف وتواكل لا يجدي ولا يفيد ، والعمل والجـد طريق السعادة والهنـاء للعاملين المجدين .

فكرة المعاهدة بين سوريا وفرنسا
كيف نشأت وكيف انتهت

ثلاث مقالات نشرتها جريدة (الانشاء)
بتاريخ ٤ و ٦ و ٧ كانون الثاني ١٩٣٧

التجربة الاولى

بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها قام رجالات العرب يطالبون الحلفاء بالاعتراف باستقلال بلادهم وتأسيس الدولة العربية الكبرى بناء على وعود الحلفاء لهم وعلى اشتراك ابناء هذه الامة العربية في الحرب الى جانبهم وسفك دماء شهدائهم في سبيل تأييد هذا الحق المقدس .

غير أن الحلفاء بعد انتصارهم وخروجهم من ميادين الحرب ظافرين تناسوا عهدهم ونقضوا مواثيقهم ، وجعلوا من البلاد العربية ميدانا لاقتسام الاسلاب ، وتوزيع المغانم ، ولم يرعوا للعرب ولا للمواثيق المقطوعة للعرب إلا ولا ذمة ، وانصرف الامير فيصل رجل الثورة العربية الكبرى العامل ومن ورائه جلالة والده الحسين بن علي موقد نيران الثورة العربية للمطالبة بتحقيق استقلال البلاد العربية والاعتراف بوحدتها وسيادتها فاشترك في مؤتمر السلم العام. الاول ساعياً مجداً

لادراك الاماني القومية العربية ولكنه لم يدرك النجاح ، ومع هذا فلم يستطع أن يقول لبني قومه حقيقة ما بلغت اليه جهوده خشية شماتة الاعداء ، ولئلا يدب دبيب الوهن والضعف الى النفوس .

في ذلك الحين فكر الامير فيصل مع المسيو كلمنصو رئيس الوزارة الافرنسية بعقد معاهدة بين فرنسا وسورية التي يمثلها في مؤتمر الحلفاء ويقال انه اتفق مع المسيو كلمنصو على مبادئها ونصوصها ولما عاد الى سورية وجد أن الفكرة الاستقلالية قد تمكنت من النفوس ، وان الحماسة الوطنية متأججة السعير فلم يستطع امام ذلك التيار أن يعلن نبأ الاتفاق على الشعب فضلا عن ان يدعو اليه ويؤيده فطوى المرحوم فيصل الاتفاق وكتم امره وظل سراً في نفسه علماً منه أن الأمم الناشئة تمر بها فترات في تاريخ جهادها للحياة تطغي فيها الحماسة وتلتبس عليها في ذلك البحران وجوه الرأي فلا تدري كيف تصرف أمورها وتخرج منها سالمة مطمئنة !

وتوالت الحوادث ، وضرب الاحتلال الافرنسي بجرانه في طول البلاد وعرضها ومنيت سورية ببعض ابنائها المعوقين الذين مالأوا الاجنبي على مصالح بلادهم ينافقون ويمارون ولا يتقون الله فيما يفعلون .

ولقد غش هؤلاء الاجنبي المحتل وخدعوه بما أكدوه له من رضاء البلاد بالاحتلال متخذين برهانا على ذلك السكون والهدوء اللذين سادا في ايام الاحتلال الاولى ، وغش هؤلاء البلاد ايضاً بموقفهم الذي كان خيانة وطنية وكذبا صريحا على الله والناس والحق ! وصوروا المعارضة الوطنية وهي في ابتداء نشوئها انها من عمل المتطرفين

المشاغبين وانها بعيدة عن روح الشعب الوادع المستسلم ! وكان من جراء تمادي هذا الطغيان ان انفجرت قنبلة الثورة السورية عام ١٩٢٥ في جبل الدروز واندلع لهيبها فعم البلاد السورية أو كاد ، فانتبهت السلطة المحتلة للامر ، وعلمت أن القضية جد وان لا بد من درس اسباب هذا القلق وعوامله ، فارسلت المفوض السامي الكونت دوجوفنيل الذي افتتح عمله بان ادلى وهو في باريز بتصريحات تنم عن روح ديموقراطية حرة ، ووالى الادلاء بمثل هذه التصريحات في باريز ومصر فاشرأبت اليه الاعناق ، واطمأنت النفوس ، مع ان الثورة كانت في أشد ايامها اضطراما ، وما كاد يصل الى بيروت حتى أخذ يبحث عن الوسائل السلمية الحرة لاعادة الطمأنينة الى القلوب ، ونشر لواء السكينة والهدوء في طول البلاد وعرضها وبالرغم من كلمته الشهيرة التي طالما رددها آنئذ (السلم لمن يريد السلم . والحرب لمن يريد الحرب) واعتماده الاول كان على الاساليب السياسية والمفاوضات السلمية لبلوغ أقرب الطرق لوضع حد للثورة المتأججة دون ان يعول على القوة وعلى أساليب الحرب ، وابدى رغبة كبرى لتفهم حقيقة مطالب رجال الثورة ورجال البلاد .

ولقد كنت فيمن اجتمع اليه من اخواننا وتباحثنا معه طويلا ونحن ندلي اليه بحججنا وآرائنا فيما يرضي البلاد وينقذها من الفوضى والقلاقل ، وما زال يعمل عمل الرجل الواثق بنفسه ، والمطمئن الى غايته ، حتى وافق على سفر وفد من الوطنيين للاتصال بزعماء الثورة السورية وهي كما قلت في ابان شدتها واحتدامها ، فذهبت مع الاخوان المرحوم فوزي الغزي والاستاذ عفيف الصلح برئاسة

الامير امين ارسلان الى مقر الثورة في جبل الدروز .

ومكثنا هنالك اياماً بحثنا خلالها بحثاً مفصلاً مع القائد العام سلطان الاطرش ورفقائه زعماء الجبل ومع الاخوان الزعيم الدكتور شهبندر والامير عادل ارسلان والوطني العامل نبيه العظمة وغيرهم وعدنا نحمل بامان واخلاص رغائب رجال الثورة السورية الوطنية وآمالهم . وبدأ الكونت دوجوفنيل يدرسها درس الرجل السياسي المحنك .

وكانت مباحثات ومفاوضات طويلة بيننا وبين العميد الافرنسي انتهت بوضع برنامج الحكومة الوطني الذي كان من أهم قواعده عقد معاهدة تحالف بين سورية وفرنسة لالغاء الانتداب والاعتراف باستقلال البلاد السورية ووحدتها وكان هذا الامر من المبادىء المتفق عليها مع جميع العاملين الوطنيين .

وقد تم الاتفاق مع المفوض السامي الكونت دوجوفنيل على وضع برنامج وطني يسير بسورية في طريق التحرر ، وبعد أن وافق الكونت دوجوفنيل على برنامج الحكومة الوطني باسم فرانسة اضطر للسفر الى باريز بدعوة من الحكومة الافرنسية ، وكان مسيو بوانكاره قد تسلم رئاستها ، فلم يوافق مسيو بوانكاره الكونت دوجوفنيل على عمله ولم يبق أمل بتنفيذ البرنامج الوطني ، وكنا ننتظر هنا عودة العميد مزوداً بالثقة والتأييد ، ولكنه اضطر للاستقالة من منصبه لمقاومة رئيس الوزارة الفرنسية فكرة المعاهدة والغاء الانتداب وبعض مواد البرنامج الحكومي الوطني .

كنا نعمل في الوزارة السورية وراء هذه الغاية ، لنحقق للبلاد حقها في الحرية والاستقلال والغاء الانتداب

الذي لم تعترف عليه البلاد ، فاصطدمنا باستقالة مسيو دوجوفنيل وبدأت السلطات والقيادة هنا تقيم العراقيل والعقبات في طريق تنفيذ هذا البرنامج فاستقلت واخواني من الوزارة ونقلنا من مقاعدها الى المنفى في أقاصي الصحراء ايام الحر اللاهب . وكانت وسائل الحياة مفقودة !

وليس من شك بان الكونت دوجوفنيل كان العامل الاول في تأييد فكرة عقد المعاهدة بين سورية وفرنسة بجد واخلاص فقد صرح لي قبل سفره بانه سوف يعود قريباً لتحقيق هذا البرنامج وليبيض وجوهنا أمام مواطنينا .

وهكذا أخفقت التجربة الاولى لعقد المعاهدة والغاء أساليب الانتداب .

التجربة الثانية

ثم جاء مسيو مسيو بونسو المفوض السامي السابق فاعلن انه سيتابع خطة سلفه ويعمل لتحقيق برنامجه وهو المعروف بسعة حيلته وطول اناته ، وقد مضى عليه وقت طويل وهو ساكت ساكن ، يدرس ويبحث دون ان يقدم على القيام بعمل الى أن استقر رأيه بعد وقت ليس بقليل على العمل ، فاصدر قراراً باعادة المبعدين السياسيين من منافيهم — وكنت في جملتهم اذ بقيت واخواني مبعدين منذ استقالتنا من الوزارة قرابة سنتين — وعدنا بعد غياب طويل والبلاد على عتبة انقلاب سياسي ، وبعد وصولنا بقليل أصدر مسيو بونسو قراره بدعوة البلاد لانتخاب جمعية تأسيسية تتولى وضع الدستور السوري بملء الحرية ، وفي هذا تحقيق لاحدى مواد برنامجنا الوطني فعقدنا على أثر ذلك مؤتمراً وطنياً في شهر آذار سنة ١٩٢٨ في دمشق للبحث في هذه

الدعوة وفي دخول انتخابات الجمعية التأسيسية ، وبعد البحث أصدر رجال الكتلة الوطنية بيانا قالوا فيه : « اننا عزمنا على مواجهة المستقبل الذي ذكر فخامة المفوض السامي أنه مملوء بالوعود اللازمة للامة السورية بتحقيق رغائبها والمكلف وللجندي الافرنسي بتخفيف اعبائها » .

وتم قبول الوطنيين لخوض غمار الانتخابات ، وقد خاضوا هذه المعركة وكانوا من الفائزين فيها برغم ما وضع في طريق نجاحهم من عقبات وعراقيل .

واجتمعت الجمعية التأسيسية في حزيران سنة ١٩٢٨ وأتمت وضع دستورها ولما كادت تنهي عملها اصطدمت مع السلطة الافرنسية بقضية المواد الست وطلب حذفها من صلب الدستور ، فرفضت الجمعية المؤسسة ذلك في جلسة عنيفة فتأجل اجتماعها بقرار من المفوض السامي أولا وثانيا وثالثا ، ثم حلت ولم تستطع اتمام عملها حتى تتمكن من تأليف حكومة تنبثق عنها وتتولى البحث في اتمام مراحل السيادة والاستقلال .

ان الوطنيين السوريين لم يتجاهلوا في جميع مواقفهم الوطنية الماضية السلبية والايجابية موقف فرانسة الخاص فاعلنوا في بيانهم عقيب هذا الاصطدام « انهم لم يقدموا على سياسة التعاون النزيه الا للتوفيق بين استقلال سورية المنشود وبين مصالح فرانسة الحقيقية من جهة ، ولانقاذ البلاد من هذا الموقف المتبلبل الذي أضر بمصالح البلاد الاقتصادية والعمرانية والسياسية من جهة أخرى » كما وانهم اعلنوا في بيانهم المنشور في ايلول ١٩٢٩ ما نصه : « اننا مع رغبتنا الحارة بدوام عهد الصداقة والتفاهم لا يسعنا الا التصريح باننا لا نؤمل نجاحاً

لاية خطة ترسم لحل القضية السورية ما لم تكن قائمة على قاعدة التحرر التي اتبعت في العراق على الاقل ، ومبنية على اساس استقلال سورية وسيادتها القومية ووحدتها .

ومما تقدم يظهر أن خطة الكتلة الوطنية كانت ومازالت ترمي الى تحقيق المبادىء الوطنية والغايات القومية .

على هذا جرت التجربة الثانية فابتدأت بالدعوة لانتخابات الجمعية المؤسسة ثم ما كادت تتقدم قليلا حتى اصطدمت بالعقبة التي اصطدم بها البرنامج الوطني في عهد المرحوم الكونت دوجوفنيل .

التجربة الثالثة

بدأت التجربة الثالثة عندما دعيت البلاد للانتخابات في أواخر عام ١٩٣١ ثم أعيدت في بعض المناطق — دمشق ، حماه ، دوما — في عهد المعتمد مسيو هنري بونسو سنة ١٩٣٢ وبعد ان عقد رجال الكتلة الوطنية مؤتمرهم قرروا قبول الدعوة للدخول في هذه الانتخابات برغم ما احاط بها من عوامل الغموض والتبلبل لئلا يدعوا فرصة تمكنهم من خدمة بلادهم ويتركوها تمر دون ان تكون في ايديهم حجة تؤيد دعواهم . والانتخابات حق من الحقوق الوطنية يجب ممارستها في جميع الاحوال .

وقد كانت هذه الانتخابات مسرحا للحوادث والمؤامرات لسلب حرية الامة وسرقة اصواتها ، وكان من جراء ذلك أن سالت الدماء غزيرة في كثير من المدن السورية ، وبعد ان توقفت في دمشق وحماه ودوما بسبب ثورة الشعب على الحكومة التي ادارتها وتآمرت عليه فيها ،

وكانت يقظة الامة وانتباهها كافيين للقضاء عليها وعلى مؤامراتها ، أعيدت في دمشق وحماه ودوما بعد اشهر وبرغم ما اعتور هذه الانتخابات في المدن الاخرى من عوامل التلاعب والاكراه فقد احتمل الوطنيون هذا باذلين اقصى ما عندهم من الحكمة والتؤدة ، آملين تحقيق اهدافهم الوطنية العليا وانتشال البلاد مما هي فيه . وكان من نتيجة ذلك ان اجتمع المجلس النيابي والوطنيون فيه أقلية ضئيلة ولكنهم بقوة حقهم ومضاء عزيمتهم كانوا اصحاب الكلمة العليا التي لا ترد .

وتألفت حكومة السيد حقي العظم الاولى على اثر ذلك فدخلها اثنان من الوطنيين هما السيدان جميل مردم بك ومظهر رسلان ليعملا في سبيل تحقيق فكرة المعاهدة وعقدها على الوجه الاكمل وبعد ان قام الوزيران الوطنيان بالمفاوضة بشأن المعاهدة وقتاً ليس بالقليل استنفدا فيه جهودهما لتحقيق هذه التجربة الاخيرة وكانت العقبات تقام امامها لعرقلة اعمالها ، اضطرا للاستقالة لعدم امكان تحقيق اهدافها الوطنية ، وبناء على قرار الكتلة الوطنية انضم بدلا عنهما لهذه الحكومة اثنان من غير الوطنيين فكانت حكومة رجعية لا تمثل الامة في شيء وتقدمت للمجلس بمعاهدة فرضت عليها فرضاً لا تحقق للبلاد امانيها الوطنية ، ولا توصلها الى اهدافها الاستقلالية ، وكان ذلك في شهر تشرين الثاني عام ١٩٣٣ ، فانقلب هذا المجلس باكثريته الساحقة على هذه الحكومة ، ورفض المعاهدة بما يشبه الاجماع في جو صاخب قاتم في المجلس وفي البلاد ، فاوقفت السلطة هذا المجلس عن متابعة اجتماعاته وباءت التجربة الثالثة بالفشل ايضاً .

التجربة الاخيرة

ثم توالت الحوادث سراعا والبلاد في اتون لاهب من الشكوى

والصخب والاضطرام حتى كان اضراب المدن السورية باجمعها في شهر كانون الثاني الماضي والمظاهرات وما تلاها من نفي فريق من اخواننا الوطنيين وسجن الشباب والطلاب بالمئات ، ولا تزال هذه الحوادث ، وما عهدها ببعيد ، ماثلة امام كل عين !

وانتهت هذه الحوادث بعد خمسين يوما الى دعوة رئيس الكتلة الوطنية السيد هاشم الاتاسي وبعض اخوانه لمقابلة المفوض السامي الكونت دو مارتيل في بيروت في اول شهر آذار عام ١٩٣٦ ثم الى الاتفاق على أسس العمل الوطني وانقلاب الخطة السياسية التي كانت متبعة في البلاد رأساً على عقب ، ثم الى سفر الوفد السوري ووقوف البلاد كلها صفاً واحداً من ورائه تأييداً للكتلة الوطنية في هذا النهج الذي انتهجته ، مما دل على مبلغ نضج هذا الشعب الابي وعظم وطنيته ، ثم عودة الوفد السوري موفقاً حاملا للامة معاهدة تحالف شريفة تحقق للبلاد شطراً كبيراً من امانيها الوطنية ، وتفتح امامها سبل العمل المنتج والاستقلال المنشود .

ودعيت البلاد لانتخاب نوابها في المجلس النيابي انتخابا حراً بعد أن أعلنت المعاهدة لتكون هذه الانتخابات استفتاء عاما بشأنها فأقبلت الامة على انتخاب مرشحي الكتلة الوطنية في طول البلاد وعرضها ، واجتمع المجلس النيابي لأول مرة في تاريخ البلاد في جو من الحرية المطلقة ، وعرضت عليه هذه المعاهدة التي وافق عليها بالاجماع فكانت التجربة الرابعة ونرجو ان تكون ضامنة لحقوق الامة وموصلة الى تحقيق امانيها العليا .

أهلاً بالإخوان الأوفياء

خطاب ألقاه السيد لطفي الحفار رئيس
لجنة استقبال الدكتور شهبندر واخوانه من
شرفة المجلس النيابي المطلة على ساحة الشهداء
مساء ١٤ مايس ١٩٣٧

أيها السادة .

هذه دمشق تبرز في هذه الليلة باجمل مظاهرها فرحة متهللة لعودة ابنائها الذين طالما حنت للقائهم ! واشتت لطول غيابهم !

بل هذه البلاد السورية كلها ترحب بالمجاهدين الابرار والزعماء الاخيار الذين لم يضنوا في سبيلها ببذل اغلى ما يملكون واسمى ما يستطيعون . وهل بعد بذل النفس والنفيس وبعد التضحية في سبيل الامة والوطن من مزيد ؟

أيها الاخوان المجاهدون !

لقد قمتم بالواجب وما القيام بالواجب بالشيء القليل . ولقد كنتم المثل الاعلى تضربونه لافراد الامة جميعها لتتعلم منكم معنى الاخلاص والتضحية في العمل ! ومغزى قوة الايمان في الامل ! وقيمة الثبات في الساحة بلا يأس أو ملل .

ونحن أحوج ما يكون في مفتتح عهدنا السياسي الحاضر وممارسة حقوقنا الاستقلالية التي ضحت البلاد في سبيلها باعز ما تملك من مهج وارواح ان تقوم

بواجبنا على مثل هذه المبادىء التي كنتم مثالا عملياً لهـــا ولا زلتم تعملون في سبيلها .

بعدتم عن اخوانكم وبلادكم ولكن اخوانكم والمعجبين بكم لم يكونوا بعيدين عنكم لانهم كانوا يشعرون بقوة هـذه الصلات الوثيقة التي تربطهم بكم وتربطكم بهم ! ولم تكن البلاد بالنائية عنكم لانهـا كانت ترنو دائمـاً بابصارها نحوكم في حلكم وترحالكم وفي مواطن جهادكم ونضالكم وقد حللتم في سويدائها وملكتم قلوبها .

كانت الامة تقوم بواجبها وانتم تلقون عليها في تحملكم الاذى في سبيلها أبلغ الدروس والعظات ! وكانت البلاد كلها كتلة واحدة ما وهنت وما ضعفت في سبيل المطالبة بحقوقها ومقاومة الرجعية والهزيمة في مختلف ظروفها . وكنتم تؤيدونها في جميع مواقفها وتشجعونها على المضي في جهادها ونضالها المنيف وكنتم خير قدوة لها في اخلاصكم وصبركم .

لقد أحسنتم للبلاد في جميع مواقفكم فحق للامة أن تحسن لـكم وهي لا تملك أغلى من هذا الشعور الفياض الذي تشعركم به بافئدتها وقلوبها . ولا تستطيع أن تعبر عن شعورها نحوكم باسمى من هـذا الحب والتأييد الذي يحفكم من جميع طبقاتهـا في موقفها هذا . وهي بعملها هذا تبرهن على قيامها بالواجب وتقديرها للتضحية وتقديسها للوطنية . وهي بمثل هذه الروح الطيبة جديرة بان تنال حقها في الحياة لانهـا تبرهن في جميع ساحات جهادها على انهـا تفهم معنى الحيـاة والوطنية والواجب . واني على مثل اليقين أن سروركم وغبطتكم بتفوق التربية السياسية التي تتراءى لـكم الآن وبنضج التفكير السياسي العام الذي

تظهر به الامة وبتضامنها العام في جميع مواقفها الوطنية والحمد لله سيكون الجزاء الاوفى لكم فيما ضحيتم وبذلتم ، والعزاء الجميل فيما لاقيتم وناضلتم فلقد سارت الامة في حياتها السياسية أشواطاً بعيدة ، ولقد برهنت على اتفاقها وقوة ايمانها وصحة عزائمها في ماضيها الطويل وما مر فيه من الكوارث والاحداث الى أن قطعت مرحلة شاقة من مراحل جهادها بتحقيق قسم من امانيها الوطنية الغالية فقلبت صفحة الماضي رأساً على عقب وهي ما تزال تعمل في هذا السبيل لاثبات كفاءتها ونضجها وتحقيق ما فاتها وهو ليس بالقليل والمستقبل امامها وعليكم وعلى اخوانكم تحقيق هذه الآمال والقيام بما يحقق للامة ماترجوه من رجالها وزعمائها الابرار ، وانتم خير من عمل في هذا السبيل وكان أصدق دليل . ولطالما انتظرنا هذه الساعة التي نلتقي بها باخوان أعزاء وقادة امناء ، كانوا ومازالوا رجال العزيمة والاباء ، والكرامة والوفاء . ورحم الله شوقي القائل :

صبراً على الدهر ان جلّت مصائبه ... ان المصائب مما يوقظ الامما

والناس بانٍ بناءً أو متمّمه ... وثالث يتلافى منه ما انهدما

تعاونٌ لا يحل اليأسُ عروته ... ولا يُرى بيد الأرزاء منفصما

القي في مكتب الكتلة الوطنية في حفلة
استقبال الدكتور شهبندر واخوانه بتاريخ
١٥ حزيران ١٩٣٧

(الكتلة الوطنية كانت وما زالت رمز اماني الامة)

اخي الزعيم !

ما أظن أنك في زيارتك هذه الليلة لدار الكتلة الوطنية تجد نفسك غريباً عنها أو بعيداً عن الوقوف على حقيقتها ، أو انك في حاجة للتعرف الى رجالها .

وهذه الوجوه المشرقة امامك ، المبتهجة بلقائك والاجتماع اليك ، هي وجوه اخوانك الاقدمين وصحبك ورفقائك المترسمين للخطط القومية في التضحية والجهاد !

فالكتلة الوطنية التي كونتها طبيعة العمل السياسي في البلاد السورية بعد حوادث الثورة من رجال الاحزاب الوطنية الاستقلالية القومية التي كانت تعمل قبل الحرب وبعدها لتحقيق استقلال هذه البلاد والوصول الى اهدافها الوطنية الكبرى ترحب بركن من اركان العمل القومي والوطني ، وأخ عزيز ، وزعيم كبير ، عمل في مختلف ساحات الجهاد السياسية والنضال الوطني بدون كلل أو ملل ! كان وما زال مثالاً حياً للتضحية والاخلاص والقدوة الحسنة في بذل كل مرتخص

وغال في سبيل الخدمة الوطنية العامة وجمع الكلمة ووحدة الجهود والاهداف.

وانه ليس بالامر الذي يحتاج الى دليل اذا تقدمت بالقول ان التطور السياسي الكبير الذي تم في هذه البلاد ومتابعة العمل الوطني في ساحات النضال منذ سنة ١٩٢٥ حتى الآن والمواقف السلبية المنيفة التي مرت في مختلف الظروف على البلاد السورية كلها وقيادة هـــذه الحركة في جميع ميادين العمل سواء كان ذلك في داخل المجالس النيابية أو في خارجها والتي كانت ترمي كلهـا الى مقاومـة الاستعمار ومحاربة الرجعية وانصارها وتحقيق الغـايات الاستقلالية والوقوف دون التعدي على الحقوق العامة سواء كانت سياسية أو اقتصادية ، كل ذلك كان بفضل اجتماع كلمة الامة واتحاد جهودها والسير بها قدما الى الامام بما يشبه الاجماع بقيادة رجال الكتلة الوطنية في جميع هـــذه الحوادث والكوارث التي مرت على البلاد في داخلها وبفضل ترديد اصداء هذه المواقف وتأييدها من الرجال العاملين الذين حكمت عليهم الظروف السياسية القاهرة أن يكونوا في خارج البلاد ، ولقد كنتم واخوانكم في مقدمة العاملين الجدين لتأييد هـــذه الحركات الوطنية الكبرى وتشجيعها واسماع صوتها ووضع خططها واستصراخ ضمير العالم لنصرتها . والكتلة الوطنية التي تفتخر بانها كانت وما زالت رمز اماني الامة وموضع ثقتها وفخر جهادها يسرها أن تعتبر الزعيم الدكتور شهبندر والمجاهدين العائدين للبلاد منها واليها وهم الذين كانوا من اكبر انصارها ومؤيديها وهي بهذا الايمان الذي لا يتزلزل لا تشك لحظة واحدة انكم واخوانكم تشاركونها الرأي بان البلاد السورية وهي تجتاز أدق ادوار حياتها

السياسية واصبحا مراساً وهي في موقف الدفاع عن ذمارها والعمل لاثبات كفاءتها لممارسة حقوقها السياسية وتأييد سيادتها الخارجية والداخلية وتكوين وحدتها القومية الكبرى هي اكثر ما تكون حاجة لجمع الكلمة وتوحيد القيادة في موقفها الآن، وهو ما تشعرون به وما تدعون اليه. وتحقيق ذلك ليس بالامر العسير ما دمتم تعملون في هذا السبيل. والكتلة الوطنية تؤيدكم وتدعوكم لان تكونوا في محل القيادة الحازمة ضمن هذه المجموعة الكبرى التي اثبتت كفاءتها واخلاصها وحسن بلائها والامة من ورائها كلة واحدة ورأي واحد ولقد كنتم وما زلتم مثالا جليلا في التضحية والاخلاص .

وان هذه النخبة الطيبة من هذا البلد الطيب الملتفة حولكم الآن وقد هرعت لمكتبها وبيتها العام حينما علمت بهذه الزيارة المباركة كانت وما زالت مثال الوطنية الصادقة والتضحية المتواصلة والعمل المخلص .

ولطالما رأيناها في الصفوف الاولى في جميع ساحات النضال والجهاد التي مرت بالبلاد فهذه النفوس المستبشرة الضاحكة تحييكم وتهتز قلوبها فرحا بلقائكم وتدعو الله لكم ولاخوانكم بالتوفيق والسداد .

المجالس النيابية

نشرته جريدة (الانشاء) الصادرة بتاريخ
١٤ ادار ١٩٣٨

(يجب ان تتكافأ السلطتان التشريعية والتنفيذية)

الامة مصدر السلطات ، والمجالس النيابية مظهر سيادتها وسلطانها القومي .

هذا هو المبدأ الدستوري الحديث الذي أقرته الامم وهو المبدأ الذي يجب ان نتدرب عليه ونمارسه بتجرد واخلاص ليقوم كل منا بقسطه من الواجب ضمن اختصاصه ومقدرته حتى تستطيع الامة بواسطته ان تحقق معظم اطاحها وان تصلح حالها وان تتذوق فوائد هذا النظام النيابي وتلمس منافعه شيئاً فشيئاً لتحرص على سلامته وتدافع عنه وتحترمه وتحول دون التعدي عليه أو عدم الاعتداد به سواء أكان من جهة طغيان القوة التنفيذية أم من جهة الفوضى الشعبية الخطرة او بروز دكتاتورية مجرمة .

ولقد مرت على أمم قبلنا عصور واحقاب نوعت فيها أساليب الحكم من ملكي وجمهوري واتوقراطي وديمقراطي ودكتاتوري وما الى ذلك من انواع التجارب التي لا مجال لتعدادها هينا ومؤلفات الحقوق الدستورية والفقه التشريعي تولت الافاضة عن اشكالها وتاريخها ومبلغ اضرار كل منها ومنافعه . والذي يهمنا هنا من هذه الذكرى التشريعية القول بان

نتائج ذلك الماضي الطويل من التجارب التي مرت على الامم قبلنا ضمن أحقاب متطاولة كانت اجماع الرأي أو ما يشبه الاجماع على ان النظام البرلماني هو مظهر رغبات الامة وجامع منازعها واهوائها وكافل حريتها وضامن حقوقها ومبادئها .

ولذلك جئت أتساءل في مقالي هذا هل نحن أهل للتمتع بمزايا هذا النظام النيابي ؟ وهل نحن عاملون على تثبيت دعائمه والاستفادة من حسناته والبعد عن سيئاته وأنا اعرف أن كل نظام مهما سما وعلا لابد له من حسنات وسيئات ، والاستفادة من الحسنات تكون بقدر استعداد الامة لقبولها ، والتورط في السيئات يكون بمقدار جهلها له أو عدم قابليتها لتطبيقه .

فاذا لم تكن المجالس النيابية مظهراً لآلام الامة وآمالها كانت غير جديرة بدعوى حق التمثيل الشعبي أو غير ممثلة لحقيقة ما تشعر به الامة من الحاجات والتطور وما تسمى اليه من الرغبة في اعلاء كلمتها وجمع شملها . ولذلك كان على مجلسنا النيابي أن يحرص على القيام بواجبه حرصاً شديداً كي لا يدع مجالا للادعياء الناقمين أو للمعارضين المغرضين لاتهام نواب الامة بالضعف والخور والاحجام عن القيام بالواجب . على أنهم لا يستطيعون ذلك أمام سواد الشعب الذي بلغ من الفهم والتقدير مبلغاً سامياً يميز فيه بين الخير والشر وبين النافع والضار ما دام نواب الامة يقظين منتبهين وما داموا حريصين على مصالح البلاد منافحين دون حقوقها مناضلين في سبيل سيادتها الوطنية وسلطانها القومي .

ان دعوى الذين يتبجحون بالمعارضة ترتطم هنا بموقف المجلس النيابي الذي يجب ان يكون أمنع من عقاب الجو ، وأصلب من الصخر الأصم لا تلين له قناة في سبيل الحق ، ولا تضعف منه عزيمة في ساحات النضال ان سلباً أو ايجابا !

ولا نسمح ونحن في هذا الدور الانتقالي الدقيق لاحـــد يدعي الوطنية والاخلاص الا أن يكون مؤيداً لهذه الارادة الشعبية الممثلة بنواب الامة ولكنا نقول ايضاً ان على هؤلاء أن يكونوا عند حسن الظن بهم كي لا يدعوا مجالا لدعوى المكابرين بعدم قيامهم بواجبات هذه المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقهم أو تحريض المضللين لسلبهم شرف هذه المهمة المقدمة .

والمجلس النيابي لا يطلب منه لاجل ذلك الا ان يكون بصيراً في تصرفاته ، دقيقاً في اعماله ، متنبهاً لما يصدر عنه وللنتائج الخطيرة التي تترتب على اعماله واقواله .

ولا أستطيع ان أنكر في هذا الموقف اننا لا نزال في ممارسة الحقوق التشريعية والتنفيذية ناشئين مبتدئين ، وان كل ناشيء عرضة للخطأ والزلل ولا ضير علينا في ذلك بل لا بد لنا ان نخطو هذه هذه الخطوات بالعزم والحزم والتجلد والصبر . على انه رغم هذه الحقيقة فان علينا معشر النواب ان نكون مستعدين يقظين للقيام باعباء مهمتنا الثقيلة خير قيام كما ان علينا ان نزن اقوالنا بالميزان الدقيق قبل ان نقول لا . أو نعم . ونمحص اعمالنا تمحيصاً مجرداً عن الهوى والغرض قبل ان تقدم او نحجم ، وبذلك لاندع مجالا لدعوى الدفاع عن رغبات الامة والمحافظة على حقوقها لغير نوابها الشرعيين الذين تؤيدهم الامة

ما داموا لمهمتهم مدركين وتكون من ورائهم صفاً واحداً ما داموا لواجباتهم مخلصين ، وبذلك نثبت اهليتنا وكفاءتنا لممارسة هذا النظام النيابي الذي هو خلاصة تجارب الامم الماضية وتاريخها السياسي كما قدمنا والذي هو ارقى انظمة الحكم بلا جدال . وكما ان النزاهة والمقدرة من اخص صفات نواب الامة فكذلك الكفاءة والتجرد من الزم صفات رجال الحكومة الذين ينتدبهم النواب للقيام بهذه المهمة الثقيلة ليكونوا مرآة صحيحة لارادة الامة ومجلسها النيابي .

ولا بد من تعادل الكفتين في الحقوق والواجبات - كفتي القوة التشريعية والقوة التنفيذية - حتى لاتتعدى احداها على الاخرى ، ولا بد من ان يحتفظ كل منها بهذه الحقوق المتقابلة ليتمكن من القيام بواجبه وتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه بلا تردد ولا وجل .

وليس اخطر من طغيان قوة على أخرى ، على انني أرى انه يجب على الامم الناشئة امثالنا ان تحدد من صلاحيات المجالس النيابية في مراقبة السلطة التنفيذية تحديداً دقيقاً كي لا تتعطل الاعمال بكثرة المراقبة التي تتعدى الواجبات والانتقال منها الى كثرة الاسئلة والمهاترات بغية الوصول الى كراسي الوزارات واسقاط الحكومات بين حين وآخر دون مبرر أو ضرورة قصوى يقتضيها استعمال حق الاستجوابات وطرح الثقة للوصول الى الاغراض وتحقيق الغايات . على انه لا مجال لبحث التعديل في الصلاحيات التي أقرها دستورنا وفيه الكفاية اذا أحسنت النيات .

وماذا بعد

نشرته جريدة (الانشاء) بعددها الصادر
بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٣٨ .

(آن للحكومة ان تدفع عنها ضعف العزيمة)

لقد طفح الكيل وبلغ السيل الزبى ، ولم يعد في قوس الصبر منزع ، والدسائس الخفية والعلنية تعمل عملها ، ومعاول التهديم في هذا الكيان السوري لا تدع قاعدة قائمة ، ولا زاوية مطمئنة .

وهل في الجزيرة حيث يقيم نفر من العصاة ، وفريق من المتمردين ، من يجرأ مثل جرأتهم ، ويتمادى في مثل غيهم لو لم تكن هنالك قوة تدفعهم ، وايد تعبث بهم ، فيعتصمون بمطالبهم الباطلة ، وباقليتهم التي اصبحت درعا لهذا التمادي ، وحجابا لهذا الغلو في الجرأة على الحق ، والخيانة لواجب الوطن .

ان الاقلية برآء مما يعملون ، وان كثرة هذه الاقلية في جميع الانحاء السورية تشجب اعمالهم ، وتخشى مغبة ضلالهم ، وتدرك مدى الاخطار التي تهدد البلاد من جراء الامعان في العناد !

وماذا بعد ؟

هل تقف حكومتنا الدستورية الفتية في الحادث الاخير كما وقفت من قبل ، تعتصم بالحلم والصبر ، وتداري الامور مداراة من يعلم

مواطن الداء ، ولا يرى من حاجة للمصارحة بهـا لئلا يهاجم او يقاوم فقد آن لها ان تتذرع بالحزم وان تتجلبب بجلباب العزم سواء امام المسؤولين او امام الدافعين المتسترين مها كان شأنهم ، ومها سمت مكانتهم ، فكرامة البلاد ، وكرامة الحكم الوطني ، وكرامة الجهاد الوطني ، كل ذلك يقضي على الحكومة ان تضرب الضربة القاضية ، وان تعالج الامور معالجة من نفد صبره ، وذهب حلمه .

اننـا لا نعتقد ان المصلحة الوطنية تقضي بعد هذا الذي كان ، غير هذا الذي نقول ولا سيما وان الاحـداث السياسية تضرب بجرانها على مخانق البلاد ، والاتفاقات الاخيرة ما بين بريطانية وايطالية تستدعي القلق والحذر وقد كان للبلاد العربية شأن في هذه الاتفاقات غير قليل ، ونصيب غير يسير ، ولا ندري مدى عواقبهـا ، ولا نطمئن الى سالف مقدماتها .

ثم ان الوزارة الفرنسية الاخيرة لم تبدر منها بادرة حسنة تتعلق بنـا ، وتشير الى مصير معاهدتنـا التي كنا ننتظر تصديقها من المجلس النيابي الفرنسي في هذا الشهر وقبل هـذا الشهر ايضاً ، فاذا بالمجلس نفسه تؤجل اجتماعاته . واذا بنـا في مهمه قفر لا ماء فيه ولا كلأ ، نخشى ان يصيبنا فيه ما لا نستطيع معه ان ندفع عن انفسنا خطراً !

لقـد عرف رجال الكتلة الوطنية بجرأتهم في قول الحق ، واستبسالهم في المطالبة به والدفاع عنه ، واندفاعهم وراء تحقيق اهدافهم الوطنية العليا بلا ضعف ولا تردد ورجال هذه الحكومة الوطنية التي

تلي امورنا ، وتصرف مقدراتنا من هؤلاء الرجال الذين عرفناهم في مواطن الشدة والبلاء ، في السراء والضراء ، والامة من ورائهم تؤيدهم في مواقفهم التي دلت على حنكة ودراية وتمرس بالحوادث ، واخلاص لا شائبة فيه ، فعليهم ان يقوموا في هذا الموقف بما يدفع عن البلاد شر الهزيمة ، وضعف العزيمة ، بعد ان طفح الكيل ، وبلغ السيل الزبى ، ولم يبق في قوس الصبر منزع !

وعلى فرانسا واقوالها كلمة صريحة ان تعلم اذا كانت لم تعلم بعد ان الامة مصممة على تحقيق غاياتها الوطنية في الوحدة والاستقلال مهما لاقت في هذا السبيل من العراقيل والمثبطات وانها على أتم استعداد لبذل اعز التضحيات ومقارعة هذا الطغيان ومقاومة هذه الدسائس مهما كلفها الامر دون تردد او ضعف وان المستقبل كفيل بانتصار الحق وهزيمة الباطل واعوانه .

جهاد الأمة

نشرته جريدة (الانشاء) في عددها الصادر
بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٣٨

ننشر فيما يلي نص الخطاب البليغ الذي القاه الاستاذ لطفي الحفار في الحفلة التي اقامها الشباب الوطني مساء امس على شرف رئيس الوزراء :

سادتي واخواني ! في هذه الادوار التي تمر بنا والاحداث التي تتعاقب نرى الحاجة شديدة الى عقد هذه الاجتماعات الكبيرة لنتحدث الى اخواننا رجال العمل الوطني الذين عرفناهم في جميع الساحات وفي مختلف الظروف والحوادث . وانتم يا رجال النجدة والوطنية الحقة ويا زعماء الجهاد واصحاب العقيدة والايمان اذا اجتمعتم هذه الليلة لتكريم رجل من رجالكم عرفتموه في جميع المواقف بالعمل المتواصل والجهد الناصب والاخلاص والجرأة والدفاع عن استقلالكم وحقوقكم فانكم بعملكم هذا تكرمون الفضيلة وقوة الايمان والثبات في ميادين النضال والاقدام في امتحان الصعاب وهذه هي الصفات التي تحتاجها الامم في ايام نهضتها وفي ساعات محنتها .

وانا لا اعدو الحقيقة اذا قلت اننا الآن نعاني محنة عظيمة نزلت بنا وببلادنا قل ان تمر في تاريخ الامم التي مرت في مثل طريقنا من قبل ، فقد تألبت علينا القوى الاجنبية والعوامل الخفية والاحداث السياسية لتنتزع منا ارضاً من صميم وطننا واخوانا من اهلنا وعشيرتنا وقومنا وارادوها طعمة لاهوائهم وسلطوا عليها اشرارهم وشرورهم ليبدلوا من ايمان هؤلاء الاخوان في اسكندرون وانطاكية وليجعلوا من كثرتهم قلة ، ومن عزتهم ذلة ، ولكنهم باؤوا بالفشل والخسران في الاحصاء والتسجيل ولما لم يتم لهم ما ارادوا بالرغم عما بذلوا من شتى الاساليب والاحابيل عمدوا لفرض ارادتهم ونوال مطالبهم بالضغط والارهاب ، وها ان اخواننا هنالك يعانون من ضروب العسف والهوان ما لا يحتمله الا اصحاب الايمان الكامل والوطنية الحقة . ولكن الامور تكشفت عن حقائقها والمؤامرات الداخلية والخارجية تعمل لتصل الى غاياتها ولقد كان لموقف اخواننا اصحاب البلاد من الاكثرية العربية والارمن والاكراد وغيرهم ما سوف يذكره التاريخ بالاعجاب والاكبار وكان آية من آيات قوة العزيمة والصبر على المكاره والثبات في الميدان وعدم تسرب اليأس الى النفوس بالرغم مما نزل بهم من المصائب والكوارث في سبيل امتهم وبلادهم . وامة هذه اخلاق بنيها لا تموت ، وهذه عزائم رجالها لا تبيد ، ولا بد لها من تخطي هذه الخطوب مهما تقلبت بها الاحداث ولا بد لها من الفوز ان عاجلا فآجلا ، وعشرات السنين لا تعد شيئاً في حياة الامم والتاريخ يحدثنا عن رجوع الحق الى اهله في كثير من الوقائع والظروف بعد ايام وسنين .

واذا قلنا ان المؤثرات الخارجية والقوى الاجنبية تألبت علينا كلها في هذا الثغر السوري العربي فماذا نقول فيما نراه من تمادي هذا الطغيان في الجزيرة وغير الجزيرة وما بال حلفائنا وانناً ندعوهم كذلك لا يضعون حداً لمثل هذه المكائد والمؤامرات تنصب اشراكها في طريق استقلال هذه الامة وتحقيق بعض اهدافها القومية .

اننا نستعرض هذه المحن والكوارث التي تمر بنا لنقول الحقيقة وليعلم المغرض والمبطل اننا لا نجبن امام الاخصام والاحداث ولا نتراجع عن المطالبة بحقوق هذه الامة والدفاع عن ذمارها وكرامتها مهما كلفنا الامر ، واننا من قبل مشانق جمال السفاح كنا نعمل في سبيل اهدافنا القومية وغاياتنا الوطنية وان الايمان الذي في صدورنا لا تزعزعه هذه الاحداث والمصاعب بل تزيده اتقاداً ويقيناً في اننا أمة تسعى للحياة ونعمل في سبيل الواجب ونبذل ما عز وهان لتحقيق اهدافنا الوطنية والقومية ولا ضير علينا فيما اذا لم نصل اليها كلها كما نريد ولكن الضير كل الضير والخطر كل الخطر حينما تمكن الاجنبي من رقابنا وحينما نستسلم لليأس والبكاء وحينما يتآمر على هذا الوطن بعض ابنائه ويكونون عونا للاجنبي ضد امتهم وبلادهم وينادون بالويل والثبور أو يتباكون على الضحايا والقبور وهم يضحكون ويظهرون ما لا يبطنون والبلاد بعد ان جاهدت وناضلت - تمر في أدق ادوار حياتها في هذا الانقلاب السياسي والاداري والقضية اسمى مما يظنون واكبر مما يتصورون .

انا لا يخامرني الشك ايها السادة في ان الامة العربية بالغة غاياتها

واصلة الى تحقيق وحدتها وتمكين استقلالها وان ما تمر به وما مر عليها من قبل لا بد منه لامة ناشئة ناهضة وانه أيسر ما يكون ما دامت عزائمنا قوية وايماننا لا يتزلزل وطريق الاستقلال والحرية محفوف بالاشواك والعقبات الكأداء .

وها نحن الآن في هذا الميدان نعاني من المشاكل والمتاعب ما نعاني فهل يجب علينا ان نرجع القهقري الى الوراء وان نستسلم للعويل والبكاء او ان نمضي قدما الى الامام وان نتحلى بالصبر والاقدام وأن لا نتخلى عن حقنا الذي اعترف لنا به الاجنبي مهما كلفنا من التضحية والثبات لنصل اليه كاملا ان لم يكن نحن فاولادنا من بعدنا ولا يسعنا الا ان نقول لهم اننا مهدنا الطريق وبذلنا ما استطعنا فعليكم ان تكونوا رجال هذا المستقبل وان تعملوا لامتكم وبلادكم مخلصين مؤمنين .

لقد كثرت الدسائس والدعايات الخبيثة وتكالبت الرجعية لترجع الى سالف عهدها ولا سبيل الى التفصيل وقد طال القول بي الآن في موقفي هذا ولكنه لا بد لي من ان ادعو ابناء أمتي الى لم شتاتهم وجمع كلمتهم في مثل هذه الادوار العصيبة ليستطيعوا ان ينجوا مما يحاك ضدهم للقضاء على ماضي جهادهم ومستقبل حياتهم ورجال الكتلة الوطنية الذين عرفتموهم في ماضيهم الطويل لن يكونوا الا كما عهدتموهم أمناء اوفياء وانهم لن يرجعوا بكم وبقضيتكم الوطنية خطوة واحدة الى الوراء وانهم ماضون في نضالهم وجهادهم لتحقيق اهدافهم الوطنية العليا ومثلهم القومية الكبرى والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه .

اذا لم تضافر جهود العاملين

خطاب معالي الاستاذ لطفي بك الحفار رئيس لجنة استقبال الوفد السوري في اوربا الذي القاه من فوق شرفة القصر البلدي مساء الجمعة باسم الامة بصفته نائب رئيس المجلس النيابي في حفلة الاستقبال الكبرى بتاريخ ١٠ تموز سنة ١٩٣٨ .

سادتي واخواني

تستقبل البلاد السورية للمرة الثالثة قافلة أخرى من قوافل المبعدين العاملين وزعماء القضية العربية المجاهدين وهي في كل مرة تترنح اعطافها فرحا وفخراً ، وتهتز جوانحها عزاً ونصراً . وكيف لاتكون كذلك وابناؤها البررة يعودون اليها بعد هذا الغياب الطويل والجهاد الناصب بعد ان بذلوا اقصى ما يستطيعون ، واسمى ما يملكون . فلقد نذر كل واحد منهم نفسه ونفيسه ، وقوته ونشاطه لخدمة أمته وبلاده في ميادين الثورة والتضحية وفي المحافل السياسية والمجامع الدوليـــة للدعاية والدفاع عن كرامة البلاد والمطالبة بحقوقها المهضيمة واسماع صوتها ورفع كلمتها في جميع ساحات الجهاد السياسي والعملي

هـــذا هو الامير شكيب ارسلان الذي يطل عليكم من هذه الشرفة ، ذلك الرجل الذي يعد بحق مفخرة هذا الجيل الحاضر وقد

ملأه ايمانا وعملا رافق القضية السياسية نصف قرن وهو يجاهد في سبيل امته وبلاده واشتغل لخدمة الاسلام والمسلمين مدى هذا الزمن البعيد للقيام بواجب الخدمة السامة اينما حل بهم ضيم او ضير ، وللنهوض بهم ورفع مستوى مكانتهم الاجتماعية والسياسية حيثما دعت الظروف والحوادث . فلم يترك كبيرة او صغيرة تتعلق باحوال المسلمين عامة والعرب خاصة الا وكان له فيها عمل يذكر ، وخدمة كبيرة تؤثر ، ويكفي انه يتمتع بمكانة اجتماعية سامية في جميع اقطار العرب والاسلام وشهرة عالميـــة قل من ينازعه عليها او ينكرها عليه مكنته من تحقيق شطر كبير من الخدمة النـــافعة والعمل المنتج للعرب والمسلمين .

وهذا هو رفيق جهاده السيد احسان الجابري الواقف لجنبه الان وقد كان ساعده الايمن في اعمال السياسة الكبرى التي قاموا بها مع اخوانهم الآخرين في محافل السياسة الاوربية وفي القيام بالاعمال الباهرة للدعاية والنشر لخدمة قضيتنا الوطنية ، والاعراب عن رغائب البلاد في جميع مصائبها وكوارثها وحوادثها الماضية بدون ادنى كلل أو فتور ولكم كانت الحاجة شديدة نشعر بهـا كلنا حينما كانت البلاد تقوم باعمالها الوطنية وتضحياتها المتوالية في سبيل مقاومة الظلم والارهاق والمطالبة بتحقيق الآمال الوطنية وتأييد المبادىء القومية ومقارعة الاساليب الاستعمارية ومقاومة الرجعية ورجالها . كم كنا نشعر ايها السادة عن ردد اصداء هذه المقاومات والمظاهرات والاحتجاجات الصارخة لدى عصبــة الامم والمحافل السياسية الاجنبية والبلاد ماضية في نضالهـا بدون ضعف ولا

وناء . ولقد كان هذان الرجلان واخوانهما العاملون معهما في الاقطار العربية يقومون باداء هذه الرسالة واسماع صوت البـــلاد في المحافل السياسية المختلفة واتخاذ هذه المواقف حجة لهم وقوة لدعايتهم واعمال الدعاية الخارجية هي من امضى الاسلحة واقوى المؤثرات لخدمة القضايا الوطنية والدول الكبرى تبذل ماعز وهان في هذا السبيل فكيف بالامم الصغيرة الضعيفة الناشئة التي تطالب بحق الحياة والكرامة مثل أمتنا فهي بلا شك أشد حاجة لمثل هذه الخدمات واكثر منهـا لمثل هذه الدعايات .

ولقد كان هؤلاء الاخوان الذين نحتفل بعودتهم هذه الليلة القوة العاملة في الحقل السياسي والوطني والحركة الدائمة للقيام بهـذه المهمة الشاقة ولقد كانوا مع اخوانهم الآخرين المقيمين في البلاد والنازحين عنها يتضافرون ويتعاونون للقيام بهذا العمل النافع ويرشدون اخوانهم بما يجب عمله في هذا السبيل .

واذا لم تتضافر جهود العاملين المخلصين فلا نجاة ولا نجاح ولكننا نحمد الله على ان الامة السورية كانت وما زالت في جميع اطوارها وحوادثها صفاً واحداً وكلمة واحدة تعمل وراء زعمائها وقادتها بالايمان الكامل والعقيدة الثابتة .

واذا استطاعت ان تنجو من انيـاب الاستعمار الاجنبي وان تحقق شطراً من آمالها وامانيها الوطنية فبفضل هـذا الايمان المطلق وبفضل عمل العاملين من الزعماء المجاهدين الذين تحتفل البلاد بعودتهم وتردد ذكرى ماضيهم واعمالهم وتضحياتهم .

واذا كانت البلاد في مرحلتها السياسية الحاضرة تجتاز دوراً خطيراً وتعالج محنة وطنية جديدة فان لها من قوة هذا الايمان الوطني ومن الثقـــة بنفسها ومستقبلها وبقوة تضافر زعمائها ومجاهديها ومن تاريخ جهادها ما يدعوها لان تمضي في سبيلها لتحقيق اغراضها بدون ضعف أو تردد لا تجعل لليأس سبيلا الى نفوسها وللضعف أو الخور محلا في صفوفها .

فهي الان تستمد قوة فوق قوتها من رجالها الابرار العائدين ، وهي الان فخورة بماضيها مؤمنة بآتيها واثقة بمستقبلها بالرغم عما يمر بها من الكوارث والمصائب ، فلقد علمها ماضيها المملوء بمثل هذه الاحداث كيف تقابلها بالعقيدة الصلبة والحيوية التي تستمدها من تاريخها .

ايها السادة

هؤلاء الرجال الذين نحتفل بعودتهم ونبتهج للقائهم كلهم يوحون الينا باعمالهم وبجهادهم مثلا اعلى في التضحية وقوة الايمان ومقارعة الخطوب والثقة المطلقة بانفسنا وأمتنا والسير الى الامام والسلام .

يتساءلون !

نشرته جريدة (الانشاء) الصادرة بتاريخ
٢٠ تموز ١٩٣٨

ننشر فيما يلي الخطاب الذي القاه الاستاذ لطفي الحفار مساء امس في حفلة التجار في حديقة الامة لتكريم رجال الكتلة الوطنية :

أيها الاخوان الاعزاء

اذا كنت أعتز في حياتي بشيء ، وأباهي بشرف ، وافخر ببيئة نشأت فيها ، فاني لاعتز وأباهي وأفاخر باني من هذه الطبقة التي عرفت باخلاصها وصفائها واندفاعها وثباتها على المبدأ الوطني وعلى نصرة الكتلة الوطنية وفي جميع المواقف ، وهي طبقة اخواني التجار الذين أفتخر باني منهم خرجت واليهم انتسبت ، وهم المضحون بلا تردد ، المجاهدون بلا منة ؛ المخلصون لوجه الله والوطن ، ذلك لانهم عرفوا الحقيقة فآمنوا بها وعرفوا أن أمة بلا استقلال ولا حرية لا يكتب لها البقاء ، ولا تستطيع الاخذ باسباب الحياة ، ولا تحفظ هيبتها وكرامتها ، ولا تتمكن من الدفاع عن مصالحها وعن ثروتها ، ولا تقوى على حماية صناعتها وتجارتها ومنابع رزقها . ولم أكن مبالغاً عندما قلت أن اخواني التجار اصحاب هذه الحفلة الرائعة التي أرادوها تكريماً للتضحية

والاخلاص والجد والثبات في خدمة مصلحة البلاد والدفاع عن حريتها واستقلالها ، كان ايمانهم الوطني خالصاً لوجه الله والوطن لا تشوبه شائبة ولا تعتريه مثلبة .

واذا كانت طبقات الامة الاجتماعية الاخرى أمثال الزراع والعمال والطلاب والشباب قد ساهمت كل طبقة بنصيبها وقامت بقسطها من الواجب في سبيل خدمة القضية الوطنية ونصرة الكتلة الوطنية ، فذلك لا يمنعني من أن أشيد في موقفي هذا بذكر مآثر اخواني تجار هذه المدينة الذين برهنوا في ماضيهم وحاضرهم عن صدق في العزيمة وقوة في العقيدة وثبات في التضحية .

ويسرني امام هذا الجمع الحافل أن أذكر بالثناء ما نلقاه من هذه الطبقة الخيرة من آيات التأييد والولاء ، وما نلمسه لديها من الحرص على مقاومة أهل الرجعة وانصار الاستعمار ، ومدافعة الاستسلام والاستخذاء والخنوع ، لتنال هذه الامة حقوقها كاملة ، وتستوي على قدميها كأمة استكملت اسباب التكوين والنضج والحياة .

اخواني — يتساءل الكثيرون عما قرره مجلس الكتلة الوطنية العام في اجتماعاته ، وعما اعتزم السير عليه . فانا أعلن وقد انتهت اجتماعات هذا المجلس أو أوشكت أن تنتهي ان ما يجب ان يطلع عليه الرأي العام في هذه البلاد وفي خارجها هو ان الكتلة الوطنية التي حملت اعباء السياستين ، وقادت خطوات الامة الى اهدافها في الحالتين ، وجاهدت وناضلت في الماضي والحاضر ، لاعلاء كلمة الوطن ، لن تبرح مناضلة بلا ضعف ، عاملة بلا وهن ، ماضية بلا تردد ولا جبن ،

مجاهدة لادراك حق هذا الوطن مها بعد منال هذا الحق ومها أقيم في طريق ادراكه من عقبات . وهي تعلم علم اليقين أن انتزاع الحق من نيوب الغاصب ليس بالامر السهل وان الامة التي تريد ان تحيا حياة سعيدة يجب ان تعد نفسها للكفاح لان السعادة تحف بها المكاره والاسواء فمن وطد نفسه على ادراكها وجب عليه ان يكون عالي الهمة مستسهلا للصعاب . فالعمل وحده ، العمل المقرون بالايمان الصحيح والاخلاص الاكيد هو الذي يوصل الامة الى اهدافها ، ويكفل لهـــا اجتياز مراحل ما برحت بعيدة المدى ، ونحن أيها الاخوان في طريق لم نخط فيها الا خطوة قصيرة امامنا بعدها خطوات من دونها عقبات كأداء ومصائب سوداء ، فهل نيأس ونتراجع ؟ وهل نتبرم ونتضايق ؟ وهل تقف همتنا عن المسير في هـذه الطريق تهيبـــاً لعقباته وفي تاريخ الامم التي سبقتنـــا في مضمار الجهـاد للحرية والكرامة عـــبرة لمن يعتبر ؟ ولا بد دون الشهد من آبر النحل !

ان دعاة الرجعية واعوان الاجنبي يتربصون بالبلاد الدوائر ، والمطامع الاستعمارية تمد شباكها في الداخل والخارج وتبث سمومهـــا لتعرقل اعمالنا وتضعف عزائمنا ، ولكننا والحمد لله نتحلى بالايمان الذي لا يتزلزل ، واجماع كلمة الامة على تأييدنا يهيب بنا الى الاقدام والتضحية دفاعا عن ذمارنا وذوداً عن حريتنا وتوطيداً لكياننا كأمة تريد ان تحتل مكانها اللائق بين الامم . وما دمنا نستمد قوتنا من قوى الامة فنحن ماضون قدما الى الامام ولو على جثثنا نحن واشلاء الضحايا لنبلغ بوطننا الى مرتبة الكرامة والمجد الرفيع !

هذه هي خطتنا ، وهذه هي طريقنا ، طريق التضحية المخلصة والعمل الدائب لادراك حق هذا الوطن ، وسيرى الناس عما قريب اننا اوفياء بما عاهدنا الله عليه ، أمناء على ما دعونا اليه .

ونحن ندعو الامة في هذا الموقف العصيب الى التضامن والتآزر ، ندعوها الى الاجتماع حول كلمة جامعة وارادة صلبة ؛ فان من العار على أمة ما برحت حرياتها مقيدة ومصائرها مجهولة ان يقوم فيها ادعياء لا يخافون الله في بلادهم ليضعفوا من قوتها ويوهنوا من عزيمتها وهي احوج ما تكون الى ان تظهر بمظهر الرجل الواحد حتى يستقيم لها الامر . على ان أمة رفعت في ماضيها القريب والبعيد منار العزة ، وحملت مشعل الجهاد في سبيل الحرية وسارت بخطى جبارة لتأسيس استقلالها وبناء ملكها وتوطيد عزها هي أمة واصلة الى ما ترجوه بحول الله وقوة الحق التي لاتغلب .

عواطف المهاجرين نحو وطنهم

نشرته جريدة (الانشاء) في عددها الصادر
بتاريخ ٣٠ آب ١٩٣٨

تلقى وزير المالية الاستاذ لطفي الحفار من الاستاذ الياس قنصل الكتاب التالي :

الى حضرة الاستاذ المجاهد لطفي بك الحفار المحترم

السلام عليكم . تعبر هذه الرسالة ـ وان تكن خصوصية ـ عن اماني العديدين الذين يرقبون بلهفة اخبار الوطن العزيز ويتمنون من صميم قلوبهم ان تستقر حالته على وضع يتفق مع الجهود والتضحيات التي بذلها رؤساؤه الاحرار ولا يزالون يبذلونها . لقد تحملت سورية المفداة سلسلة متتابعة الحلقات من المصاعب والاهوال في سبيل الوصول الى يوم تتنشق فيه نسمات الحرية . وانبثق العهد الوطني الجديد فتفاءلت النفوس . ولكن لؤم السياسة الدولية من جهة وتلاعب اصابع الاستعمار من جهة ثانية كادا يلاشيان الآمال التي كان يعلقها السوريون على وعود الشرف الاوربية .

أفلا ترون ـ والحالة هذه ـ أن التسويف الذي لجأت اليه الدولة الحليفة وكان نتيجة للكوارث الاليمة المعروفة ، ألا ترون أن

هذا التسويف قد طال امره بحيث بات يهدد بقية الامل الضئيلة . ألا ترون ان على سورية — وانتم قد عرف جهادكم النبيل فيها — ان تختار بصورة نهائية بين السياسة الايجابية القائمة على البر بالوعود وبين السياسة السلبية الصريحة الى ابعد حدود الصراحة .

نحن لا نتجاهل حرج المواقف السياسية في اوربة ولكن ذلك لا يمنع فرنسة من ان تنظر الى قضية سورية النظرة الواجبة ولاسيما وهي تمثل مركزاً حربيا هاما في البحر المتوسط فضلا عن أن صداقة السوريين تعني صداقة عشـــرات الملايين من العرب الذين يرون في دمشق قلب البلدان العربية ومهما كانت حالة اوربة حرجة فليس من العدالة ترك مليوني نسمة دون ان يعرفوا مصيرهم الحق ، ننتظر ان تتكرموا علينا بجواب يزيدنا علماً بحالة الوطن العزيز ونحييكم ختاما بكل ولاء واحترام واعجاب .

الياس قنصل

جواب الوزير الخفار

فارسل اليه وزير المالية الكتاب التالي :

حضرة الشاعر الوطني والاديب العبقري الاستاذ الياس قنصل المحترم

تحية الوطن ، وبعد فقد تلقيت كتابكم الكريم وحمدت الشعور النبيل والعواطف السامية التي تحدوكم ابداً الى التفكير بحرية الوطن والعمل على تحقيق امانيه التي قدمت البلاد على مذبحها اشرف الاضاحي واكرم الجهود ، ولا غرو في ذلك فانكم واخوانكم المهاجرين ما

برحتم أشرف العاملين وارسخ المجاهدين ايماناً وعقيدة وجهاداً وعملا وتضحية ونجدة .

السياسة الواجب انتهاجها

تتساءلون عن السياسة الواجب انتهاجها في هذه الآونة بعد ان شاهدنا ما شاهدناه من حنث بالعهود واخلاف في الوعود ولكنني وانا مع اخواني قد اخذنا على انفسنا أن نسير بسفينة الوطن الى شاطيء السلامة ، واحتملنا مسئولية ادراك امانينا القومية وبلوغ آمالنا الوطنية لم نر ان هنالك أي مجال لليأس والقنوط من وصول سياسة المعاهدة الى مستقرها او الرجوع الى العمل السلبي دون ضعف او تردد ولا مجال للجبن عن النهوض باعباء المسئوليات العظيمة التي تلقى على كواهلنا سواء امام هذا الجيل أم امام الاجيال المقبلة مهما كلفنا ذلك من بذل وجهد ونصب وعناء وبرغم ما نلاقيه في جهادنا الحاضر من العقبات الكأداء والدسائس الخارجية والداخلية .

ليس من مزايا المجاهدين المؤمنين اطراح عدة الجهاد ، ولا من سجايا المخلصين النزوع الى الراحة والرقاد، ولا من طبيعـــــة الوطنية البريئة الاذعان والانقياد ، فلقد يكون من اسهل السبل علينا اذا ما تمسكنا بانانيتنا وجعلنا مصلحة اشخاصنا فوق مصالح وطننا ان نغادر مقاعد الحكم وان نعلن نهاية سياسة التعاهد وان نعود الى مهاد الراحة وان نرضى من العمل في سبيل حرية الوطن بالاعتصام وراء (لا) في كل أمر ، وأن ندعو الى السلبية المطلقة دون تضحية وبذل وان ندعي اننا بذلك حفظنا اماني الوطن ، وحمينا حقوقه واننا ابرزنا من انواع البطولة الوطنية اسماها ومن ضروب النضال القومي انبلاها واعلاها ،

ذلك هين سهل . اما السير على الجمر واحتمال انواع المكاره في سبيل الهدف الوطني والامل القومي واستساغة المر والحنظل ، فهو الشاق الصعب الذي لا تضطلع به ولا ترضاه غـــذاء ولا مـذاقا الا النفوس التي تمرست بالجهاد وآمنت بحق الوطن ورأت ان من الجريمة في حقه ان تطوى هـــذا النضال الوطني وفي جعبة الصبر منزع وفي كنانة الامل سهم . فلقد كفى الامة ما عانت من بلاء وما قاست من انواع الشقاء لتزج بها وهي على ما هي عليه من حال في مهمه لا تدري نهايته ولا تدرك غايته !

ذلك ما عليه علينا الواجب ويحتمه الاخلاص لوطن لم ندخر في سبيل خدمته في حياتنا — ولا فخر — جهداً ولا وقتاً ولا نشبا ولا تقر لنا عين او تهدأ جانحة الا في أن يتكلل جهاده اللامــع باكاليل المجد وغار النصر انشاء الله.

مهمة رجال الكتلة الوطنية

انتم تعلمون أن رجال الكتلة الوطنية في البلاد السورية الذين أخذوا على عاتقهم هذه المسؤولية الكبرى لا يرمون من وراء حركتهم الاستقلالية والتحريرية الا الى غايات قومية كبرى وآمال واسعـــة لتحقيق الاماني القوميـــة والوحدة العربية ونحن نعتقد أن سورية وحدها هي التي تستطيـع ان تقوم بالتعاون مع بقية البلاد العربيـة والدول النـــاشئة في الجزيرة والعراق لتحقيق هـذا الهدف السامي ووضع الاسس الركينة لتهيئة المستقبل اللامع ولا يكون ذلك الا

اذا صبرت وصابرت حتى تتمتع باستقلالها وتجني ثمار حريتها ، ولذلك يجب علينا ان لا ندع لليأس والقنوط سبيلا الى نفوسنا فالامة العربية تنتظر منا ومن بلادنا هذه النهضة المباركة وهو ما نحن عاملون في سبيله ماضون لتحقيقه مها كلفنا الامر ولا تزال نفوسنا وثابة وآمالنا عظيمة للوصول الى هذه الغاية السامية ما دام امثالكم الوطنيين العاملين يشدون أزرنا ويشجعوننا في موقفنا . وعليكم وعلى اخواننا المهاجرين واجب الاهتمام بقضايا بلادكم على ان تقوموا بذلك لتلقين ابنائكم واحفادكم الاعتزاز والفخر بتاريخ بلادكم ومآثر اجدادكم والعناية بتعليم اللغة العربية بين جميع افراد الجالية والجيل الناشيء لاننا نخشى ان تأتي الاجيال من الاولاد والاحفاد ناسية لغتها جاهلة لتاريخها وبذلك تكون الخسارة فادحة على البلاد وعلى ابنائها وعندي ان أهم واجب يلقى على عاتق اخواننا المهاجرين هو تعميم استعمال اللغة العربية وتاريخها وفتح المدارس الخاصة الليلية والنهارية لهذه الغاية الشريفة وفقكم الله لما فيه خدمة قضية بلادكم وقوميتكم .

دمشق في ٢٩ آب ١٩٣٨

حديث عن الأوضاع الحاضرة

(للعبرة والتاريخ)

نشرته جريدة (الاهرام) بعددها الصادر
بشهر ايلول سنة ١٩٣٨ .

س — ما هو رأي معاليكم في الاوضاع الحاضرة في سوريا وفلسطين ؟

ج — لقد كان الكثيرون يظنون أن وجود الاجنبي في البلاد سيكون سبباً من اسباب نجاح البلاد وارتقائها ونهوضها من كبوتها وكان بعضهم يعلق آمالا كبيرة على وجوده ويعاون على امتداد نفوذه وكان ارباب الفكرة الاستقلالية بادىء ذي بدء قلائل لا يماشيهم بها الا عدد محدود من أهل البلاد وعبثاً كنا نحاول اقناع المترددين في وجوب العمل للغايات الاستقلالية ومثلها العليـــا والضرب على ايدي المستضعفين الذين لا يرون الا التسليم والاستخذاء وسيلة للتقرب للاجنبي والعمل في سبيل تحقيق غاياته واغراضه .

ولقد مرت الحوادث والعبر سراعاً وتقلبت الظروف تباعاً وكانت كلها تدل دلالة قطعية على أن وجود الاجنبي لا يكون في مصلحة البلاد واهلها وانه لا يعمل الا وراء سياسة الافقار وقتل الكفاءات

وتشجيع الخيانة والتجسس والضعف الاخلاقي العام وهو أقتل ما تمنى به أمة وأفضل ما تبلى به بلاد وأمضى سلاح للاجنبي يصول به ويجول .

وأما ما يتعلق بفلسطين فاني اعتقد أن غشاوة الكثيرين قد انقشعت حينما رأوا عاقبة الذين باعوا اراضيهم واملاكهم للصهيونيين وكيف انهم لم يستطيعوا استثمار اموالهم الا قليلا وانها لم تلبث حتى ذهبت من ايديهم ورجعت الى اوكارها وان هذا الطلاء الخارجي الذي بهر ابصارهم انجلى عن الحقيقة المؤلمة وهي أن من لا ارض له لا وطن له وان هؤلاء الأفاقين يستدرجون البسطاء والطامعين الى الخروج من بلادهم وديارهم بمجرد التوقيع على صك مبيع املاكهم واراضيهم وهو لا شك صك عبوديتهم وهجرتهم .

كما ان الكثيرين من هؤلاء قد لمسوا بايديهم ما يفعل بهم الاجنبي هنا وهناك وباعقابهم وذراريهم وكيف يعمد الى سياسة الافقار في البلاد السورية طبقاً للخطط المرسومة المنظمة التي تؤدي الى اسوأ النتائج واشأم العواقب .

وهل من دليل أقوى من هذا التقهقر الاقتصادي العام في تجارة البلاد وزراعتها وصناعتها ولقد بحت اصوات العاملين الاولين الذين شعروا بهذه الاخطار تهددهم وتهدد بلادهم في المرحلة الاولى وحفيت اقلامهم وهم ينذرون ويصيحون ويقدمون تقاريرهم الضافية التي تدل على مواطن الخطر والضعف في جميع الاحوال السياسية والاقتصادية ولكنهم كانوا كمن يضرب في حديد بارد .

وبلادنا السورية الآن لا تمارس سيادتها الوطنية وقد سلبوها حقوقها الادارية والتشريعية وكلما حاولت الوصول الى شيء من هذا يضعون امامها العقبات والعثرات وبذلك لا تكون احوال البلاد الادارية وهذه القرارات والقوانين التشريعية الا ضد مصالح البلاد تؤخرها الى الوراء ولا تستطيع ان تخطو باسباب ذلك خطوة واحدة الى الامام .

فالاوضاع الحاضرة في سوريا وفلسطين اوضاع سيئة جداً لا يمكن السكوت عليها أو التهاون بشأنها ولا بد من توحيد الخطط ووضع منهاج سياسي واقتصادي عام يكون دستوراً للعمل لدرء هذه الاخطار المحيقة بالبلاد . وخاصة ما يتعلق بقضية فلسطين المهددة بطغيان الصهيونية وتأييد الانكليز لها بمختلف اساليبهم الخطرة .

ولا يكون هذا الا بان يجتمع رجال الوطنية العاملين والمخلصين في صعيد واحد ليتدارسوا ويقرروا وضع هذا المنهاج الوطني العام ويتحدوا جميعاً قلباً واحداً وصفاً واحداً للعمل في سبيله والتضحية لتحقيقه ، لدرء الاخطار المحيقة بنا من كل جانب .

س — ما هو رأيكم في الوحـــدة العربية والعمل مع الاقطار المجاورة في سبيل تحقيقها ؟

ج — لا شك بان مصيبة البلاد العربية واحدة وانها كلها تشعر بوطأة الاجنبي واخطاره واذا كان بعضها يتمتع باستقلاله وبعضها الآخر يسير في طريق هذا الاستقلال وغيرها يرسف بقيود الاستعمار والانتداب فان الجزيرة العربية تحتاج كلها للتضامن والتآزر مع بعضها بعضاً لتتمكن من وضع دعائم هـذا المستقبل على اساس ركين ولتنجو من اشراك الاجنبي وحبائله التي ينصبها لكل قطر من هذه الاقطار العربية

بحسب حاجته واغراضه وكلها معرضة لهذا الخطر وواقعة فيه اذا لم تتماسك وتتضامن وتكون يداً واحدة وتعمل للوصول الى غاية واحدة .

واني أعلق آمالا كباراً على ما يفكر به رجال هذه الاقطار من وجوب عقد المؤتمر العربي الكبير لاقرار السياسة الوطنية العامة التي تتعلق بمستقبل هذه الجزيرة العربية واهلها .

فالعرب وقد أحاطت بهم الاخطار من كل جانب أما آن لهم ان ينتبهوا لما يراد بهم وقد شعروا بما يجب عليهم والشعور كما يقال اول مراتب العمل ولا بد ان يكون لهذا الليل من آخر ولا بد من ان تصل البلاد العربية الى تحقيق وحدتها المنشودة وهذه المباحث التي تدور بين بعض رجال الحكومات العربية او بالاحرى بين العاملين في سبيل الدعوة الى هذه الوحدة أو الاتحاد العربي اولا من القوميين المؤمنين تدل على مدى جهود العاملين للوصول الى تحقيق هذه الاهداف السامية .

وقديماً تألفت الوحدة الالمانية والايطالية بمثل هذه المقدمات والتاريخ يؤيد هذه الحقيقة وعلى البلاد التي ما زالت تعاني قوة الاجنبي وتسالبه ان تنفض يدها من العمل ضمن أساليبه وخططه وان تعتمد على نفسها في حاضرها وآتيها وان تعد لكل أمر عدته والحياة توهب لمن يزهد بها والكرامة لا تكون الا لمن يستحقها .

ولك اسئلة أخرى تتعلق بالايجابية والسلبية وأيها أفضل وعن الطرق التي تعالج بها هذه الأدواء الاقتصادية والسياسية وغير ذلك وما بسطته لك فيما تقدم يدلك على رأيي فيما بقي من الاسئلة وانا

استطيع ان اقول باني قد عالجت اسباب هذه الازمة الاقتصادية مع السلطات المختلفة معالجة فعالة وقد قتلتها بحثاً ودرساً وقدمت بها من التقارير والاحصاءات والارقام ما تنوء بحمله الاطار والاوراق وقد نوعت الاساليب والاحاديث واشغلت نفي عشر سنين ونيفاً وأنا أتأمل باصلاح ما فسد من هذه السياسة الجركية والاقتصادية واصلاح طرح هذه الضرائب وطرق جبايتها وانفاقها ولكني اعترف لك اخيراً باني بت انشد قول الشاعر :

ان كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت ايامي

وحجتي أصبحت قوية في مقاومة القائلين بوجوب اصلاح هذه المفاسد الفرعية قبل اصلاح الوضع الاساسي وهو ما كان يخالفني به الكثيرون ولكنهم أخيراً سلموا معي بانه اذا لم يكن الاساس موضوعا على قواعده الثابتة فعبثاً يحاول البناؤون اصلاح ما تصدع من الجدران وما تزلزل من البنيان فالاستقلال قبل كل شيء وهو اساس الاصلاح ومبدأ تكوين الامة ونشوئها السياسي والاقتصادي والاخلاقي ، وبواسطته تستطيع ان تقوم باصلاح ما اختل من اوضاعها السياسية وما تهدم في حياتها الاقتصادية وما فسد من اخلاقها العامة .

(خطاب تاريخي)

بعد الاستقالة

الخطاب التاريخي الذي القي في جلسة المجلس النيابي المنعقدة بتاريخ ٧ صفر عام ١٣٥٨ وفق ٢٨ آذار ١٩٣٩ بعد استقالته من رئاسة الوزارة السورية وفيه بيان واضح عن أسباب استقالة الوزارة من الوجهة السياسية والوطنية ، وهذا نصه :

سادتي واخواني !

بعد أن استقالت وزارة الاخ السيد جميل مردم بك كلفني رئيس الجمهورية ان أقوم بتأليف الحكومة فاعتذرت اولا ، اعتذرت لانني كنت من القائلين بفشل المعاهدة وتجربة عهد الاستقلال والحرية الذي نشأ عن معاهدة ١٩٣٦ في مدة الحكم الذي مارسته الوزارة الوطنية الاولى ، والذي اشتركت في القسم الاخير منه وقد قمت بالتجربة بنفسي لاجل الوصول الى تحقيق اماني البلاد وتطبيق هذه المعاهدة فكان من جراء توالي الحوادث التي جرت قبل دخول الوزارة في اوائل سنة ١٩٣٨ ، وبعد دخولي ايضاً لممارسة العمل الحكومي كانت مع الاسف الشديد تتجلى لي الحوادث تباعا مبرهنة أن تطبيق هذه

السياسة لم يكن لطبيقاً عملياً نافعاً ، فقد كانت هنـاك احداث شتى تتعلق باوضاع الحكومة تعرقل عملهـــا وتشل حركتها فلا تستطيع بسببها ان تثبت وجودها وسيادتها ، وان تصون حق هذه الامـة في معالجة الامور كلهـا التي حاولت مراراً عديدة ان احصل على النتيجة المطلوبة منها .

ومن المعلوم لديكم ايها الاخوان ان دور الانتقال الذي نصت عليه المعاهدة بدأ حينما استلمت الحكومة الوطنية عملها وكانت هناك نصوص ايضاً تدل على وجوب تطبيق هـــذه المعاهدة واستلام الصلاحيـات والمسؤوليات التي كان يمارسها الجانب الفرنسي هذه المعاهدة التي كانت وليدة جهاد هذه الامة وتضحياتها طيلة ثمانية عشر عاما ، فلم تخل سنة من هذه السنين من بذل اغلى الدماء واثمن الضحايا لاجل مقاومة الانتداب واساليبه ، وقد كان موقف البلاد على اختلاف طبقات الامة وهيئاتها السياسية والوطنية جلياً واضحاً ، وهو موقف التنكر والمقاومة للانتداب الذي فرض على هذه البلاد وعدم الاعتراف به ولم تكن تمر فرصة من الفرص التي كان يمكن للامة ان تدلي فيها برأيهـــا امام الجانب الفرنسي منذ الاحتلال الاجنبي حتى الان ، الا وقامت بها وهي تطالب بتحقيق استقلال هذه البلاد ووحدتها ومقاومة الانتداب المفروض عليها فرضاً ، فمنذ عهد سراي الى عهد دي جوفنيل الذي قمنا بمفاوضات سياسية معه اثناء الثورة انتهت باعترافه بان سياسة الانتداب سياسة فاشلة ، وانه لا بد من عقد معاهدة مع فرنسا تعترف للبلاد باستقلالها ووحدتهـــا . وكانت بعد ذلك سياسة المسيو بونسو التي امتدت زمنـاً طويلا وتخللتها تجـارب

عديدة ومناورات لا حد لها للفت من عضد هذه الامة ولايجاد منفذ آخر للوصول الى تحقيق سلطة الانتداب بوسائل شتى ولكن ذلك كله باء بالفشل حتى ان ممثل فرنسا ، كما تعلمون ، ادلى امام لجنة الانتدابات في عصبة الامم بان علاقة الانتداب بهذه البلاد علاقة لا يمكن ان تكون صالحة ، ولا يمكن ان يستقر الامر معها .

ويطول بي القول ايها الاخوان ، اذا رجعت بكم الى العهد الماضي ، الى مواقف الجمعية التأسيسية والى نضالها ونضال الامة من ورائها ، فذلك كله كان يؤيد ان الامة لم تكن ترضى ، ولن ترضى عن استقلالها وتحقيق وحدتها بديلا ، ولا بد من الاشارة ايضاً الى تجربة الاتحاد السوري في سنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ هذه التجربة التي انتهت هي ايضاً بالفشل باعتراف ممثل الحكومة الفرنسية الجنرال ويغاند في خطاب القاه في حديقة الامة اذ صرح بان تجربة الاتحاد كانت تجربة فاشلة ،، وانه لا يمكن لهذه البلاد التي تضم اجزاء موحدة في جنسيتها ولغتها وآلامها وآمالها وتاريخها وتقاليدها الا ان تكون موحدة غير مجزأة . هذه التجارب جميعها مرت على الامة وقد حاولوا كثيراً ان يجدوا منفذاً يتسللون بواسطته الى تحقيق فكرتهم لتفريق هذه الامة وتمزيقها ، فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلا . لم تدخر وسعاً هذه الامة في نضالها الطويل في الطرق المشروعة وغير المشروعة لتثبت ان لها حقاً ، وانها لا ترجع عن نيله حتى انها اضطرت للثورة وتضحية فريق من ابنائها البررة ومجاهديها الاخيار ، وشبابها الاطهار الذين آثروا ان يخرجوا الى الثورة وان يهرقوا دماءهم في هذا السبيل لتحقيق وحدة البلاد واستقلالها .

اسرد هذه الامور امامكم بكل هدوء وبكل بساطة ودون ما حاجة الى حماس او ضجة وهي حقيقة تدل على نفسها بنفسها ، فهذه الامة لم تقصر يوماً في بذل اغلى الضحايا واثمنها لاثبات حقها في الحياة الحرة المستقلة . فما بالهم الان ايها الاخوان يرجمون بنا القهقرى من حين الى آخر لكي لا يحققوا أمنية هذه الامة التي تطلب بحقها في الحياة الحرة المستقلة .

وانا اقول لكم الحق ايها الاخوان اننا بحكم الواقع وبحكم السياسة التي أعقبت الحرب العامة نستطيع ان ننشىء من أمتنا دولة مستقلة ذات سيادة ، وانا اعتقد هذا اعتقاداً جازما .

وهنالك فكرة يختلف المنطق والتفكير فيها بيننا وبين فرنسا وقد قلتها لهم وأريد ان اقولها امامكم الان ، يقولون بان هنالك اخطاراً دولية تقضي عليهم بان لا يصدقوا معاهدة عام ١٩٣٦ يقولون اننا نخشى ان تتمتعوا باستقلالكم ان تأتي هذه الدول الطامعة وهي فاغرة فاها لابتلاعكم والامر ايها الاخوان على عكس ذلك تماماً ؛ الفرق كبيراً جداً بين ان نكون واثقين من مستقبلنا وصيانة استقلالنا نحافظ عليه بأنفسنا ونفديه بكل عزيز علينا .

وبين ان يقوم الاجنبي بالدفاع عنه أو بدعوى المحافظة عليه .

انا في هذا الحال القلق ، ايها الاخوان ، المضطرب الذي تسير به فرنسا يفسح المجال ، أقول ذلك مع الاسف الشديد ، لمثل هذه الدعايات الاجنبية الضارة ولكن لو كانت الامة مطمئنة الى مستقبلها واستقلالها ووحدتها فانها تكون صفاً واحداً متراصاً امام هذه الدعايات المغرضة التي لا تجد منفذاً او طريقاً لقلوب هذه الامة ، ولكنها في عكس هذا

الحال يوجد مجال واسع لـــلدس والتشويش والاضطراب ، والنتائج معروفة ، لان الامة تعرف معنى الحرية والاستقلال ، ففرنسا نفسها الموجودة في بلادنا بقوتها وقضها وقضيضها طالما قاومتها هذه الامة لانها تريد ان تفرض ارادتها عليها بالقوة فالامة لا تنثني عن حقها والمطالبة به فهذا الاضراب الشامل الآن الذي يتردد صداه من أقصى البـلاد الى اقصاها في هذه البلاد الفقيرة الضعيفة التي لا تستطيع ان تنـال حقها الا بمثل هذه الوسائل دليل على أن الامة لها ارادة واحدة لا تتغير ولا تتبدل ولـكن مع الاسف الشديد لم تكد البـــلاد تتنفس الصعداء في عام ١٩٣٧ السنة الوحيدة التي كانت فيهـا تهتف دمشق والبلاد السورية باسم فرنسا ويردد صدى هذا الهتاف في جميع انحـاء الجزيرة العربية ، في هذه السنة فقط كانت فرنسا تستطيع ان ترفـع رأسها عالياً وكان لها نفوذها السياسي والادبي .

وقد أراد الاستعماريون والرجعيون والرأسماليون من رجال فرنسا ان يضعوا العراقيل في سبيل تحقيق أمنية هذه الامة الضعيفة الناهضة وكان لهم ما أرادوا مع الاسف الشديد ، عملت الحـكومة الوطنية السابقة على تحقيق أمنيــة هذه البلاد ، وقامت بجميع ما يجب عليهـا للوصول الى هذه الغاية ، وسعت السعي الحثيث حتى انهـا كادت ان تخرج عما يجب عليها وتحملت مسؤوليات ما كان يجب عليها ان تقوم بتحملها ، مع ذلك كله لم تتورع فرنسا في ان تضربها من خلفها ضربة قاصمة ، لم تستطع بعدها ان تثبت في مقامها حتى النهاية ، وقد كنت

انا في الفترة الاخيرة من اعضاء هذه الحكومة ورأيت بنفسي العقبات التي توضع في الطريق والاشواك التي كان أقلها نشوب الفتن والقلاقل والاضطرابات وتشجيع فكرة الانفصال والخروج على سيادة الحكومة والامة ومقاومة دعوتها الحقة في بعض انحاء البلاد السورية العزيزة ولذلك كنت من القائلين حتى قبل ان دخلت الوزارة في مؤتمر قدسيا كما قلت امامكم عندما قدمت استقالتي من وزارة المالية في الوزارة السابقة بان هذه التجربة مع الاسف قد انتهت بالفشل ، وانه يجب علينا ان نعود عن هذه السياسة والاسترسال بها مضر بنا وبالامة ولكن حرص هذه الامة وحرص المسؤولين عنها لاجل خلاصها من نير الاستعباد كان يدفعهم لاتمام هذه التجربة حتى النهاية وكنا كلما توغلنا في هذه التجربة كلما وضع لنا من الاشواك والاشراك والعقبات في طريقنا من الاجنبي وعماله الذين لا يمكن ان يكونوا الا عاملين مقيدين لعرقلة اعمال الحكومة والتنكيل في رجالها وافرادها وموظفيها تنكيلا لا يصبر عليه ، ولذلك لما قدمت استقالتي الاولى من وزارة المالية قلت فيها مخاطباً فخامة رئيس الجمهورية وكنت صادقاً في قولي وقد كاشفت زملائي بذلك كما يلي :

منذ أمد غير قصير ابديت رغبتي الشديدة الى فخامتكم بالاستقالة من وزارة المالية وقد كاشفت بذلك زملائي مرات عديدة وأظهرت لهم ما يقتضيه الموقف السياسي الذي لم تعد فيه خافية من مقتضيات جديدة وواجبات وطنية تستلزم قبل كل شيء ان تتخلى الوزارة عن اعباء الحكم ولم أستطع أن أفوز بتنفيذ هذه الخطة العامة بعد ان

منيت المعاهدة السورية من الجانب الافرنسي بهذا الموقف لذلك رأيتني مضطراً فيما يتعلق بي ان أتقدم باستقالتي الى فخامتكم شاكراً لكم جميل عطفكم ومردداً اماني انجاح مساعيكم الرشيدة في سبيل تحقيق آمال هذه الامة ورغائبها وتقبلوا يافخامة الرئيس عظيم اخلاصي وفائق احترامي .

كل ذلك كان بسبب النكول عن سياسة التحالف والاعتراف بحقوق البلاد السياسية وذلك بعد رفض لجنتي الشؤون الخارجية لمجلسي النواب والشيوخ معاهدة ١٩٣٦ .

هذا موقف حاسم ايها الاخوان يمر على البلاد بعد ان نكل الجانب الآخر بسياسة التحالف يجب علينا ان لا نصبر على هذه السياسة وعلى البقاء في الحكم وعلى هذه الاساليب الملتوية ، ولكن قرار اخواننا النواب ورجال الكتلة الوطنية في مجلسهم العام كان يقضي بوجوب التربص والتريث حتى تأخذ هذه التجربة نهايتها .

قدم المفوض السامي الجديد وأقول لكم بكل هدوء ايها الاخوان وبدون حماس ان بياناته التي ادلى بها سواء في فرنسا او هنا لم تكن مطمئنة للجانب السوري لان سياسة المعاهدة لم تكن تشم من رائحة هذه البيانات حتى أن سفراته ورحلاته التي قام بها في هذه الديار والتي صحبهــا شيء كثير من عوامل الاستفزاز والتشجيع للفكرة الانفصالية والاقليمية ، منه ومن بعض عماله الذين يرمون الى فكرة خطرة جداً مع ذلك كله قلنا أن الرجل أتى لاجل القيام بالدرس الذي لم يجد بداً منه ، ولقد مضى على البلاد عشرون سنة وهم يدرسون

اوضاعها درساً مستفيضاً وجميع التجارب التي مرت عليها يظهر انها لم تكن كافية لهم .

وبعد استقالة حكومة الاخ جميل مردم بك قلت لكم انه قد كلفني فخامة رئيس الجمهورية السورية بتأليف الوزارة فاعتذرت وبينت له الاسباب ، ثم توالت الازمة اياما ، فاصر علي فخامة الرئيس الاول بقبول هذه المهمة ، وكان قرار الكتلة الوطنية ايضاً يقضي بان يمارس فخامة رئيس الجمهورية السورية حقه الدستوري وفقاً للتقاليد الدستورية ، أي ان يكون هناك حكومة من الاكثرية البرلمانية كي تستنفد آخر جهد لها مها كلفها الامر وانا شخصياً لم أقتنع بوجوب هذه التجربة ، واعلم علم اليقين بانهـا تجربة غير ناجحة ، ولكنه السهم الاخير ، ارادوني ان أقوم به وقبلته مكرهاً ، واذا قلت مكرهاً أقول ذلك وانا صادق في قولي ويعلم ذلك اخواني كلهم وقد نزلت مرغماً على ارادتهم وارادة الرئيس الاعلى ، وقد كنت حريصاً كما يعلم الله وحاولت جهدي ان أقنع الافرنسيين بوجوب الرجوع عن اساليبهم الاستفزازية الى تحقيق سياسة المعاهدة المعقودة بيننا ، والى ضرورة تسلم المسؤوليات والصلاحيات الى أهلها لكي يعود الى هذه البلاد حقها كما نصت عليه المعاهدة في الدور الانتقالي دون مناورات ومداورات مع عدم الاعتراف بالذيول والملاحق التي ارادها الاجنبي ولم تعترف عليها البلاد بالرغم عن مسايرة البعض لها ونحن في السنة الثالثة منه ويجب ان نستلم فيـه جميع الصلاحيات والمسؤوليات التي يمارسها عنـا الجانب الافرنسي ، بدأنا العمل في الحكومة الثانية ، ولا انكر عليكم باننا لم نتكد نزاوله

حتى فوجئنا باوضاع غريبة جداً ، وقد حاولنا ايضاً ان نفهم الجانب الافرنسي بان هذه الاوضاع التي يراد فرضها تخالف الاسس التي اتفقنا عليها مخالفة كلية ، فنحن دخلنا الحكومة لنمثل حكماً نيابياً دستورياً استقلالياً بعيداً جداً عن شوائب الانتداب وعن فرض الارادة الاجنبية ، ولكننا كنا نجد انفسنا امام احداث تتعلق بالمناطق العزيزة الثلاث الجزيرة واللاذقية وجبل العرب ، احداث لا يمكن الصبر عليها ولا السكوت عنها فهناك فئات تقوم امام سمع الحكومة وبصرها وامام السلطة الفرنسية بتحريض منها بالانتقاص من حقوق سيادة الامة وبانتهاك حرمتها وكرامتها واحراق علمها وطرد موظفيها والافتئات والانتقاص على أبسط اعمالها ، فانا اعتقد ان هذه الاعمال لا يمكن ان يرضى بها وطني مخلص لبلاده اذا خلا لنفسه وضميره ، والواقع أن هناك تشجيعاً وخطة مدبرة لكي يتقلص نفوذ الحكومة السورية في هذه المناطق العزيزة ، لان هذه المناطق تسلحت وقامت بالقوة ضد الموظفين وجميع مظاهر الحكم والحكومة لم تستلم جيشها بعد ، ولم تؤمن قوتها من جميع نواحيها بل كانت تستند على قوة الشعب واعانه ونصحه وعلى تضحية الامة ، فماذا نعمل امام هذه الاحداث التي تعترض سبيل العمل ؟ .

لقد طلبت اليهم والححت كثيراً ، وقلت لهم أن حرق العلم السوري لا يمكن ان تصبر عليه حكومة تشعر بواجبها أو بمسؤوليتها ، وان المتمردين الذين قاموا بهذا العمل تقضي أبسط القواعد ان يجري التحقيق بشأنهم وان يحاكموا على عملهم الفظيع ، ولكن مع الاسف

الشديد لم أجد مجيباً لهذا السؤال وذلك بالحيلولة دون عمل الحكومة وقيامها بالواجب ولكن اجبت بان التحقيق لا يمكن ان يدين احداً لان الهياج كان عظيما بسبب ارسال رزمة من الاعلام السورية الى الجزيرة ، وهذه الرزمة التي ارسلها بعض الوطنيين لرفعها ايام زيارة السفير كانت سبباً لهياج المتمردين من سكان الجزيرة ، ولحرق الاعلام امام سمع السلطة الافرنسية وبصرها ، ولم تستطع الحكومة ان تفعل شيئاً لحماية فرانسا لهم ، ذلك لانهم يظنون بان انتهاك الحرمات الوطنية والتعدي على الحريات هو من القضايا البسيطة ، وليست من الضرورة القصوى التي تستدعي هذه الاستقالة لانهم كانوا يعدون انتهاك حرمة الامة السورية والتعدي على حقوق الحكومة الوطنية وخرق الدستور كل ذلك عبـــارة عن مسائل ادارية صغيرة ، فليعلموا ان المسائل الادارية والقضائيـة كتعيين المحافظ والقضاة عائد حسب الدستور الى رئيس الجمهورية ، ومن حقه الشخصي في جميـع المناطق التي تتمتع باستقلالها الاداري والمالي ، فهو الذي يعين محافظها ويعين قضاتها بناء على قرار حكومته الدستورية المسئولة ، فهل هناك ابسط من هـذه المسائل التي تدل على سيادة الامـة وهم يريدون ان يحرمونا منها وان نقبل ذلك بسرور وهدوء ، وان يهينوا اعمالنا وموظفينا في السويداء والجزيرة واللاذقية ونسكت ، ولا نطالب بالتحقيق عن هذه الاعمال .

ان أقل ما في هذه الاعمال هو اقتطاع هذه المناطق التي كل ما في الوحدة ان محافظها وبعض قضاتها يعينون بمرسوم جمهوري ويطلبون منا ان نقبل ما يفرض علينا ، بطيبة خاطر ، ويقول فخامـة السفير

في رده على استقالتنا بان هذه قضايا بسيطة ، انا لا افهم معنى للرضوخ لذلك الا القبول بعودة التجزئة من قبلنا والرضي بهـا ، لقد طلبت منهم ان يعطوا بيانا يقولون فيه ان الصلات بين سوريا وفرنسا لاتزال قائمة على اساس معاهدة سنة ١٩٣٦ وانهم يحترمون قوانين البلاد وسيادتها الوطنية ، فابوا علينـــا ذلك ويقولون انهم لا يستطيعون ان يقوموا بعمل قبل ان يذهب السفير الى فرنسا ويرجع منهـا ، والبـلاد قلقة مضطربة على استقلالها وحريتها بل على دمائهـا وتضحياتهـا الثمينة التي قدمتها طيلة العشرين سنة الماضية ، فبربكم ايهـا الاخوان ، قولوا لي هل تريدون ان نكون أداة مسخرة للرجوع الى أساليب الانتداب والتنكر لهـــذا العهد الاستقلالي الحر ، كلا ايهـــا الاخوان هذا لا يمكن ابداً ، والله لقد فكرت وزملائي كثيراً وحاولنا ان نصفي الامور مع المندوب ومع السفير لاجل ان نجـــد مخرجا يتفق مع اماني البلاد وكرامتها ومع ما يجب على السلطة في هـذه المناطق العزيزة وغيرها ولكننا لم نجد دليلا واحداً يدلنـا على حسن النية لنسير في هذه التجربة الاخيرة ، ونستمر في هذا الى النهاية ، أقول لكم هذا بكل صراحة ولا يمكنني ان ادلي لكم بالنصوص والمذاكرات الرسمية ، واذا اردتم ذلك فما عليكم الا ان تعقدوا جلسة سرية لادلي لكم بها بمعلومات تخرجون بعدها قانعين باننـــا استنفدنا جهدنا بهذه القضايا وغيرها التي يقولون عنها انها قضايا بسيطة ، ولم نصل الى نتيجة مرضية ، لذلك بعد ان رأينا انهم يريدونا ان نكون عمال انتداب لا عمال معاهدة واستقلال واقول لكم كلمة صريحة انهم حاولوا اغراءنا او اغواءنا بشتى الطرق والاساليب ولكنهم لم يفلحوا

ولن يفلحوا باذن الله . لذلك قدمنا هذا الكتاب الذي لم نر بدأ منه ، بعد ان أرسلت لنا مذكرة لا استطيع أن أتبسط في محتوياتها الآن لان الواجب يقضي بذلك ، ولكنني أستطيع بسطها لكم في جلسة سرية كما قلت آنفاً اذا أراد المجلس ذلك ، وهذه صورة الكتاب الذي قدمته الى فخامة الرئيس الاول أعلن فيه استقالة حكومتي .

(نص كتاب الاستقالة من رئاسة الوزارة)

لقد دعوتموني لتأليف الحكومة منذ اربعين يوما ، فامتثلت ولبيت رغبتكم العالية في تلك الظروف الحرجة والساعات الحاسمة ، وتذكرون ايدكم الله اني لم اقدم على هذه المغامرة الا تحقيقاً لثقتكم الغالية ، وأملا بانقاذ البلاد من ذلك الموقف المضطرب الذي كانت فيه . وقد كان لمؤازرة زملائي واخواني الوزراء اكبر الاثر في اقدامي على تحمل هذه الاعباء ، ثم وجدنا بالفعل من حصانة هذه الامة ونضجها السياسي ما حقق آمالنا ، فما كدنا نستلم مقاليد الحكم حتى استقر النظام في نصابه وهدأت النفوس المضطربة وعادت الامور الى مستقرها في جميع المناطق التي نتولى ادارتها ، مما دل على حرص الامة على حقها وتمسكها بامانيها الوطنية ورغبتها الاكيدة في بلوغ هذه الاماني المشروعة ضمن نطاق الحق والقانون والدستور .

ويؤلمنا ياسيدي الرئيس ان نصارحكم بانه لم يعد امامنا السبيل السوي لاتمام المهمة التي اضطلعنا بها ، ونحن نعتقد ان العمل السياسي الوطني لا يقوم الا على اساس التعاقد مع فرنسة تعاقداً شريفاً حددته معاهدته ١٩٣٦ ولا نرى سبيلا الى دوام العمل اذا تعذر تطبيق هذه السياسة المستوحاة من تلك المعاهدة واذا ظلت المناهج المتبعة في بعض

اجزاء البلاد سائرة على النحو الذي نراه والذي ينتظر أن تكون له أسوأ العواقب .

اما وقد خبرنا الحكم الوطني في مرحلتيه الاولى والثانية وجاهدت وناضلت انا وزملائي الوزراء لاقناع الافرنسيين بحقنا في ممارسة الاستقلال دون جدوى فقد ثبت عندنا ما كان راسخاً في نفوسنا من ان مصلحة بلادنا ومصلحة فرنسه نفسها لا تتفقان مع أية سياسة تستوحى من خطط الانتداب وأساليبه وانه لا يمكن ان يقوم في البلاد حكم صحيح مستقر الا على أساس المعاهدة التي حددت فيها الحقوق والواجبات المتقابلة تحديداً صريحاً ، ولما كنا نرى ان الاستمرار في الحكم بهذه الشروط وضمن هذه الظروف هو مناف لمبادئنا الوطنية ومناقض لمواثيقنا فاننا نرفع الى مقامكم السامي استقالة الحكومة راجين قبولها .

ولا يسعنا الا ان نشير بهذه المناسبة الى ان سياسة فرنسه هي التي يجب ان تفسح مجال العمل السياسي امام الامة ليستطيع رجالها الوطنيون استلام الاحكام ، وانها ما دامت مترددة في قبول معاهدة ١٩٣٦ وسالكة هذه الطرق التي لا تدل على رغبتها في التعاقد مع سوريا للاعتراف بحريتها واستقلالها ووحدتها ، فلا فائدة ترجى من تحمل مسؤوليات الحكم .

اما اذا رجعت الى اقرار ما تم من جهتها واستوحت سياستها من نصوص معاهدة ١٩٣٦ على الاقل ، فاننا حينئذ فقط نرى الرجوع الى التمسك بسياسة التحالف وقبول الحكم . والا فميدان البذل والتضحية في

سبيل تحقيق أهدافنا الوطنية فيه متسع للعاملين المخلصين .

وتفضلوا يا فخامة الرئيس بقبول اسمى احترامنا مشفوعا بالدعاء الى الله أن يوفقكم الى ما فيه مرضاته وما يضمن سلامة البلاد وصيانة مستقبلها .

دمشق في ١٤ آذار ١٩٣٩ وفي ٢٣ محرم ١٣٥٨

رئيس مجلس الوزراء

لطفي الحفار

هذه الاستقالة تنبيء بنفسها عن الاسباب التي دعتنا الى تقديمها ولا أزيد عليها كلمة صغيرة ، وهي اننا ايها الاخوان لم تقدم استقالتنا تحت تأثير ضغط خارجي او داخلي ، ذلك لانكم كما تعلمون انه حينما استلمنا الحكم كانت البلاد قلقة مضطربة ، وما كدنا نقبل بتسلم اعباء الحكم الا وعادت البلاد السورية الى اطمئنانها وهدوئها ، ولقد رأيت من ثقة هذه الامة وتأييدها في داخل البلاد السورية وخارجها ما شجعنا على القيام بأعمالنا ، ولكن الجانب الافرنسي لم يمهد لنا السبيل ولم يتعاون معنا تعاوناً صادقاً بل كان يضع العقبات والاشواك في طريقنا ، ولذلك لم أستطع ان أقوم بما يجب عليّ نحــــو أمتي وبلادي ، انا واخواني الوزراء ، لاننا لم نجد اخلاصاً من الجانب الآخر اذ لو كان هناك اخلاص في العمل ومعاونة جديــة تعود على البلاد عامة بالخير وعلى فرنسا نفسها لاستطعنا ان نقطع شوطاً كبيراً وان نقضي على كثير من هذه الدعايات الضارة ولم نكد نواجه هــذا المستقبل المملوء بالنتائج المجهولة ، ولكن ما العمل اذا أريد منا أن نكون خاضعين لما لا يرضي ضمائرنا ، وأن نكون منفذين لسياسة

ضارة لا يمكن لاحد عنده ايمان وطني ان يقبلها ، وأن نقضي على هذا الماضي الطويل وعلى هذه الامة وتضحياتها العديدة ، وأخيراً فانني كنت أمامكم ايها الاخوان صريحاً جداً في شرح العوامل الكبيرة (لا البسيطة) التي اضطرتنا لموقفنا هذا ، ولا يمكنني ان أزيد اكثر من ذلك الا في جلسة سرية أدلي بها امامكم بالرسائل المتبادلة اذا اراد المجلس ذلك (تصفيق حاد وهتاف لرئيس الوزراء وزملائه) .

الى إخواننا النواب

هذا الخطاب القي في جلسة مجلس النواب السوري المنعقدة بتاريخ ٦ نيسان ١٩٣٩

اخواني الزملاء الاكارم : ان الواجب الوطني العام يدعوني لان القي امامكم هذه الكلمة لأسجلها في محضر جلسات المجلس النيابي الرسمية ولألقيها امام ممثلي الامة بصفتي نائباً ، ولي الحق الكلام بما يتعلق بمصير هذه البلاد ، وبجميع الاعمال الادارية والسياسية التي مرت بها وبصفتي ايضاً رئيساً للحكومة السابقة المستقيلة ، أقول انني اديت امامكم ايها الاخوان في الجلسة الماضية عن الاسباب والعوامل السياسية التي أدت الى تقديم استقالتنا ، وقد ذكرت ذلك في الجلسة الماضية وخلاصة هذا ان هناك روحاً جديدة قد لمسناها من الجانب الافرنسي او اسلوباً جديداً يريد الافرنسيون ان يهيمنوا بواسطته على اعمال الحكومة ، وان يفرضوا ارادتهم عليها ، وأن يعيدوا سيرة الانتداب الى ما كان عليه في الاول ، مع اننا نعلم اننا في عهد دستوري استقلالي تمارسه الامة بعد جهودها وتضحياتها الماضية ، فلذلك حينما لمسنا هذه الروح الانتدابية التي تريد ان تهيمن ، وأن تفرض ارادتها على اعمال الحكومة ، وقد حاولنا كثيراً كما قلت ان نقنع الجانب الافرنسي بأن هذا الاسلوب ضار بها وبنا وانه ليس هو من الخير ولا يأتي بالفائدة المطلوبة وان العلاقات التي يجب ان تكون قائمة بين سوريا وفرنسا يجب ان تكون

قائمة حسب معاهدة ١٩٣٦ على الاقل، ولكننا مع الاسف لم نجد من الجانب الفرنسي اي ميل للتفاهم ، ولذلك اضطررنا بعد المعالجة والمذاكرة لان تقدم استقالتنا ونحتج على هذا الاسلوب ، ولا اعتقد انه يمكن اتخاذ اية وسيلة اعظم واضمن لحقوق الامة من تقديم استقالة حكومة تمارس عملها الدستوري ، وفقاً للقوانين والاساليب المرعية . ايها السادة تعلمون ان حضرة السفير لجأ الى اصدار قرارات عديدة وفقاً لهذه الروح التي شعرنا بها تتعلق باستلام صلاحيات الامن وفي تجديد مدة امتياز البنك وفي تعيين بعض الموظفين كالمحافظين والقضاة ، كل هذه الحقوق التي هي من حق الحكومة السورية ومن حق رئاسة الجمهورية ، قد لجأ اليها المفوض السامي بعد استقالتنا ، ان هذه الاعمال لا علاقة لحكومتنا بها واضطررت لان اعطي بياناً نشر في جريدة الانشاء بصفتي رئيساً لهذه الحكومة المستقيلة قلت فيه ان عمل المفوض السامي ، هذا هو افتئات صريح على حقوق رئاسة الجمهورية وعلى حكومته وعلى القوانين وعلى الدستور وعلى هذا العهد الاستقلالي الذي نمارس فيه الحكم وفقاً لمعاهدة ١٩٣٦ ، قلت ذلك في بيان صريح نشرته الصحف وتناقلته الالسن ، ولذلك فانني اعلن وأسجل هنا في هذا المجلس ان حكومتنا لم ترض ولن ترضى عن كل ما جرى بعد استقالتنا ، وانه عرض عليها فرفضته رفضاً تاما وان اقصى ما يمكن لحكومة ان تحتج على مثل هذه الاعمال هو ان تقدم استقالتها، فدرءاً للشبهات ولأجل ان لا تكون هذه الاعمال مسجلة على حكومة دستورية تتمتع بثقتكم أعلنت هذا وأقول ان مجلس الوزراء لم يجتمع بعد منذ تقديم الاستقالة حتى هذا اليوم وفقاً للقوانين والتقاليد الدستورية ، ولم يتخذ اي قرار ما ، بل بناء على

اصرار فخامة الرئيس الاول فقد مارست الحكومة الاعمال الادارية التي لا بد منها وذلك لعدم تعطيل اعمال الدولة ، وقد فكرنا كثيراً للتخلص من هذه المسؤولية ايضاً ، ولكننا لم نجد حلا يمكننا به ان نتخلص من ممارسة هذه الاعمال الادارية ، ولكن بحكم الدستور والقوانين تنتهي مسؤوليتنا السياسية من يوم تقديم استقالتنا ، ونبقى مجبرين على ممارسة الاعمال الادارية إلى حين تأليف الحكومة الجديدة ، فنحن اذن غير مسؤولين وغير راضين ولا يمكن ان نقبل او نرضى عن هذه الاعمال والاساليب التي يقوم بها المفوض السامي اذ لا يمكن لحكومة تشعر بالمسؤولية ان تقبل بمثل هذه الاعمال التي فيها افتئات على حقوق البلاد .

وقد قمنا بواجبنا بتحذير المندوب من المضي في هذه الاجراءات التي لم توافق عليها الحكومة وعارضتها معارضة شديدة وها انا نعلن امام مجلسكم الموقر ذلك بقوة وصراحة لاغمضة فيها ولا غموض .

نستمد ذلك من قوة ايمان هذه الامة وتضحياتها الثمينة في سبيل المحافظة على حقوقها وكرامتها ووحدتها .

الى الأستاذ محب الدين الخطيب

جاء بجريدة (الانشاء) بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٣٩ مايلي :

نشرنا منذ بضعة اسابيع رسالة الاستاذ محب الدين الخطيب الى الاستاذ لطفي الحفار وقد نشرها في مجلة « الفتح » الغراء . وقد أرسل الاستاذ الحفار الى الاستاذ الخطيب الرسالة الآتية جوابا ، قال :

الى أخي السيد محب الدين الخطيب :

لقــــد بعثت في نفسي ذكريات غالية ، ورجعت بي في رسالتك القيمة التي آثرت ان تكون منشورة لا مطوية ، ومطبوعة في مجلتك « الفتح » الاغر لا مخطوطة ، الى عهــــد الشبـاب الوثاب ، والآمال العذاب ، يوم كنا نصرف أوقات الصبا وايام الطلب ، في التغني بمجد العرب ، والتفكير باحياء مفاخر السلف ، وما يحويه هـــذا التراث الفخم من دين وأدب .

نعم يا اخي لقد انقطعت الكتابة بيننا زمنـاً طويلا ، ولكنه لم ينقطع ما بيننا من عهد وثيق ، وحب أكيد ، واخلاص لمـا عاهدنا الله عليه لان نعمل دائماً في سبيل اعلاء كلمته ، واحياء رسالة العروبة ومجد الاجداد .

ثلاثون عاما مرت بعد ان فرقت الايام بيننا وبعد ان كانت تجمعنا

الغاية السامية التي من أجلها أسسنا جمعية «النهضة العربية» ايام عبد الحميد ، وقد كنا لا نبالي باخطار هذا الطاغية المخيف ونسعى لنشر مبادئنا القومية والوطنية في دمشق وفروق ومصر واليمن والعراق ، نندفع بلا خوف ولا وجل ، ونبث فكرة القومية العربية بين الرفاق من الناشئة والتلاميذ بلا ضجر ولا ملل واخواننا الذين استشهدوا منهم على اعواد المشانق والذين كتب لهم البقاء في هذه الفانية حتى الآن ما زالوا من حملة المبادىء والاخلاق والاستقامة والاخلاص ، واني والله لافاخر بهم دائماً وأنت من ابرزهم عملا وثباتاً ، واضرب بهم المثل لأقيم الحجة على انه لا يعول الا على الذين أشربوا المبادىء الصحيحة الوطنية والقومية منذ صغرهم وهم الذين يعملون وينتجون ، ولا يتلونون ولا يترددون ، وهم الذين يستطيعون اداء رسالتهم في جميع ادوار حياتهم بصدق واخلاص .

رحم الله اساتذتنا طاهر الجزائري وجمال الدين القاسمي والبيطار والمبارك وشكري وعبد الوهاب ومن اليهم ، واخواننا عارف الشهابي وصلاح الدين القاسمي وتوفيق بساط والجزائري وغيرهم من الشهداء الابرار ، فقد كانوا لهذا الجيل الناشىء النبراس المضيء ، والقدوة الحسنة وكان لهم فضل هذه النهضة التي نمشي على غرارها ، وكانوا هم الشعلة التي اضاءت في الاقطار العربية فكانوا وقود هذه الثورة الفكرية وكانوا مادتها .

ان امتنا بعد ان شقوا لها الطريق واصلة إلى تحقيق أهدافها بفضل يقظتها العامة ، وبفضل ايمانها وتضحياتها ، واذا قضت الظروف والواجبات علينا بان نضطلع بأعباء المسؤولية الحكومية في سبيل خدمة

هذه الامة في حين من الاحيان فسوف لا نكون الا كما علمت وعهدت .

لقد كان لكلمتك البارعة ودعوتك الصالحة الاثر البالغ في نفسي ، وأنا أعلم ان هذه المناصب لا تعلي اقدار الرجال اذا لم تكن وسيلة للعمل الصالح والخدمة النافعة . اما اذا انعكست الآية فانها لاتكون الا سبيل الامتهان والازدراء ، ومجلبة الهوان والارزاء .

واذا كنت لم أجد سبيلا لتحقيق الاهداف الوطنية والقومية في تسنم رئاسة الوزارة فاني لم اتردد في الاستقالة والمقاومة وهدم المطاولة في عمل لا يكون من ورائه خدمة للبلاد . وقد سعيت جهدي لتجنب النتائج الوخيمة واقناع الجانب الافرنسي في اننا امة نسعى للحياة الحرة ونريد الدفاع عن تراثنا والاحتفاظ بكرامتنا وتحقيق استقلالنا ولا ينكرن ذلك احد فحقوق الجميع قد صانها الدستور وكفلها الماضي الطويل والتاريخ المجيد ولكن هذه المساعي ذهبت ادراج الرياح .

لقد أوحى اليك الخلق الكريم الذي درجت عليه ، والمبدأ القويم الذي طر شاربك وأنت تتغنى به ، والتربية العربية السلفية التي دعوت اليها إلى إرسال كلمتك لي بعد ان تقلدت الحكم في البلاد السورية في ظروف حرجة وتركة مثقلة بأعباء الماضي القريب والبعيد وقد كانت تواجهني مصاعب ومتاعب أقدر شدتها ، ومهالك يستعان بالله على النجاة منها .

اما المهالك فقد سعيت جهدي أن أدرأها عن امتي وبلادي وعن نفسي وإخواني لأنني كنت وما زلت من أزهد الناس بهذه الكراسي

التي جلس عليها كما قلت البر والفاجر ، والقوي والضعيف ، والصادق والكاذب ، فلم يكن حظ من رحلوا عنها الا بما قدمت أيديهم . وإني لأعتقد انها إذا لم تكن وسيلة لتحقيق الاهداف الوطنية العليا والغايات القومية السامية فلا يجوز البقاء عليها ساعة واحدة .

واما المصاعب وما يعت اليها من تفكك في العرى وشتات في الرأي وتفرق في الاهواء ، فقد عالجتها وسوف أسعى لمعالجتها مع أبناء البلاد من مختلف المذاهب والمشارب لاعمل مع المخلصين البعيدين عن أنانيتهم وشهواتهم متعاونين في سبيل الحق ، وفي سبيل انقاذ الوطن في محنته ، وفي سبيل اجتماع الكلمة في هذه الظروف العصيبة التي تمر في حياة الامة وهي تناضل دون حقها في الحرية والاستقلال لا ترهبها القوة ولا يثني عزيمتها البطش الجبار ولا تصدها عن غايتها المنافي والسجون ، واني مازلت اسعى في سبيل هذه الغاية الشريفة لتوحيد الاهداف والغايات والحيلولة دون تفاقم الشر في اختلاف الاهواء والنزعات ، واني لارجو الله ادراك هذه الغاية والوصول إلى تحقيق هذه الامنية العزيزة .

وختاما اشكر لك يا اخي هذه العاطفة الطيبة التي حفظتها في حنايا ضلوعك لرفيق الصبا والشباب ، وأرجو الله ان يحقق حسن ظنك فيه فوق ما تؤمل وترجوه ولك تحية أخيك المحب المخلص .

لطفي الحفار

جهاد الأمة العربية (في حفلة تأبين المرحوم الملك فيصل)

جاء في جريدة (الاستقلال) العراقية في عددها الصادر بتاريخ ١٦ مايس ١٩٣٩ مايلي:

خطاب فخامة لطفي بك الحفار رئيس الوفد النيابي

لحفلة تأبين المرحوم الملك غازي

هذا هو الخطاب الفريد الذي ألقاه صاحب الفخامة لطفي بك الحفار رئيس وزراء سورية السابق في الحفلة التأبينية التي أقيمت عصر أمس الاول ، وقد سحر به السامعين وأبكاهم ، وأثار عواطفهم وشجونهم . استعرض فيه قضية العرب الكبرى ولابدع ان يسمع الناس من فخامة لطفي بك الحفار هذه الحماسة في القول بعد ان ضرب لها المثل الاعلى في العمل سواء بين صفوف المجاهدين او في وزارة المالية ثم رئاسة الوزارة السورية التي استقال منها بإباء وشمم حرصاً على استقلال بلاده الذي أراد الاستعمار الفرنسي الانتقاص منه ، ونحن حين ننشر هذا الخطاب الرائع لا نكتم اعجابنا وتقديرنا لغيرة فخامة لطفي بك الحفار ، أكثر الله من امثاله بين رجالات العرب .

سادتي وإخواني :

توالت على الامة العربية الفواجع القاصمة يتلو بعضها بعضاً فتخطفت في حقبة قصيرة من الزمن ثلاثة أقطاب كانوا مناط آمالها وقوام بنيانها هم الجد والابن والحفيد طيب الله ثراهم وعطر الله مثواهم .

كان الحسين قدس الله روحه الطاهرة أول من بعث شعور العروبة بعد ان سكنت نأمتها وخمدت جذوتها دهراً طويلا وبعد ان كانت هذه الحركة محصورة بين افراد معدودين لا يستطيعون الجهر بآرائهم والدعوة إلى مبدئهم القومي. وكان فيصل أيد الله دعواه أول من أوحى روح الوحدة العربية وأحكم السعي لتأليف القلوب المتنافرة وتقريب المناهج المتباعدة. وكان الغازي خلد الله ذكراه اول من اندفع بحماسة الشباب اللاهبة الى الجهر بالانتصار لكل قطر عربي مهضوم الحق او مهيض الجناح. وران الدهر باسادتي على مجد امتنا سنين عدداً عديدة فخنمت له أمداً ثم حاولت النهوض حقبة من الزمن وفي ظروف مختلفة كانت تنمو فيه هذه الدعوة نمواً بطيئاً حتى قيض الله لها المنقذ الاكبر ساكن الجنان الملك حسيناً فعصف في جنباتها ريحاً عاتية دمرت حنادس الظلم وطمست دياجير الخنوع واستأصلت جراثيم العبودية فاذا الارض غير الارض وناسها غير الناس واذا العرب قد نفروا شيباً وشباباً يطالبون بحقهم المهضم ويستردون مجدهم السليب ماضين في كفاحهم لا يعرفون كلالا ولا ملالا .

نهض الحجاز واليمن ونجد والعراق والشام لتستضيء بنور الحسين وتقتفي خطاه الموفقة وتعتصم بما سجله لها من حق الاستقلال وانتزعه من الحلفاء في صك وثيق وما زال حجة العرب الدامغة وميثاقهم القويم وإذا كان الحلفاء في عهد الرخاء يتناسون المؤازرة القيمة التي أسداها عاهل العرب لهم والمعونة التي كانوا حريصين على نيلها في زمن المحنة ويحاولون التملص من عهودهم المقطوعة بشأن القطر السوري وغيره من الاقطار العربية الذي قطعوه طرائق ومزقوه حزائق ارضاء للشهوات

الجائعة والمطامع النكراء . فالعرب ياسادتي لن يهجعوا بعد اليقظة ولن يدعوا حقهم هدفاً لعبث العابثين وبلادهم طعمة للمستعمرين فانهم قد عقدوا النية واستخاروا الله على الاستمرار في الكفاح إلى ان يحرزوا هذا الحق ويصونوه من كل افتئات او اعتداء .

خذلوا الحسين وكان لهم وفياً وفاتهم ان حسيناً خلف اشبالاً يحمون العرين وبينهم فيصل صقلته يد الحدثان واختاره القدر الحكيم ليعيد لهذه الامة وهي خير أمة أخرجت للناس ماعرف لها التاريخ من سؤدد وفخار فما لبث ان شيد في العراق عرشاً راسخاً لا يميد ومستقراً لا يتزعزع قائماً على مشيئة الشعب التي هي صدى مشيئة الله وحاطاً بقلوب الشعب المؤمن بحقه والامين على عهده .

هذا العرش الذي وطد فيصل قواعده هو عنوان ثقتنا ومهوى أفئدتنا ومحط امانينا نلجأ اليه اذا جل الخطب او حزبنا كرب ونتفيأ ظله في الملمات ونواشب الحادثات .

فجعنا بفيصل وهو ملاك امرنا ونبعة ارومتنا بينما نحن في أشد الحاجة اليه وبقيت ذكراه ملء المسامع والقلوب وخلف غازياً يحمي الحمى وينهض بالعبء الثقيل ويبلغ الرسالة المقدسة التي تلقاها عن والده البار فحمل هذه الامانة بقوة وايمان لا يتزلزل ما استطاع من ثبات في العمل واخلاص في النية وعزيمة صادقة في الاقدام حتى غدا معقد الآمال ومطمح الابصار يلجأ العرب إلى ظله الوارف كلما لفحهم هجير الاستعمار او آذاهم لهب الظلم فيغضب معهم لعزتهم المهانة وكرامتهم المستباحة ويتخطى حدود التقاليد الملكية لنصرتهم وتأييدهم بعضاه واباه .

وكأن الدهر أبى الا ان يلج في الغدر ويمعن بالكيد للعرب خاصاً منهم القطر السوري وشطرها الجنوبي (فلسطين) بالنصيب الاوفر من الحيف فبعد ان حد غضبته لهذا القطر المهيض في شطريه الجنوبي والشمالي وتنسم ابناؤه ريح الفوز على يده المباركة عصفت ريح المنون بشبابه الغض فهوى ذلك البنيان المشمخر بعد ان خلف للعرب املا يشرق في وجه فيصل الثاني الوضيء وفي اخلاص عبد الاله العظيم وآل بيته الكرام الطاهرين .

على رسلك يا غازي يامن نصرت الشام في ساعة البؤس يوم طغى الطغاة وبغوا من غير ان يقيموا للحق وزنا او يأبهوا للمنطق العادل . سنذكر ما دام فينا لسان ذاكر غضبتك الكريمة وصنيعك الجميل وموقفك الفذ وسنبقى دوما وأبداً مخلصين اوفياء لآل بيتك المبارك ولشعبك الحر الشقيق الذي لا يضيع فرصة بدون ان يشد فيها أواصر الاخاء مع الاقطار العربية والقطر الشامي خاصة بتوحيد الاماني وتوطيد الرغائب والمنازع .

لقد عملت ياغازي حياً كما عملت ميتاً في سبيل هذا التوحيد وها ان الاقطار العربية قد توافدت من كل فج تجاوب عواطفها وتبكي فيك الجد العاثر والبطل المجاهد مؤيدة تمازج الاماني ووحدة الآمال وليس الشام بأقل أسى من العراق يوم هوى بدرك الساطع فقد هملت الدموع وسالت الشجون في كل مدينة وقرية ومضرب من المضارب القاصية والدانية وكما تقام هذه الحفلة في بغداد تقام في هذا اليوم الحفلات الباكية في الاقاليم الشامية تثور فيها الحسرات والاحزان لتتحد مع العراق في غصة الألم كما تتحد معه في فواتح الامل وانتم يارجال العراق الاماثل ويا حملة لواء القضية العربية يامن نصرتم جد

غازي وعاهدتم ابا غازي وضحيتم مع غازي ثقوا أن العرب مازالوا يرقبون فيكم حراسة الرسالة الكبرى التي بذلتم في سبيلها ما بذلتم من الضحايا التوالي حتى تؤتي اعظم النتائج وأطيب الثمرات .

والقطر الشامي مقيم معكم على حفظ العهد الذي قطعه لفيصل وشاعر معكم في معظم هذه الكارثة القومية وعاقد معكم الامل المحبوب على نهضة العرب واستمرارهم في سلم الصعود الى ان تبلغ المستوى اللائق بها وما كانت المصائب والآلام لتفت في عضدنا او تبعث اليأس في نفوسنا ولكنها تزيد في قوة عزائمنا وتدفعنا الى المضي في سبيلنا ما دامت هذه الامة العربية الناهضة تقدم الدليل تلو الدليل على مبلغ قوتها وحيويتها التي لا تنضب ما دامت تستمدها من تاريخها اللامع المجيد .

وليكن لنا من هذه المصائب حوافز قوية لنلم شعثنا ونوحد كلمتنا وتتحد رغائبنا وغاياتنا القومية ونعمل لتحقيق وحدة بلاد العرب وكلمة العرب لتطمئن أرواح هؤلاء الخالدين الذين بذلوا دماءهم وعروشهم في سبيل هذه المبادىء السامية والمثل العليا في جميع البلاد العربية على السواء في الضراء والسراء ونشر ألوية الوحدة القومية التي دعا اليها الحسين رضي الله عنه وأشباله الميامين وما علينا الا نسير على طريق هديهم مؤمنين عاملين ، جادين مخلصين .

في ندوة المجلس النيابي

هذا هو الخطاب الذي القاه في ندوة المجلس النيابي المنعقدة بتاريخ ٢٣ ايار ١٩٣٩ لتحذير البلاد من السياسة الافرنسية التي تريد فرضها على البلاد .

اخواني النواب الاكارم :

نجتمع في هذه الساعة والبلاد تنظر إلى اعمالنا من اقصاها إلى اقصاها لترى ماذا يقرر في هذا المجلس عقب بيان المفوض السامي بعد عودته من باريز ولا شك بأننا الآن امام حدث سياسي هام له علاقة كبيرة في مستقبل هذه الامة التي ناضلت وجاهدت كثيراً وضحت إلى ان وصلت إلى تحقيق جزء من امانيها بوضع معاهدة هي أقل او ادنى حد للأماني الوطنية قبلتها كخطوة اولى وصدقها مجلسكم الكريم لتكون نواة صالحة لمستقبل هذه الامة ولتمتعها باستقلالها وحريتها ووحدتها، وما كادت هذه الامة العربية المجاهدة المناضلة تخطو الخطوة الاولى في سبيل تحقيق هذه المعاهدة حتى اعترضتها العقبات والعراقيل في كثير من الامور الادارية والسياسية وظهر من الجانب الافرنسي تردد في تنفيذ هذه المعاهدة في مواقف عديدة كما تعلمون وقد أعربت البلاد بانها لن ترضى عن النكوث او الرجوع عما تضمنته هذه المعاهدة من حقوق اريد من انتقاصها في كثير من المواقف ، او اضافة ملاحق وذيول لها وضعها بعضهم دون استشارة اخوانه ورفضتها الامة والبلاد .

ولقد كنا نحن ممثلي هذه الامة في هذه الندوة النيابية ومازلنا صادقين في أقوالنا حريصين بأن لا نسجل على هذه الامة الا ما يتفق مع تضحياتها ورغباتها ومواقفها ، واننـا لا نقبل ولا يمكن ان تقبل لها دون معاهدة ١٩٣٦ ، وكنـا نستوحي هذه الرغبة كما تعلمون من شعور هذه الامة النبيلة ومن تضامن جميع هيئاتها الوطنية ورجالهـا وأفرادها وكلهم وراء هذه الغاية لا يشذ عن ذلك اي رجل كان ولا يستطيع رجل ان يقول ان الامة يمكنهـا ان تقبل دون تحقيق استقلالها ووحدتها وممارسة سيادتها التامة على بلادها .

هذا هو موقفنا الصريح ايها الاخوان وحينما تسلمت زمام رئاسة الحكومة حاولت كثيراً ان أقنع الجانب الافرنسي بوجهة نظر الامـة السورية وحاول كثير ممن اتصلوا بالجانب الافرنسي اقناعهم بأن هذه الامة لا يمكنها ان تقبل بانتقاص حقوقها ولكنني مع الاسف الشديد لمست واخواني الوزراء انه يراد الرجوع عن كثير من مواد هـذه المعاهدة بل يراد الرجوع بنا الى عهد الانتداب في أساليب مختلفة كما صرحت في كتاب استقالتي وكما بينت في خطـاب مطول القيته عقب الاستقالة من على هذا المنبر وكنت أتمنى كما يعلم الله ان لا تحقق الحوادث هذا الزعم وان يكون عمل المفوض السامي بعد عودته من باريز يناقض قولي واعتقادي لتطمئن البلاد على استقلالها وحريتها لأنها قد ناضلت كثيراً في هذا السبيل وانها تود ان تصل الى حالة الاستقرار المنشود ولكنه مع الاسف الشديد حينما قرأنا بيان المفوض الذي أذاعه في الثاني عشر من هذا الشهر والذي تلاه عليكم الآن امين

ألسر استولى على نفوسنا خيبة امل كبيرة ذلك لان هـذا البيان يناقض تماماً معاهدة ١٩٣٦ من وجوه عديدة فلا بد لنا ايها الاخوان ان نعرب في هذا المجلس باسم هذه الامة عن اوجه هذا التنـاقض لكي تكون الامة على بينة من الامر . لقـد ورد في الفقرة الاولى من ان حكومة الجمهورية الافرنسية لا تزال امينة على العهـــد الذي قطعته لايصال سورية صديقة فرنسا وحليفتهـا إلى الاستقلال ، وهي لاجل ذلك ترغب في الوصول بأسرع ما يمكن إلى اتفاق نهـائي مع الحكومة السورية على الاساس العام للمبادىء المعلنة في النصوص التي سبق ان وقعتها الحكومتان ، ففي هذه الفقرة رجوع صريح كما ترون عن معاهدة سنة ١٩٣٦ في حين ان السوريين يعتبرون أن هـــذه المعاهدة هي الصك الرسمي الذي يعترف باستقلالهم وهي الحـد الادنى الذي يمكن ان نقبل به .

نحن ايها الاخوان نملك هذا الصك الموقع من الدولة الفرنسية التي اعترفت به باستقلال هذه البلاد وحريتها وأهليتهـا لممارسة هـذا الاستقلال ، ولذلك نعتبر أن الرجوع عن المعاهدة لا يمكن أن نعتبره رجوعا من جانب يلزم الجانب الآخر قط لان هذا الصك هو نتيجة جهاد هذه الامة ونضالها وهو صك رسمي تتمسك به هـــذه الامة ولا يمكن ان تقبل الرجوع عنه .

هذا الصك ايها الاخوان قد أقره ايضاً صك الانتداب نفسه ولم ينكره وأتت معـاهدة ١٩٣٦ واعترفت بأنه آن للامة السورية ان تمارس حقها الاستقلالي وأن تتسلم الصلاحيات المسؤولة عنهـا ونحن ازاء هذا التصريح أرانا نرجع إلى الوراء الى ما قبل عشرين سنة بعد

هذه الحقبة الطويلة التي مرت من الزمن وهي سلسلة من الجهاد المتتابع وبذل الضحايا الغالية وكأن هذا لم يكف لاثبات حقنا في السيادة والاستقلال حتى نرجع القهقرى إلى الوراء وأما ماورد في هذه الفقرة من المبادىء المعلنة في النصوص التي سبق ووقعتها الحكومتان فنحن نعلن هنا بأن هذا المجلس لا يزال معلناً أمانته على ما أقره وصدقه من نصوص معاهدة ١٩٣٦ وانه لا يرى أي مجال للرجوع عن هذه المعاهدة التي سبق وقرر أعضاء هذا المجلس بأنها ادنى حد يمكن أن تقبل به الامة السورية ، واما ما لم يعرض علينا ولم نطلع عليه فاننا لا نرى مجالا لبحثه وقد اتخذ هذا المجلس الكريم قراراً يتعلق بالقرارات الملحقة التي قيل عنها اشياء كثيرة والتي لم نطلع عليها يوم ٣١ كانون الاول ١٩٣٨ ولم نوافق عليها وهو ما زال متمسكا بقراره هذا ذلك لاننا نعتبر ان المعاهدة التي أقرها المجلس هي الجزء الذي لا يتجزء ، واذا كان هنالك امور حقيقية يراد البحث بها فانها يجب أن تعرض على هذا المجلس ليرى رأيه فيها . ولقد ورد في فقرة اخرى من هذا البيان تقول انه على اثر الاختبار الناتج عن تطبيق احكام المعاهدة ١٩٣٦ ترى الحكومة الفرنسية من الضروري ان تسوى بروح الثقة المتبادلة مسألة النظام الاداري للمحافظات ارضاء لرغبات سكانها المشروعة ضمن نطاق الوحدة السورية ، هذا ايها الاخوان يؤيد ما كنا توقعناه وحذرنا منه وكان من اهم اسباب استقالة وزارتنا التدخل الذي يريدون فرضه في الامور الداخلية التي لا علاقة لها بالجانب الفرنسي البتة باسم قانون المحافظات او حقوق المحافظات او ما شاكلها وخاصة في محافظات الجزيرة واللاذقية

وجبل الدروز وهي من القضايا الادارية والداخلية البحتة وهي حق من حقوق هذه الامة لا يمكن ان ينازعها فيه منازع ولم يسبق ان قيدت امة في مسألة داخلية بحتة بمعاهدة ، وهذه المعاهدات التي عقدت في هذا الشرق سواء في العراق او في مصر او في غيرها من البلاد لم نر في معاهداتها ما يوجب وضع تدابير داخلية من الجانب الآخر . وأنا في هذه الجملة التي يراد تطبيقها وجعلها أساساً من أسس المعاهدة لا أرى ادنى فرق بينها وبين صك الانتداب نفسه ذلك الذي ورد فيه بأن الانتداب يتدخل في القضايا الداخلية بواسطة المستشارين ويفرض ارادته على الحكومة القائمة التي ترضى بمثل هذه الاساليب . بل هي أشد خطراً وافظع مآلا .

هل يعقل ايها الاخوان وهل من الانصاف والعدل في شيء ان تدعونا الحكومة الفرنسية بعد هذا الجهاد الطويل والضحايا التي لم تقدم امة مثلها بالنسبة الى نفوسها وإلى ثروتها لاجل التخلص من صك الانتداب وأساليبه ثم يراد بنا العودة إلى ما قبل عشرين سنة لنقبل بمثل هذه الاساليب وهذه البيانات ؟ . هذا امر خطير ايها الاخوان وانا كما ترونني الآن ادرس هذا البيان بروح التؤدة والهدوء لا بروح الحماسة والصخب اقول انني قد حاولت كثيراً كما يعلم الله ان اجد مخرجا تطمئن الامة على حقوقها في هذا البيان لاتخاذه أساساً صالحاً للبحث فلم أجد ذلك مع الاسف بل تيقنت كما يظهر جلياً من المقابلة بين معاهدة ١٩٣٦ ونصوصها وبين المعاهدة الانكليزية المعقودة سنة ١٩٣٠ وبين المعاهدة المصرية ايضاً ان هناك فروقاً عظيمة مع الاسف يراد الرجوع عنها وتطبيقها بأساليب اخرى قد رفضتها الامة في هذه السنين الطويلة فهي لا يمكن ان تقبل بها الآن ، فاذا قيل ان هنالك

محافظات تطلب بعض المزايا او بعض الحقوق فذلك افك مبين وافتراء فاضح بل أقول ، والانصاف يجب ان يكون رائدنا والحق يجب ان يكون قائدنا ، ان هذه الامة الناشئة الضعيفة ترفض مثل هذه الطلبات رفضاً تاماً ، واذا كانت تتعلق بتنظيمات إدارية لا علاقة لها في الموقف السياسي العام فالحكومة تقوم بدراستها ولكنه يراد تشجيع مثل هـذه النزوات في كثير من المحافظات لتفريق هذه الامة وتجزئتها وإضعافها كأنه لا يكفي ما منينا به من تجزئة تناولت جميع أطراف البلاد ولكنهم يريدون منا ايضاً ان يكون مصير هذه الامة في مستقبلها القريب محافظات مجزأة لا يربطها مع بعضها رابط ولا يمكن أن تكون نواة صالحة لتأسيس كيان صالح في المستقبل وتشجيع هذه النزوات والاستقلالات المحلية التي وردت في صك الانتداب في محافظتي اللاذقية وجبل الدروز التي كثيراً ما قال عنها الاجنبي وأعوانه انها مهضومتي الحقوق تجاه الحكومة السورية المركزية التي تتداخل في أقل شيء كتعيين الآذنين والموظفين الصغار والكبار . والواقع ايها الاخوان يتنافى مع هذا الزعم ، فهذه المحافظات امامكم ليس لنا الآن أدنى سلطة عليها الا من حيث موازنتها التي يقررها مجلسها الاداري وتعرض للتصديق من قبل الحكومة السورية وان محافظها يعين بحسب اختيار الحكومة السورية التي ترى في تعيينه منفعة ادارية أو سياسية بمرسوم جمهوري ، ولكن هذا مع الاسف قد سلب أيضاً ، وبعد هذا يقال ان لهذه المحافظات حقوقاً ومطالب يجب المحافظة عليها ! في حين اننا نطالب في جعلها وحدة تامة مع بقية المحافظات السورية ، لافرق بينها وبين سائر المحافظـــات في الحقوق والواجبات .

اما ماورد ايها الاخوان بشأن التعاون العسكري وارتباط السلامة الخارجية والداخلية ببعضها البعض فهو يناقض تمام المناقضة ماورد في معاهدة ١٩٣٦ لان هناك صراحة تامة بأن حكومة الجمهورية السورية تتحمل تبعة الامن الداخلي في جميع أراضي الجمهورية السورية ، وليس لأحد ان يتدخل في الامن الداخلي حتى الجيش ، وهل للجيش حق التدخل بالامن الداخلي الا في الحالات الاستثنائية التي يمكن للحكومة ان تستعمل جيشها لقمع اضطرابات داخلية خطرة حينما يكون هـذا الجيش تحت قيادتها وإرادتها كما تعلمون ؟ . وأما القول أن السلامة الداخلية والخارجية مرتبطة ببعضها البعض فهذا قول يراد به التضليل فقط واذا كان حضرة السفير الفرنسي يوجه نداءه للشعب السوري لكي يبرهن في هذه الظروف الحاضرة على رباطة جأش وتبصر ، فاننا ندعوه نحن ايضاً للعمل بأساليب هذا التبصر ، ليكون الشعب السوري رابط الجأش محافظاً على مصيره صادقا في محالفته لفرنسا شاعراً بالفوائد الجلى التي تعود عليه من وراء هذا التحالف ، ونحن في موقفنا هذا لا نطالب الا الاعتراف بهذا الحق الاستقلالي الطبيعي الذي هو حق لهذه الامة يجب ان تمارسه وتتمتع بالصلاحيات التي سلبت منها زمناً طويلا .

بعد هذا أيها الاخوان أراني مضطراً ان اقول اننا في هـذا الموقف نجابه حادثاً غريباً جداً ، فبينما نحن ننتظر ان نتقدم خطوات سريعة إلى الامام ، أرانا نرجع القهقرى الى الوراء ، فلا يمكن لهذه الامة التي نذرت نفسها لحراسة حقوقها والدفاع عنها أن تقبل بهذا التراجع او ان تطمئن لهذا المصير ، وأن يطلب منها ان تكون

رابطة الجأش . نحن نطلب لبلادنا العزيزة الوحدة والاستقرار المنشود والاستقلال الذي لابد منه والحرية التي ضحينا في سبيلها كل عزيز وغال ، فنحن لايمكننا ان نقر هذا ، ولا يمكننا ان نتراجع ، ولا نستطيع ان نقبل بمثل هذه الاساليب ، والامة بحمد الله يقظة ساهرة تعرف كيف تطالب وتدافع عن حقوقها بالطرق الدستورية المشروعة ، التي سبق وعالجتها طويلا ، وعلى الجانب الافرنسي ان يفكر طويلا قبل الاقدام على تجارب جديدة ثبت فشلها ومقاومة الامة لها . حتى لانضطر للعمل الى مالا نرضى عنه والرجوع الى السياسة السلبية العنيفة التي لا ادري مايكون من جرائها وتبعة ذالك تقع على الحكومة الافرنسية نفسها التي تجعلنا نقول مع الشاعر العربي :

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا   فلا يسع المضطر الا ركوبها

القيادة النزيهة

هذا الخطاب الذي في الحفلة الوطنية الكبرى بحي القنوات بتاريخ ٢١ تموز ١٩٤٣

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

مرت هنيهات في الحقبة الاخيرة حتى ظن انه لن تقوم للفكرة الوطنية في البلاد وفي دمشق خاصة قائمة بعد الآن. اننا اليوم في موقف امتحان للعاملين الذين أوفوا ما عاهدوا الله عليه مها تقلبت المصائب، وطغت الحوادث. اما الذين استسلموا ووهنوا وهانوا فقد عرفتهم الامة وجازتهم بما يستحقون. لقد مرت على هذه المدينة احداث انتخابية في عام ١٩٢٨ وعام ١٩٣٢ وعام ١٩٣٦ فكانت هذه المدينة في مثل تلك الظروف غير متأثرة بالدعايات الباطلة والاراجيف الكاذبة التي يروجها الذين لا يتقون الله في وطنهم ولا في امتهم.

وقفت هذه المدينة في عام ١٩٢٨ تجاه تيارات جامحة.

ولكن ارادة الامة هي التي انتصرت وخرجت سليمة ظافرة ووفقت لوضع دستورها ورفضت المواد الست. ثم خرج دستورها سليما والحمد لله.

ثم كان عام ١٩٣٢ حيث توفقت الامة وانتخبت ممثليها من الرجال المخلصين ورفضت المعاهدة.

ولم يستكن نواب الامة وصدقوا ما عاهدوا الله عليه وظفرت الامة بفوائد سلبية وخرجت منتصرة في تلك المرة ايضاً .

كذلك كان الموقف في عام ١٩٣٦ اذ ذهب الوفد السوري إلى باريز ووضع المعاهدة المعروفة ـ على علاتها ـ كان من شأنها ان تضمن حقوق البلاد وتضع مقدرات البلاد في أيدي أهلها .

ولكن الرجال الذين انتخبتهم الامة وقفوا الموقف المستلهم من ارادتها ومشيئتها فدافعوا عن حقوقكم دفاعا مجيداً ودفعوا شروراً عديدة .

ايها السادة :

هذه سلسلة صغيرة أردت أن أسردها لكم لتعلموا انكم كنتم على حق في ماضيكم القريب والبعيد ، والآن انتم مدعوون لمثل هذه المواقف أيضاً ، انتم مدعوون لانتخاب المجلس العتيد ، وقد ذكر السادة الخطباء مهام هذا المجلس وأريد ان اضيف ان هنالك توجيهاً سياسياً يلقى على عاتق هؤلاء النواب ، وما أظن إلا انه قد تكونت لديكم فكرة صحيحة وقامت في أذهانكم صورة صادقة عن رجالكم شيوخهم وكهولهم وشبابهم ، هؤلاء الذين يجب ان تولوهم ثقتكم واؤكد ان الزعيم الكبير السيد شكري القوتلي الذي رافق مراحل الجهاد منذ صباه حتى الآن سيكون موفقاً كل التوفيق ان شاء الله في اختيار قائمة تضم اسماء الوطنيين وما علينا الا ان نقف صفاً واحداً ورأيا واحداً وكلمة واحدة وراء هذه القائمة التي سيكون الزعيم القوتلي مرآة صادقة لها . وانا على يقين أنكم ستكونون اوفياء لعقائدكم امناء صادقين في مبادئكم وستؤدون الامانة المقدسة التي وضعت في اعناقكم خير اداء .

حاشية :

يلاحظ القارىء انقطاع سلسلة الخطب والمقالات من اواخر سنة ١٩٣٩ الى اواسط سنة ١٩٤٣ وذلك بسبب اعلان الحرب العامة الثانية وتولي السلطة الافرنسية الحكم المباشر في البلاد باسم حكومات سورية ثم تماديها في مطاردة الوطنيين العاملين . ثم اضطرار صاحب هذه (الذكريات) في خريف سنة ١٩٤٠ الى الفرار من سوريا الى العراق لاجئاً سياسياً ايام اتهمته السلطة الافرنسية وتآمرت عليه وعلى اخوانه المرحوم سعد الله الجابري وجميل مردم بك بقضية مقتل أخيهم المرحوم الدكتور عبد الرحمن شهبندر . وقد حيكت خيوط هذه المؤامرة الفظيعة مع بعض رجال السلطة الافرنسية واعوانهم في دمشق وكان على رأس المتآمرين المفوض الافرنسي المسيو بيو الذي كان واجداً وحاقداً على الوطنيين وعلى الاخص منهم على صاحب هذه الذكريات بالنظر لفضحه نوايا الافرنسيين وبيان نياتهم السيئة على البلاد باستقالته السياسية من رئاسة الوزارة مع ما ألقاه في المجلس النيابي تعقيبا على هذه الاستقالة من خطب سياسية واضحة .

وقد مكث في العراق مع اخوانه الى ان انكشفت هذه المؤامرة وانجلت هذه الغمة اثناء محاكمتهم غيابياً بواسطة محكمة خاصة ألفت برئاسة قاض افرنسي نزيه وعضوية قضاة سوريين حياديين . وقد اخذت هذه المحاكمة دوراً كبيراً اشترك فيها عدد كبير من المحامين السوريين واللبنانيين الى ان أقرّ المجرمون القتلة بجريمتهم الشنعاء مراراً وفي ظروف مختلفة وظهر بأجلى بيان ان لا علاقة للمتهمين الوطنيين

بهذا الحادث وحاشا لله ان يقدم اقل رجل يتمتع بالقليل من الرجولة والوطنية على اقتراف شيء مما يمت الى مثل هذا الاجرام بصلة . وقد برأتهم المحكمة وأدانت القتلة المجرمين وظهرت الحقيقة ناصعـــة جلية وقد عزل هذا المفوض الافرنسي المسيو بيو بعد افتضاح مؤامرته هذه وفشله فيها فشلا ذريعاً وكان قد اعتاد من قبل ، ايام اقامته في بلاد المغرب ، على اتهام الوطنيين العاملين بالجرائم لزجهم في السجون والخلاص من مقاومتهم . وعاد بعدئذ صاحب هذه الذكريات الى دمشق لاستئناف جهاده الوطني متابعاً طريقه لخدمة امته وبلاده دون ان تؤثر عليه هذه التضحيات والآلام والافتراءات الدنيئة كما انها لم تؤثر عليه من قبل المنافي والسجون طيلة ايام النضال والجهاد الوطني في مختلف الظروف التي مرت على البلاد ذلك لأنه يتحلى والحمد لله بالايمان بالله وبوطنه ويحمده على ما ابتلاه في هذا السبيل . وله في بغداد وبعد عودته جولات ومقالات وأحاديث لم نعثر عليها لنشر ما يجب اضافته الى هذه المجموعة للعبرة والتاريخ .

الناشر

الى أبنائنا الطلاب

نشرته جريدة (القبس) في العدد رقم ٢٠٦
الصادر بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٣

القى وزير الداخلية السيد لطفي الحفار في طلاب دمشق المتظاهرين يوم أمس ـ الثلاثاء ـ الخطاب التالي : وذلك بعد ان قامت السلطة الافرنسية في لبنان بحل المجلس النيابي واعتقال رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس وزارته ومتابعة هذه الاجراءات التعسفية .

« يا أبنائي انكم ايها الشباب في موقفكم هذا تودون ولا شك بأن تعربوا عن ألمكم لما أصاب الشقيق لبنان جارنا العزيز من جراء هذه الصدمة العنيفة وأنتم تعلمون ان حكومتكم المنبثقة من هذا الشعب النبيل ومجلسكم النيابي قد أعربا عن شعورهما وقاما بواجبهما فيما يتعلق بهذا الحادث الفظيع .

ان ما قام به مجلسكم النيابي يوم امس قد علمتم ولا شك تفاصيله وان ما أجابت به الحكومة بلسان وزير خارجيتها كان مفعما بالاخلاص صريحاً واضحاً كما ان الاعمال التي قامت بها الحكومة كانت صريحة ايضاً وقد أعربت عن رأيها وعلى رأسها رجل الوطنية الفذ ورمز التضحية والاستقلال السيد شكري القوتلي «هتافات» انكم تعلمون ان هذه الشخصية قد ضحت بمالها وشبابها وراحتها « هتافات » كما ان رجال حكومته الاحرار قد جاهدوا وناضلوا في سبيل استقلال هذا الشعب وهم لن

يتوانوا ولن يهدأوا حتى يقوموا بواجبهم خير قيام ، انجدة لبنان العزيز في محنته هذه التي لابد ان تنجلي الى رجوع الحق وانتصاره .

أطلب اليكم ان تعودوا إلى أعمالكم وان لاتدعوا مجالا للشغب « لاسمح الله » او اي عمل يخل بالامن يا احرار الامـة يجب ان تحافظوا على الهدوء وان لا تعتمدوا الاعلى ضمائركم ولا تهتفوا ضد احد ، اتركوا العمل للمجلس النيابي وللحكومة الشرعية التي تعمل في سبيل تحقيق سيادة الوطن وعزته والمحافظة على كرامة الامة وابنائها .

بارك الله بكم وافسحوا مجال العمل للذين يعملون ليلا نهاراً في سبيلكم وفي القيام بالواجب المحتم عليها فسوف لانسكت على هــــذه الاجراءات الغاشمة وسنقاوم هذا التعدي مها كلفنا الامر .

وعندما غادر هـــؤلاء الطلاب الذين يعدون بالمئات ساحة قصر الحكومة ، جاء طلاب الجامعة السورية الى هـذه الساحة ، وتألف وفد منهم قابل رئيس الوزراء السيد سعد الله الجابري ، ووزير الداخلية السيد لطفي الحفار اللذين اصغيا الى ما قاله احد اعضاء هـذا الوفد الجامعي عن الغاية من اضراب الجامعة والى ما أعلنه عن ثقة الطلاب الجامعيين بالحكومة السورية ، ثم القى وزير الداخلية الخطاب الثاني التالي :

« ايها الخطيب العربي ، ايها الشباب أبنائي :

اني والله لهز قلبي طربا عندما اسمع من خطيبكم انكم تعملون في سبيل عقيدتكم القومية وفي سبيل العروبة والوطنية الحقة وانتم لا شيء ولا قيمة لكم اذا لم تكونوا اشداء في عقيدتكم الوطنية امناء على قوميتكم العربية باذلين جهدكم في سبيل ما يعود على الوطن بالخير والنجاح وهو ما أراه في هذه الوجوه الطيبة والقلوب المتقدة حماسة ووطنية .

يا ابنائي ، اسمعوا من رجل قضى ثلث قرن يعمل في سبيل هذه

القضية العربية ، يعمل هو واخوانه مخلصين جادين في سبيل امتهم وبلادهم اقول لكم باسم هذا الحق المقدس الذي نعمل لتحقيقه ان تكونوا مثال الوطنية الصادقة وان حكومتكم المنبثقة من الشعب وهذا المجلس الذي رأيتم موقفه أمس يعملون ساهرين الليل والنهار لدفع الاذى عن البلاد العربية جمعاء ولبنان العزيز خاصة . ولقد اتخذنا من الاجراءات الصارمة والاحتجاج المنيف ضد السلطة الافرنسية بسبب هذا الطيش مالا مزيد عليه وما يحقق الغاية المرجوة . ولا يمكننا ان نستكين لاعتقال الاحرار المناضلين امثال عبد الحميد كرامة ورياض الصلح ورئيس الجمهورية اللبنانية واخوانه .

ان لبنان منا ونحن منه ، وما يضره بدون شك يضرنا وما يسوؤه يسؤونا وما يسره يسرنا ، هم اخواننا وابناء عمومتنا ثقوا اننا قائمون بالواجب ونتحمل المسؤولية بقوة لان وراءنا شعباً أبياً ، انصح لكم وأرجو ان تكونوا في مظاهرتكم مثال الهدوء والرصانة والنظام وان لا تحتكوا بأحد او تهتفوا بسقوط احد . اتركوا العمل لحكومتكم وما أظنكم الا واثقين بها واذا كنت احييكم وأقبل تظاهراتكم فلا اعني التمادي بها ، بل أرجو وضع حد لها لئلا تنقلب الى عمل مضر وأنتم لا تريدون الا الخير للبلاد وعلى مستقبلكم تتعلق الآمال .

فالشباب مناط الآمال ونحن نقدر ماتقومون به من المثابرة والجد للتعلم وحسن الخلق وقوة العقيدة الوطنية والزمن يسابقنا والويل للمتأخرين الوانين والذين لا يماشون التطورات السياسية والعلمية والمبادىء الدستورية الحديثة والنظريات الاجتماعية ودراستها دراسة تامة لتكون متوافقة مع أحوالنا الاجتماعية وجهادنا الوطني وضحايانا في سبيل مستقبل اولادنا وبلادنا (هتاف) .

ذكرى الزعيم عبد الواحد هارون

نشر في جريدة (الانشاء) الصادرة بتاريخ
١١ نيسان ١٩٤٤

بين الكلمات التي ارسلت الى لجنة احياء ذكرى الزعيم هارون كلمة لوزير الداخلية السيد لطفي الحفار ننشرها فيما يلي :

كنت أتمنى لو تساعدني حالتي الصحية على السفر، اذن لهرعت الى لاذقية العرب لاشارككم في احياء ذكرى اخ كريم ورفيق عزيز من رفاق الجهاد الوطني في سبيل الحرية والاستقلال ، فلقد كان الزعيم عبد الواحد هارون طيب الله ثراه مثالا رائعاً في الاباء والشمم والترفع ، وكان في خلال ثلاثين سنة عملنا فيها معاً في حقل القضية الوطنية شعلة من الاخلاص والتجرد يمتاز بالحنكة والدراية والفكر الثاقب يحترم الجميع رأيه ويسيرون على النهج الذي يرسمه لانه ماتوخى في يوم من الايام نفعاً لشخصه من وراء العمل الوطني .

ولقد اوذي في حريته كثيراً وكان في اواخر حياته رحمه الله سجيناً مضطهداً مشرداً بعيداً عن بيته ، والمرض يؤذيه ويسلبه الراحة فوق ما يسلبها السجن ، حتى اذا فقدته البلاد فقدت به زعيما كبيراً سديد الرأي مسموع الكلمة .

لقد عظمت خسارتنا بافتقاده ايها الاخوان ؛ ولكن عزاءنا بالسادة الاماجد رفاقه واخوانــــه وبأبنائه البررة الذين يسيرون على غراره ويهتدون بهديه ، رحمه الله ووفق خلفاءه من بعده الى الخدمة التي يريدها لترتاح روحه الطاهرة في الرفيق الاعلى .

ان الرجـال الذين قاموا في بلادنا بخدماتهم الوطنية والسياسية وبذلوا أعز مايملكون كانوا ولا يزالون النبراس الذي يستضاء به في جميع المواقف التي مرت على بلادنا لمقاومة الاجنبي ومقارعة أعوانه وأذنابه وهم الثروة الكبرى التي يجب علينـا ان نقدرها قدرها في حياتهم وبعد مماتهم والامة التي لاتقدر رجالها ولا تعترف بقيمة ما أدوه من بذل وتضحية غير جديرة بالحياة .

ولقد سبقتنا الامم في مختلف الظروف والمناسبات لاحيـاء مآثر رجالها وأبطالها لتكون القدوة الحسنة والمثال الذي يحتذى وعلى الابناء والاحفاد ان يكونوا فخورين بماضي رجالهم وزعمائهم ليكونوا جديرين بالمستقبل الحسن الذي ينتظرهم ويرنو بأبصاره اليهم . ومستقبل كل امة منوط بماضيها .

المشاريع الاصلاحية في وزارة الداخلية

نشرته جريدة (الف باء) الصادرة بتاريخ
٢ كانون الثاني ١٩٤٤ .

الى الاستاذ الكبير يوسف بك العيسى صاحب جريدة الف باء الغراء الاكرم .

جوابا على مقالكم المؤرخ في ١٨ كانون الاول سنة ١٩٤٣ لم أجد بدأ من أرسل اليكم كلمة تتعلق بالاصلاحات المنوي ادخالها على وزارة الداخلية خلال العام القادم وذلك بالرغم من ضيق الوقت وكثرة الاعمال ولكن اقتراحكم لابد من اجابته لما فيه من الفائدة والنفع مع التحية والاحترام .

وزارة الداخلية تشتمل على دوائر عديدة ويرتبط فيها مديريات شتى وهي المرجع لكل المحافظات وما يتبعها من قائمقاميات ونواح ويلحق بها الدرك والشرطة والصحة والاحوال المدنية والمطبوعات والتفتيش والبلديات وكل من هذه لها قوانينها ولها تشكيلاتها وكل من هذه الدوائر بأشد الحاجة الى اعادة النظر في كثير من احوالها وادخال الاصلاح المنشود عليها بما يتلاءم مع الاوضاع الاستقلالية التي يجب ان تتمتع بها البلاد .

اول ما اهتمت به الوزارة أنها أنشأت لكل من هذه المديريات

والمحافظات والدوائر المرتبطة بها دواوين فنية خاصة بها تريد ان تجعل من موظفيها رجال اختصاص لتدرس هذه الدواوين كل مايعرض من الاعمال على الوزارة كل في ناحية اختصاصه وبذلك يتم الانسجام وتوحد الاعمال ويسهر على تطبيق القانون على ان يكون في طليعة كل ذلك توجيه الموظفين التوجيه اللازم نحو معاني الاستقلال وممارسته عملياً.

ليست الدوائر غاية في ذاتها ولكنها وجدت لتأمين الخدمات العامة ولذلك فانها تتقيد بما تتطلبه من المقررات والقوانين لذلك فان من اهم ماعنيت به هذه الوزارة النظر في القوانين الادارية لاصلاحها وقد وضعت مشاريع قوانين لم تتمكن من ارسالها الى المجلس النيابي في هذه الدورة لانها لاتتسع لدراستها مع الموازنة العامة وقد طلبت من الحكومات المجاورة ان توافيها بنسخ عن قوانينها الادارية فوق مالديها من المجموعات القانونية لتدرس من قبلها وتقتبس مايجب اقتباسه منها لتلائم مع اوضاع البلاد وأخلاقها وعاداتها لتكون على خير ماتتوخاه مصلحة البلاد .

لقد نقلت بهذا الدور لوزارة الداخلية عدة صلاحيات منها الامن العام ومنها شؤون العشائر ومنها اعمال النشر والصحافة وينبغي ان يعمل لكل من هذه تشكيلاتها وقوانينها التي تطبقها والوزارة منصرفة للعمل والدرس بشأن تسلم هذه الصلاحيات لتدار اعمالها على احسن شكل تبتغيه الامة .

فدوائر المحافظات والقائمقاميات والصحة العامة والشرطة والدرك كلها تحتاج للاصلاح والتوجيه الذي يتفق مع مصلحة البلاد وتوطيد دعائم استقلالها ولا يخفى ان الارث الذي امامنا مثقل بالاعباء والاسواء

وهذا الماضي الطويل يحتاج إلى وقت غير قليل لاصلاحه .وتنقيته من الادران والاشواك .

تسلمت الحكومة اعباء الحكم وجميع البلديات ليس فيها مجلس واحد منتخب لذلك فان الحكومة تفكر رغبة منها لتستمد كل سلطة في البلاد من ارادة الامة أن تعمد إلى اجراء انتخابات للمجالس البلدية في جميع البلاد السورية بيد أن المقررات المعمول بها وهي التي تتضمن نصاً عن كيفية حل المجالس البلدية وكيفية تأليف لجان يعين اعضاؤها مكانها لم تتضمن نصاً عن الانتخابات وكيفية اجرائها كما ان هذه المقررات مشعبة فلمدينة دمشق قرار خاص وهو القرار ٦ـل.ر وللمدن التي يزيد نفوسها عن العشرة آلاف نظام خاص وهو القرار ١٦٠ مكرر والتي نفوسها أقل من عشرة آلاف نظام خاص وهو القرار ٢٢١ وقد الحق بكل من هذه الانظمة مقررات معدلة وذيول ملحقة لا عداد لها لهذا رأت الوزارة قبل المباشرة بالانتخابات ان تقدم مشروعا لقانون البلديات يتلاءم اولا مع الاوضاع الدستورية المعلنة ويتفق مع حاجة البلاد ويساير الغاية التي من أجلها أنشئت البلديات .

اما فيما يتعلق بالمحافظات فانه من الرجوع الى القرار ٥ ـ ل . ر المعمول به نجد أنه لا يتضمن لا الصلاحيات الكافية ولا التأييد المراد لرجال الادارة ولا التشكيلات المقتضية لنهضة البلاد كما ان الصلاحيات التي لمجالس المحافظات والاقضية والنواحي لا يمكن اعتبارها صلاحيات وانما هي عبارة عن ابداء رأي وتمنيات لم تأت على الاغلب بالنتائج المرجوة .

يضاف الى هذا وذاك ان المجالس المذكورة مؤلفة بشكل لا يتفق والمبادىء الحقوقية ولا الاصول الادارية .

لذلك وبما ان الحكومة وهي التي تعتنق المبدأ الديمقراطي ويسود بلادها الدستور تدافع عن مبادئه وتعمل لتأييد احكامه ستعدل القرار بما يتفق مع اماني الامة وهو ان تؤلف المجالس من اعضاء منتخبين يستطيعون القيام بالعمل المنتج .

والوزارة ترمي في جميع ماتقوم به من المشاريع الى العناية بكل ناحية من النواحي العمرانية وعلى الاخص في الجزيرة والفرات والبلاد التي تتاخم الحدود ولسوف تكون مهمة رجال الادارة القيام بالمشاريع ذات النفع العام على ان لا تكون وظيفة رؤساء الدوائر حوالة الاوراق وبيان المطالعات فقط .

ولا بد من كلمة موجزة تتعلق بدوائر الاحوال الشخصية فانه مما يؤسف له ان سجلات النفوس وقيود الاحوال الشخصية وأضابير الاحصاء اكثرها قد أتلف وهي في اماكن غير محفوظة لهذا ستعنى الوزارة بأمر حفظ هذه القيود بصناديق حديدية ثم استنساخ قيود جديدة وبما انه مر على الاحصاء أمد غير قليل فان الوزارة ستعمد ايضاً الى عمل احصاء جديد على أساليب جديدة .

وكل من هذه النواحي تحتاج الى زمن وتحتاج الى رجال اختصاص وتحتاج الى سعة من المال فأرجو ان تذلل هذه العقبات جميعها ولسوف تذلل ان شاء الله مادامت الامة يقظة والنوايا حسنة سدد الله خطانا لما فيه القيام بالواجب بالتجرد والاخلاص .

الوحدة العربية
والعمل المرهق للاصلاحات الداخلية

نشر في جريدة (الوعي القومي) الصادرة
في اللاذقية بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٤٤ .

(١)

زار رئيس تحرير هذه الجريدة دولة لطفي الحفار وزير الداخلية ، وطلب منه حديثاً الوعي القومي ، فأدلى بهذا الحديث القيم الذي يحوي افكاراً ناضجة وتفكيراً عميقاً ونحن ننشره للقراء شاكرين لدولة الوزير هذا العطف على صحيفتنا الناشئة :

س — ما رأيكم في الوحدة العربية وكيفية تحقيقها كهدف قومي عام ؟

ج — منذ نصف قرن ونيف والبلاد العربية تعمل لتحقيق هذه الغاية السامية ، وان اكثر رجال الحكومة الحاضرة ممن عملوا منذ نعومة اظفارهم وفجر حياتهم في سبيل ادراك هذه الفكرة القومية النبيلة لم يبالوا الطغيان الحميدي ولا ما تلاه من عهود الطغيان والارهاب ولم يبخلوا ببذل كل تضحية مع اخوانهم العاملين في الاقطار العربية في هذه السبيل . فاشتركوا فيما اضطرم من ثورات لتحقيق هـذا الهدف النبيل . وشهدوا جميع المؤتمرات التي عقدت لهذه الغاية ولا يزالون يواصلون بذل الجهد لبلوغ ذلك اليوم المنشود .

ان للعرب اليوم دولا لها مكانتها ، ولها قوتها ، وللامة وعي قومي

عام . وذلك يبشرنا بان البلاد سائرة سيراً حثيثاً في سبيل تحرير غاياتها القومية وتشييد كيانها الدولي .

اما كيفية تحقيق هذه الوحدة وطريقة ادراكها او اقامة اتحاد عربي ليكون خطوة كبرى نحو الوحدة المنشودة فذلك كله يفتقر الى مباحث وتفاصيل لامجال للافاضة في شرحها الآن ولا سيما وان هنالك مؤتمرات تعقد ومباحثات تدور فيما بين الدول العربية لدرس هـذه الغاية ووضع القواعد التي يجب السير عليها لادراكها . ولكن الذي يبشرنا بالخير وبالحصول على احسن النتائج في اسرع مما يظن الراجون هو ان التطور السياسي العام نتيجة هذه الحرب العظمى قد ساعد وسيساعد اكثر من ذلك لبلوغ الغاية المنشودة ، وقد شاهدت الامم الصغيرة عواقب تفرقها فكان في ذلك درس للامة العربية يحفزها الى الجد في العمل لم شعثها وجمع شملها . وما على العرب الا ان يكونوا شديدي الايمان والثقة بالوصول الى الهدف الاسمى في الوحـــدة والاستقلال مها كلفهم ذلك من تضحية .

والبراعة كل البراعة لدى ساسة البلاد العربية في ان يستفيدوا من الظروف ، وهي كما قلت ظروف مواتية جداً لتحقيق غاياتنا القومية في القريب العاجل ان شاء الله .

(٢)

س — ماهي الاصلاحات التي تعمل دولتكم على تحقيقها في وزارة الداخلية؟

ج — لقد مضى علي في تقلد ازمة العمل في وزارة الداخلية نحو عشرة شهور درست خلالها اوضاعها المختلفة ، وشؤونها الجمة ومصالحها

الكثيرة ومسؤولياتها الخطيرة ، فتكونت لدي فكرة عامة عن المشاريع الاصلاحية الواجب تحقيقها فهنالك من الناحية القانونية قضايا عدة لابد من اعداد الانظمة والقوانين الاصلاحية الخاصة بهـا ولا سيما ما كان متعلقاً منها بالمصالح التي كانت خاضعة لسلطات اجنبية ام بالمصالح الاخرى التي بات من الضروري لاصلاحها اطلاق يد الوزارة في اتخاذ المناهج التي تراها ضرورية . ورأس كل اصلاح في الدولة تعديل نظام الملاكات وقانون الموظفين والمحافظات، وقد عنيت الحكومة باعداد التعديل المطلوب وتقدمت بلائحة القوانين المتعلقة بها الى مجلس النواب .

وقد اعددنا مشروعا قانونياً لاصلاح البلديات ومنحها الصلاحيات الواسعة التي تمكنها من القيام بالمشاريع النافعة التي هي بحاجة اليها وجعلها على اساس الانتخاب الشعبي الحر . ويسرني ان اقول انه قد تم اعداد هذا المشروع وقدم الى مجلس النواب .

وهنالك مشاريع جمة ذات أهمية كبرى ولا سيما ما كان متعلقاً منها في ادارة قوى الامن العام ، وتوحيد قوى الشرطة والدرك تحت ادارة عامة ، وسن الانظمة اللازمة لاصلاح هذه القوى واوضاعها المختلفة وحسن سيرها بعد ان تم استلامها من الاجنبي ، وقد اخذت الوزارة الآن في الانصراف الى اعداد هذا المشروع لتقديمه الى مجلس النواب.

ولدى الوزارة فكرة صحيحة للعمل على رفع مستوى موظفيها ، واصلاح الجهاز الاداري ، والمصالح الملحقة وستبدأ عما قريب باتخاذ الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك .

ولا يغيب عن الاذهان ان من اخطر النقائص التي تعانيها الوزارات

كلما فقدان الموظفين الذين يحسنون القيام بالعمل فضلا عن وجوب اعدادهم اعداداً روحياً صحيحاً للقيام بواجباتهم قياماً حسناً يتفق ومعنى الكرامة في عهد الاستقلال .

نحن لا ننكر ان هنالك عدداً من الموظفين يعدون في الرعيل الاول غيرة وشهامة وعلما ، ولكن واجبات الموظف في الماضي غيرها في هذا العهد لذلك فاننا نتذرع بكل وسيلة لبث روح الكرامة التي نعدّها المحور الاساسي لكل اصلاح فالاصلاح الروحي اس الاصلاح المادي ولا غرابة اذا ما لمس الرجالات القائمون على تسيير دفة الاحكام نواحي الضعف والنقص . فان هذا الارث الثقيل من مخلفات الماضي الطويل الذي عبثت ايدي الهدم فيه بكيان هذه الامة ، وحاربت الكفاءات والاخلاق ، وقتلت روح الكرامة في النفوس ، وعمل على نفث الخنوع والخضوع في النفوس فهذا الارث الذي تعاني البلاد ورجالات الحكم من ويلاته ماتعاني ليس من الهين السهل استئصال جراثيمه وأخطاره .

ان رجال هذا العهد الوطني شاعرون بما يجب القيام به من اعمال الاصلاح ومشاريعه ؛ عارفون بما يتقاضاهم الواجب النهوض باعبائه ، ولكن الاصلاح ليس بالعمل الهين فان دون بلوغه عقبات كأداء ليس من السهل اجتيازها في زمن قصير ولكننا نؤمن جازمين بالتوفيق لاجتياز العقبات وتذليل العثرات بقوة ايمان هذه الامة وبفضل ماتبذله بسخاء من التضحيات والثبات في الملمات ومقاومة كافة العثرات بعد رجوع الحق الى اصحابه .

(٣)

س ـ مارأيكم في انشاء مرفأ اللاذقية وهل يمكن ان يكون صالحاً كميناء تجاري لسورية ؟

ج ـ ان من الخطط الرئيسية للحكومة الحاضرة الاهتمام بتوسيع مرفأ اللاذقية وعمرانه ، وجعله ميناء صالحاً لرسو اضخم البواخر . ومن الطبيعي ان تشجع الحكومة كل ما يعود بالخير على هذه الربوع العزيزة لان اللاذقية هي الثغر السوري الذي يجب علينا تنشيطه وبذل العناية لتوسيع دائرته، وتوفير اعماله واحكام روابطه وصلاته بسورية الداخلية سواء بتمهيد الطرق وتعبيدها ام بتسهيل سبل الاتجار معه ، ام باقامة مايجب من المؤسسات لتنشيط تجارة اللاذقية التي يجب ان تعود إلى مركزها الطبيعي .

ويسرني ان اشير في هذه المناسبة إلى ان الاهتمام بمرفأ اللاذقية لا يعني ابداً محاربة مرفأ بيروت الذي هو اقرب الى سورية الجنوبية من اي مرفأ آخر ، وان مرفأ اللاذقية وثيق الصلة والارتباط بسورية الشمالية والوسطى ايضاً ، وعلاقاتها التجارية بها واسعة محكمة .

وان عناية الحكومة منصرفة قبل كل شيء في هذه الآونة إلى رفع المستوى العام سواء من الوجهة الادارية او الاجتماعية او من مختلف وجوه الاصلاح في المحافظات البعيدة عن العاصمة ، واللاذقية تأتي في مقدمة هذه المحافظات التي تعنى بها الحكومة عناية تامة . ولا سيما وان ابناء هذه المحافظة عرفوا بماضيهم الناصع ووطنيتهم المخلصة التي تجعل لهم مكانة مرموقة ودالة على الدولة ورجالها .

تحية اللاذقية

نشرته جريدة (الخبر) بعددها الصادر
بتاريخ ٩ آب ١٩٤٤ .

انها لفرصة سعيدة هذه التي أتاحها لي رئيس بلدية هذه المدينة المحبوبة واعضاء مجلس بلديتها الموقر الذين قاموا بهذه الدعوة الكريمة التي مكنتني من الاجتماع إلى هذه الوجوه النضيرة وهـــذه القلوب المتقدة بالوطنية الصادقة .

نعم ايها الاخوان انها لفرصة سعيدة جداً ان اقوم بينكم لاحييكم وأحيي هذه البلدة الطيبة الكبيرة بجهادها ونضالها التي لم تدخر وسعاً لتقديم التضحيات في أدق الازمنة والظروف واقامة البرهان على انها تدين بدين الوطنية والتضحية ولم تبخل ابداً في اراقة دماء شهدائها لتبرهن على انها ورجالها يشعرون بشعور الامة والبلاد .

كلكم يعلم ايها الاخوان ما لرجال هذه المحافظة من الجهود الوطنية التي بذلوا فيها دماءهم لتنال ما تصبو اليه من الحرية والاستقلال لذلك يحق لنا كما نوه حضرة رئيس البلدية ان نهتم اهتماما تاما ونمنحي العناية الفائقة في ان نكون وإياها يداً واحدة في جميع المواقف ، وأن نكون وإيام في السراء والضراء .

والذي يهمنا كحكومة أن نعمل جاهدين لان نكون جميعاً سواء

لافرق بين طائفة وأخرى وهذا ما نعمل له بكل قوة وإتقان ، وهذا ما يشعر به رجال الحكم ، ولا يمكن أن تحقق آمالنا الا إذا قام كل منا بواجبه خير قيام ، وأن يؤدي ماعليه لهذا الوطن المفدى من الواجبات .

وانا كما تعلمون نعمل لتوطيد هـذا الاستقلال الذي اعترفت به جميع الدول الكبرى ، هذا الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة والذي قدمنا في سبيله أغلى الضحايا وأرقنا أزكى دماء الشهداء لنحصل عليه غير منقوص ، فاذا نالت هذه الامة حقها في السيادة والاستقلال فقد نالته عن جدارة واستحقاق . وهي تعلم ما عليها من الواجبات الكبيرة لتكون اهلا لممارسة هذا الاستقلال والتمتع بالحرية التي تستحقها .

ونحن في هذه الظروف السياسية التي اعترفت فيها الدول الحليفة باستقلالنا لن نتأخر عن التعاون مع جميع السلطات تعاونا لا تشوبه أي شائبة . قد يطرأ على اذهان بعض الناس أثناء المفاوضات والمناقشات أن هنالك اختلافات وانقطاع غير ان طبيعة العمل لاجل استلام الصلاحيات التي كان يمارسها الاجنبي يعتريه بعض الاحيان أخذ ورد ومد وجزر وهذا شيء طبيعي وينتهي بالوصول إلى النتائج الوطنية التي تتفق مع المصلحة العامة ويسعى لأجلها رجال البلاد فالتعاون يقوم على اساس من المصلحة العامة والصراحة والصدق في العمل .

ولذلك نحن نفاخر باننا نعمل واثقين مؤمنين لرفع شأن هـذه البلاد وتحقيق امانيها كاملة .

وأريد أن ارجع بكم إلى الماضي القريب قبل سنة على الاقل حيث تجدون أننا حققنا لهذه الامة الكثير من أمانيهـا ولم يبق الا القليل الذي سنحصل عليه عما قريب ان شاء الله .

ان هذه البلاد متمتعة بتمام استقلالها وسياستها الداخلية والخارجية واني أؤكد لحضراتكم بأن الخطوات الموفقة التي تخطوها بقيادة رئيس جمهوريتنا الزعيم الوطني الكبير فخامة السيد شكري القوتلي وقوة ايمانه وصلابة عقيدته وتضحياته نستطيع أن نعتقد انها واصلة لتحقيق هذه الاهداف كاملة غير منقوصة .

فرجال هذه الامة الامناء على حقوقها والاوفياء بمبادئها قد قاموا وجاهدوا وهم لا يقصدون غير وجه الله وخدمة الامة .

فلئن مرت بنا خطوب وأخطار فالمستقبل أمامنا باسم زاهر ، ولئن اعترضت طريقنا بعض العوائق فاننا على استعداد لازالتها ولن يثنينا أي عائق لتحقيق هذه الغاية المقدسة التي نفديها بالدماء والارواح .

ولسان حالنا يقول :

فان تكن الايام فينا تبدلت ببؤس ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صلبية ولا ذللتنا للذي ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوساً أبية تحمل مالا يستطاع فتحمل

سواحل سوريا (حديث عنها)

نشرته مجلة (العالمان) الصادرة بتاريخ
٢٨ آب ١٩٤٤ .

قام دولة السيد لطفي الحفار وزير الداخلية وعلى حين غرة ، برحلة إلى محافظة اللاذقية حيث قصد توا إلى مصيف «صلنفة» الجبل ، ليعتزل الاجتماعات ويعكف على الاهتمام بشؤون هذه المحافظة ، ولكنه ما كاد يصل حتى أخذت وفود الزعماء والنواب والوجهاء والاعيان والشباب تؤم المصيف ، لترحب بالوطني الكبير ، والعربي المؤمن وتدعوه إلى زيارة انحاء المحافظة والاشراف على جم شؤونها ووافر امورها ، فكانت هذه الرحلة موفقة الى ابعد حد ، وكانت خير برهان على مقدار تعلق أبناء هذه المحافظة الكريمة بالوطن الام ، وثقتهم بالحكومة السورية واعتمادهم عليها . هذا فضلا عما كان لهذه الزيارة المفاجئة من أثر في مختلف الدوائر .

وقد قابل مكاتبنا دولته اثناء اقامته في اللاذقية وطرح عليه الاسئلة التالية فتفضل بالجواب عليها :

ـ ما هو الأثر الذي أحدثته زيارة دولتكم المفاجئة إلى محافظة اللاذقية في نفسكم ؟

ـ هل زرتم مرفأ اللاذقية وما هو رأي دولتكم في مشروع توسيعه ؟

— ما هي الاصلاحات التي تزمع الحكومة السورية القيام بها في هذه المنطقة .

— ما رأي دولتكم في مصيف صلنفه وهل يجب توسيعه ؟

— هل زرتم مناطق الحراج التاريخية ؟

تتفضل دولته بالاجابة على هذه الاسئلة برغم ضيق وقته ، ووفرة اعبائه ومشاغله ، فقال :

— لقد تجلت في هذه الزيارة وطنية اخواننا اللاذقيين على اختلاف طبقاتهم وتحلبهم والتفافهم حول حكومتهم ، وقوة وحدتهم الفكرية والوطنية.

ولا شك ان مما يلفت النظر ، ويدعو إلى العبرة ذلك الماضي الطويل الذي مر بهذه المحافظة الابية في مختلف ظروفه ومؤثراته ، فلم يخلف والحمد لله وراءه الا كل ما يطمئن النفوس القلقة على مصير ابناء هذه الامة الذين ما تتوالى عليهم الاحداث الا لتصهرهم في بوتقة واحدة ، في جامعة الوحدة العربية ، والنهضة الاستقلالية ، ولست مبالغاً اذا قلت انني زرت الجبال والوهاد ، الساحل والداخل ، المدن والقرى وتعمقت في بحث أحوال ابنائنا واخواننا ، النفسية والمادية ، فخرجت من ذلك الدرس بالامل الباسم ، والطمأنينة الشاملة إلى المستقبل الذي لن تشوبه بحول الله شائبة .

ولقد كان في مقدمة ما لفت نظري تضامن ابناء المحافظة على اختلاف طبقاتهم تضامناً فعالا لمقاومة دسائس الذين يريدون عرقلة الاعمال الاصلاحية التي تقوم بها الحكومة لتطبيق الانظمة السورية بحذافيرها .

وكان من امتع ما أثر بي ، وما ترك احسن الاثر في نفوس الذين يراقبون الاحوال عن كثب ان نفوذ الحكومة ، والامن الشامل يسيطران على انحاء المحافظة فلا يستطيع ان يدعي مدع انه يوجد وطني واحد من سكان البلاد يعمل ضد مصلحة هذه البلاد ، ولا غرابة في ذلك فرجال هذه البلاد عرفوا بشدة وطنيتهم ونبيل جهادهم .

وقد سررت جداً لزيارتي منطقة البساير والبسيط ، بعد منطقة الجبل ، فكان جمال هذه المنطقة واتساع حرجاتها ، وما خلعته عليها الطبيعة من سحر وهيبة ، يوحي إلى النفس بمشاعر سامية ، وأحاسيس كريمة ، فضلا عما يملأ القلب من روعة الجمال ، واشراق الطبيعة ، ويسمو بالعواطف الى اعلا درجات البهجة والسرور .

وفي وسط هذه المنطقة الحرجية الجميلة « الفرلق » حيث الادواح الضخمة ، والاشجار العظيمة ، والغابات الغبياء مشرفة على الوديان السحيقة والبحر الابيض المتوسط مما ليس في طوق رجل مهما اوتي من سحر البيان وبلاغة الاسلوب ، ودقة الوصف ان يفي حق جمال الفرلق . انه قطعة من النعيم قائمة وسط تلك الحراج حيث تشرف على كل ماحولها من أودية وهضاب ، ويمتد امامها البحر في زرقة مائه ، وثورة عبابه ، وسحر صباحه ومسائه !

وقد رأيت ان من الضروري اقامة مصيف في هذه المنطقة السحرية الجمال ، الرائعة الحسن ، العذبة الماء ، العليلة الهواء . لان مصيف صلنفة لا يكفي وحده ليكون مصيفاً لابناء المحافظة ولمن يؤمه من العائلات الوافدة من الشهباء والشمال ، لان هذه المنطقة لاتبعد اكثر

من ٥٠ كيلو متراً عن اللاذقية ، وقد دار البحث حول تأليف شركة لانشاء مصيف في « الفرلق » يضاف إلى « صلنفة » الذي يعد من اجمل مصايف البلاد اذ يعلو عن سطح البحر نحو ١٢٠٠ متر ويحاط بحراج السنديان والبلوط ، ويشرف على مناظر خلابة ، ومشاهد بديعة ، وجبال شاهقة ، ووديان سحيقة ، وسهول فسيحة وينبسط البحر امامها بزرقة مائه وصاخب عبابه . وصلنفة لاتبعد عن اللاذقية ايضاً اكثر من ٥٠ كيلو متراً . وهكذا تكون « صلنفة » مصيف الشمال و « الفرلق » مصيف الشمال الغربي .

وقد استرعى انتباهي وجود نيف ومائة بيت في مصيف صلنفة لكبار اثرياء اللاذقية تعتبر نموذجاً حسناً للجمال والعمران والتنظيم وحسن التوزيع وتعد بالدرجة الاولى بالنسبة لحال المصايف الموجودة وعمرانهـا .

ولمصيف صلنفة مصور عام يجب ان يحرص على تنفيذه ويحافظ على تطبيقه محافظة تامة ، لذلك فقد جعل لكل دار حرجة واسعة ، او حديقة كبيرة تستمتع بها حتى لاتكون دور المصطافين مكتظة بعضها فوق بعض !

اما قضية مرفأ اللاذقية فهي موضع اهتمام اخواننا اللاذقيين ، وحق لهم ذلك ؛ لان هذا المرفأ له علاقة كبيرة بتجارة سورية الشمالية وكل مايتصل بها ، ولقد اخبرتهم ان فخامة الرئيس الاول عني بعد عودته من رحلته بدراسة كل مايعود لانشاء مرفأ اللاذقية من مباحث وموضوعات ووضع أسس العمل والتنفيذ بعد القيام بدراسة الفكرة من الوجهة الفنية دراسة تامة .

وسنرى فيما بعد انجاز الدرس الفني ما اذا كان من الواجب الدعوة إلى تأليف شركة مساهمة بأموال سورية للقيام بهذا العمل الذي هو ضرورة مبرمة لابد منها او ان الحكومة بعد درس التكاليف والناحية الفنية ترصد المبالغ الواجبة لتحقيق هذه الفكرة ، وهو مايبذل فخامة الرئيس الاعلى جهوده في سبيله . وقد صرحت لاخواننا اللاذقيين بذلك .

ويسرني أن أقول ان الحكومة تقوم بالمهمة الملقاة على كاهلها بكل تجرد واخلاص وتبذل اقصى مافي طوقها لتأمين العدل والنظام وايصال اصحاب الحقوق الى حقوقهم وهو مايشعر به الجميع ، ويعترف به الكل مغتبطين ، وقد سمعت الكثيرين يعلنون بدون ما تحفظ ان هذه المنطقة لم تستمتع منذ زمن طويل بالنظام والعدل ، والمساواة في الحقوق والواجبات حتى جاء هذا العهد فلقيت فيه بغيتها ، وحققت أملها وأدركت صبابتها من النظام والعدل والمساواة دون ماتفريق او تمييز .

وتعنى الحكومة بانتقاء احسن الموظفين لهذه المنطقة ولمنطقتي الفرات والجزيرة لتأسيس المصالح المختلفة تأسيساً يتفق مع وضعية البلاد في هذا العهد ، وتمثيل الاستقلال والكرامة تمثيلا لائقاً والحرص على النهوض بالاعباء الملقاة على كل موظف مخلص لبلاده وقومه شريف في غاياته وأهدافه .

نحن في يوم لم يذكر التاريخ مثله

هذا الحديث القاه السيد لطفي الحفار في يوم
الجلاء بتاريخ ١٠ نيسان ١٩٤٥ في الاذاعة .

لهؤلاء الرجال الذين يقوم بعضهم على رأس الحكم اليوم جهاد طويل في حقل القضية الوطنية ، وجهود جبارة في ميادين العمل الوطني ، فقد اضطهدوا وعذبوا جزاء مطالبتهم بحقوق البلاد ، وان تاريخ خمسة وعشرين عاما يشهد على انهم حلوا في السجون والمنافي كاكرم روادها .

والذين تولوا الحكم من هؤلاء الرجال واصلوا الجهد في الحكم ايضاً ، فلم يكن جهدهم هنا بأقل من جهدهم هناك ، لان مهمة انشاء الدولة وقلب اوضاع الحكم تحتاج إلى مجهود أعظم من المجهود الذي بذل لتحطيم الحكم الاجنبي . وينبغي لهذا السبب ان يكون لهؤلاء شعور خاص في يوم الفرح الاكبر وعيد الاعياد .

وقد سألنا دولة السيد لطفي الحفار وزير الداخلية ان يصف لنا شعوره في هذه الساعات الحاسمة فتفضل وقال :

ينبغي أن يحدق الانسان بنظره جيداً في هذه الساعات الفاصلة من تاريخ البلاد السورية ويتساءل : ترى هل هذه المشاهد حقيقية ؟ وهل نحن في حلم ام في يقظة .

على اننا في يقظة حالمة تدغدغ نفوسنا نحن الوطنيين ، وتهدهد أحلامنا ، وتحقق مبادئنا ، وتطمئن عقائدنا . نحن امام وثبة من تلكم الوثبات التي ترتقي بها الامم سلم النهوض الى مراتب الحياة ، فتحيا حياة العزة والكرامة والمجد ، وتعيش لنفسها ومستقبلها .

ولا أزال اذكر ، وقد اذكر ذلك دوما في حياتي ، ما كان يسومنا به الاجنبي من عذاب واضطهاد ، وما كان يعامل به كل وطني لا ينقاد لخططه وأساليبه وسياساته من سوء وخسف . ولا أزال اذكر ـ وسأذكر دوما ـ ان السجون والمنافي كانت عامرة بالوطنيين زاخرة بهم في مختلف عهود الانتداب البغيض . وإني لاذكر اليوم انه ما من سجين او مبعد واحد في سورية كلها في هذا العهد الذي أطلقت فيه الحرية لابناء البلاد ، الا وتنطلق نفوسهم وتترك المدى الواسع لمزاياهم وخصائصهم وكفاءاتهم فيخدمون بلادهم بانهاضها في عهد يحتاج الى جمع جهود ابنائها .

واني لا أستطيع أن أقول ان الرؤى والمشاهد تزدحم في رأسي متناقضة ، فتؤثر في شعوري ، وتعس دخائل حسي ، فلا أدري ماذا آخذ منها وماذا ادع ، ولا ادري أهي حيرة الحس المرهف ام هي العجز عن التدليل . على اني عاجز عن وصف مشاعري ، غير قادر في هذا اليوم على قول ما يجول في خاطري من شؤون وشجون وأحاسيس طاغية ، وكل ما يمكنني قوله اننا في يوم ما اظن ان تاريخ بلادنا يذكر مثله بجميع التفاصيل والاوضاع ، واننا في عهد كريم نبيل يجب ان نصونه بالمهج ونحفظه بالارواح والاموال والجهود ، ونبذل في سبيل دعمه ما يشعر بأننا اهل له جديرون به مستحقون للتمتع بمزاياه .

الشيخ صالح العلي

ز ماجاء في جريدة (الانشاء) في عددها الصادر
بتاريخ ٢ ايار ١٩٤٥ .

كم كان بودي ان اقوم بواجب تلبية دعوتكم الكريمة لحضور حفلتكم التكريمية لمن كان مثال التضحية والاخلاص في حياته وجهاده الوطني ، لولا موانع اضطرارية حالت دون تحقيق هذه الامنية . ولكن ذلك لايحول دون ان اشيد بذكر من كان من العاملين الاولين .

فقد كانت ثورة الشيخ صالح العلي ووثبته في جبال العلويين امام الطغيان الاجنبي محركا ودافعاً للعمل وبذل المهج والارواح في سبيل القيام بالواجب في جميع انحاء البلاد السورية لمقاومة مافرضته القوى الاجنبية عقب الحرب العامة الماضية على هذه البلاد ، دون ارادة اهلها والوقوف على حقيقة اهليتهم للحرية والاستقلال ، ومعرفة ماضيهم في الحضارة والعمران . ولذلك توالت الثورات الدامية والحركات السلبية المنيفة في طول البلاد وعرضها زمناً طويلا ، ومازالت حتى امكن للبلاد ان تنال حقها في استقلالها وسيادتها . وما كان ذلك الا بفضل اصحاب المبادىء والعقائد الذين لم تزلزلهم الحوادث ولم تقهر عزيمتهم الايام .

ولقد كان المحتفى به المثل الاعلى في هذا الايمان الذي متى رسخ في النفوس تتزلزل الجبال الراسيات ولا يتزلزل منها ، وهذا هو السبيل

الذي وصل إلى تحقيق الغايات السامية ، والمثل العليا ، فما احرانا ان نتأسى وان نعمل وأن نقتدي بالمجاهدين المؤمنين ، ونحن في نهضتنا الاستقلالية نضع أساس هذا المستقبل لنشيد عليه صرح آمالنا في الحياة الحرة المستقلة .

فسلاماً وهناء لهذا الرجل المجاهد المؤمن الذي ستحفظ له الامة في أعماق نفوسها وفي بطون تاريخها الحديث ، أسمى ما تشعر به نحو المجاهدين الابرار من آيات الحب والاخلاص ، وأنقى ذكريات المجد والبطولة لابنائها المؤمنين الاحرار ، ليكونوا امثولة الآباء ومفاخر الابناء وعلى الشباب الناشىء ان يدرس سيرة هؤلاء الابطال المجاهدين ويتعرف الى نواحي عبقريتهم في حياتهم التي قدموا فيها أعز ما يملكون لخدمة أمتهم وبلادهم فهم الشعلة المضيئة والجذوة المتقدة للعمل الصالح والتجرد المطلق . وأخشى ما أخشاه ان تتغلب النزعات النفسية والدعايات الاجنبية والغرور القاتل على نفوس ابنائنا فلا يتطلعوا الا الى تاريخ رجال الغرب ولا يعجبوا الا بمدنيتهم جهلا منهم بما في هذا الشرق العربي في تاريخه الطويل ونضاله الحديث من البطولة والتضحيات التي هي مفاخر للاعتزاز والاباء وحسن الاقتداء في البذل والفداء .

مَنْ هُمُ المعنيّون ؟

بيان عن أسباب الاستقالة

نشر في الصحف المحلية بتاريخ ١٨ ايلول ١٩٤٥ .

اذاع دولة السيد لطفي الحفار وزير الداخلية المستقيل البيان التالي :

انا من القائلين ان المناصب الوزارية وسيلة للاصلاح والعمل المنتج في هذا الدور الوطني الذي تمتعت فيه البلاد باستقلال صحيح ادركته بعد جهود كبيرة وتضحيات كثيرة ، يتحتم علينا أن نقيم الدليل على كفاءتنا لممارسة هذا الاستقلال وقدرتنا على تأييده ، ويتوجب على البلاد ان تدعم العاملين المخلصين وتؤيدهم للقيام بالواجب الملقى على عواتقهم . على أن ما وجدته في الآونة الاخيرة يختلف عما يحق لي ان أتوقعه ! وجدت اسرافا في القاء التهم على كرام الوطنيين وانكار ماضيهم ومواقفهم الوطنية وجهودهم وتضحياتهم في سبيل تأييد حق البلاد وذكر أمجادها ... وجدت مهاترات تجاوزت كل حد وخلت من كل احترام للمبادىء العامة ... وجدت مبالغة وامعانا في تدبير الدسائس والمؤامرات ضد الحكم الوطني بالاستعانة بفريق ممن كانوا عوناً للأجنبي ووسيلة من وسائل التجسس والخيانة للبلاد ... وجدت انسياقاً عند البعض مع اهوائهم النفسية لمجرد ابتعادهم عن الحكم وعدم كونهم في عداد اعضاء الوزارة . لكل هذه الاسباب أعتقد ان الاسترسال في

في هذه السبل الملتوية والانغماس فيها لايتفق ومصلحة البلاد في شيء ، واني ممن لايحسنون العمل في مثل هذا الجو وبمثل هذه الاساليب ، وممن يقولون بضررها الفادح على قضية البلاد . وكيف يمكن لرجل يشعر بكرامته وكرامة هذه الامة في جهادها للحرية ، ويعمل لتوجيه قواها حتى تثبت كفاءتها ، ان ينساق في طرق المهاترات والمؤامرات على نحو ماجرى وما لايزال جاريا الآن ؟!

اني افضل ألف مرة ان أنجو بكرامتي وكرامة البلاد من ان أزج بنفسي في هذه الحمأة ، ففي اعتقادي أن العمل متعذر بمثل هذه الوسائل . واني ممن لاتستهويهم الوزارات والرئاسات وقـــد جربت نفسي بها مراراً سواء لدي اعترف بذلك احد أم لم يعترف . وأعتقد ان قبول مسؤوليات الحكم في هذه الظروف تضحية غير قليلة ، اذا لم يكن من ورائها عمل مفيد وانتاج صحيح واصلاح بارز الاثر ، فانني لا أقبل المضي في تحمل مسؤولية لا أستطيع ان أفيها حقها .

واني لارجو للعاملين المخلصين من اخواني التوفيق والسداد .

دمشق في ٨ شوال عام ١٣٦٤ وفق ١٥ ايلول ١٩٤٥

لطفي الحفار

وقد عقبت بعض الصحف عما يلي :

هذا البيان يوضح حقيقة الاسباب التي أهابت بدولة السيد لطفي الحفار الى الاستقالة ، فالمعارضة البرلمانية الاصولية لا تؤلف في نظره

سبباً للتخلي ، والنقد الصحيح لايحمل مثله على اعتزال العمل ، ولكن المهاترات التي بلغت حد الاسفاف والمؤامرات والدسائس التي يحيكها جماعة يؤذيهم ويضل سبيلهم ترك مقاعد الحكم ، والجو الذي يخلقه دعاة لايخافون الله في الوطن كانوا في الماضي أعوانا للاجنبي وهم يسيرون اليوم وراء كل ناعق ، كل ذلك سبب نفرة الوزير ، وقد سبب كذلك نفرة الرأي العام على نحو ما اوضحنا في كلمات سابقة ، لان البلاد ليست في حال تستطيع معها مقاومة الاجنبي وهو على الابواب ومحاربة هذا الدس المتواصل في الداخل .

وقد تلقى الناس هذا البيان الذي نشر في الصحف تلقياً حسناً ، وعذروا دولة الوزير على موقفه ، وان كانت رغبتهم شديدة في أن يروه على رأس العمل يباشره مع اخوانه بما عرف عنه من امانة ونزاهة واخلاص . وقد ذكر الناس أحسن ذكر ما اشتمل عليه البيان من نقد شديد الذين يسببون أزمة الحكم ، وما تضمنه من تأييد لاخوانه ، ورجاؤنا ان يقف هذا الاسترسال في رغبة الاستيزار عند حدود المصلحة العامة متى اوشك ان يمس هذه المصلحة ويؤذيها .

في حفلة نادي صلاح الدين

خطاب وزير الداخلية في حفلة نادي صلاح الدين الايوبي التي أقيمت في شهر مايس ١٩٤٦ .

اقام عصر أمس نادي صلاح الدين الرياضي في سفح جبل قاسيون حفلة رياضية جميلة برعاية صاحب الدولة السيد لطفي الحفار وزير الداخلية حضرها جمهور كبير من مختلف الطبقات المثقفة والشعبية وجماهير من الشباب والطلاب وكانت العاب الكرة والتمارين الجسدية ولا سيما القفز العالي ولعبة السيف من اجمل واروع المشاهد التي دلت على عناية واهتمام اعضاء هذا النادي بمختلف الالعاب الرياضية المفيدة وأنواعها وقد القى بعض اعضاء النادي خطباً رحبوا فيها بدولة الوزير ونوهوا بما لحضرة صاحب الفخامة الزعيم الرئيس شكري القوتلي وللحكومة الشرعية من فضل في تشجيع كل ما يعود على الشباب من الخير والفلاح وقد أجاب دولة الوزير على الخطب بكلمة مرتجلة شكر فيها اعضاء هذا النادي الذين برهنوا في ألعابهم انهم يبذلون جهدهم للانصراف الى ما يعود على اجسامهم وعلى صحتهم من القوة والنشاط وان هذا مما يبعدهم عن اماكن اللهو والفساد واذا كان للنوادي الرياضية فائدة تقوية الابدان فان لها فضلا عظيما في صيانة الاخلاق ، والاخلاق الفاضلة التي يتحلى بها الشباب هي التي تقود البلاد الى الخير والعز والسؤدد ، ثم قال لهم :

ان ناديكم هذا الذي يسمى باسم بطل الاسلام والعروبة صلاح الدين والذي هو مفخرة من مفاخر التاريخ الاسلامي يجب ان يتحلى بما دعا اليه هذا البطل من التمسك باهداب الفضائل الاسلامية والاخلاق السامية وانه يجب عليكم ان تعلموا أن المعارك والملاحم الكبرى التي خاضها هذا البطل هي من المعارك الفاصلة في التاريخ لحماية الاسلام والعروبة في هذه البلاد ولذلك فمن الواجب علينا جميعاً ان نقتدي به في التضحية والوطنية والاخلاق السامية التي دافع عنها والتي له الفضل في ان نعيش في ظلالها وكل امة لا تتمسك بعرى دينها ووطنيتها وأخلاقها ولا تقدم الاضاحي الواجبة في هذا السبيل لا يكتب لها البقاء والخلود فأرجو ان أرى فيكم المثل الصالح لاخلاق البطل العظيم صلاح الدين . وبعد أن أنهى كلمته تبرع بمبلغ مائة وخمسين ليرة سورية اعانة للنادي ووعد يبذل كل مساعدة ماداموا قائمين بالواجب الملقى على كواهلهم وقد شيع بمثل ما استقبل به من الهتاف لفخامة الرئيس الزعيم وحكومته الرشيدة ولدولة الوزير المصلح السيد لطفي الحفار .

قضية الساعة الحاضرة

(فلسطين وفكرة تقسيمها)

حديث نشرته جريدة (النار) الصادرة بتاريخ
٨ آب ١٩٤٦ .

تسألوني رأيي في قضية فلسطين في حالها الحاضر الآن ، وبعد ان سمعنا البيانات الرسمية عن فكرة تقسيم فلسطين الى اربع مناطق وبعد ان أطلعنا على تقارير اللجان الاميركية الانكليزية بهذا الموضوع .

بعد هذا لا يسع المفكر العربي الذي يهمه مصير بلاده ومستقبل اولاده وأحفاده من بعده ، وبعد ان رأينا الطغيان الصهيوني الخطر وبالاحرى هذا الغزو البحري المنظم الذي هو أشبه مايكون بغزوات الصليبيين التي مرت على هذه البلاد في القرون الوسطى فانقلبت الآن وبعد قرون إلى غزوات صهيونية منظمة متوالية ـ لا يسعنا الا ان نقول : اننا على مفترق الطرق وفي الساعة الحاسمة التي تقرر مصير البلاد العربية قاطبة ، وليس مصير فلسطين فحسب . فالخطر الذي يهدد فلسطين يهدد سائر البلاد العربية فيما اذا تمكن هؤلاء الافاقون من تحقيق خطتهم التي تتظاهر فئة منهم بعدم قبولها ، وهي خطة التقسيم ذلك لانه اذا تقرر العمل بهذا المبدأ ـ لا سمح الله ـ فقد تقرر في الوقت نفسه تنفيذ مبدأ الدولة اليهودية في فلسطين . ومعنى ذلك ترحيل أبناء البلاد واستصفاء املاكهم وأراضيهم بصورة تدريجية

بحجة الاستيعاب وضرورة استثمار الاراضي لاعالة المهاجرين الذين سوف يتدفقون بغير حساب .

وما أظن أحداً يقبل بهذه النتيجة المشئومة ، والتي لابد من الوقوف دونها ومقاومتها منذ الآن ، وذلك بان تقف البلاد العربية صفاً واحداً ، ويداً واحدة لبذل كل مرتخص وغال لافهام سياسيي امريكا وأوروبا الذين يتلهون بهذه اللعبة وما سيكون من احراج البلاد العربية واخراجها الى مالا يحبون ولا يشتهون ولكن :

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا   فما حيلة المضطر الا ركوبها

لقد قامت البلاد العربية قومة الرجل الواحد حينما أعلنت لجنة (بيل) فكرة تقسيم فلسطين الى منطقتين او ثلاث على ان تبقى منطقة القدس تحت الاشراف الانكليزي المباشر .

والقصد بقاء هذه المنطقة بمثابة القوة الاحتياطية لارضاء الفريق المتغلب.

فما بال الامة العربية ومن ورائها جامعتهم - التي هي القوة الكبرى والمرجع الذي تهفو اليه قلوب الامة العربية - في موقف الحيرة والتردد .

وقد اقترح التقسيم لاربع مناطق وستكون المنطقة الرابعة لصحراء فلسطين مع الجيوش الانكليزية ومركز الثقل العسكري الانكليزي الى حين ؟

وماذا بعد هذا ، وما أظن انه مهما بلغ بنا حسن الظن ان نطمئن الى هذا المستقبل ؟ فالمنطقة اليهودية مهما صغرت رقعتها ستكون نواة الدولة اليهودية وسيكون اليهود فيها احراراً لتنظيم التجنيد والتسلح والتدريب والدعاية الخارجية والداخلية وترتيب الدسائس والفتن ثم

تأبى دعوى عدم استيعابها للعدد الهائل الذي سوف يتسرب اليها رغم قرارات تحديد الهجرة ومراقبة الانكليز لها والخطر كل الخطر جاثم وراء ذلك ... والدعاية الصهيونية بما تملك من وسائل قوية لدى مختلف صحف العالم ستقيم الضجيج والشكوى لاجل توسيع هذه المنطقة وشمولها لبقية المناطق الاخرى بصورة تدريجية وهكذا سيكون العمل لامتلاك البقية الباقية وطرد ابناء البلاد الذين اودعوا اتربتها آباءهم وأجدادهم منذ آلاف السنين ثم تشريدهم وتقطيع أوصالهم اما بواسطة الاغراء المادي ومشترى الاراضي المباحة وغير المباحة او بالتضييق عليهم او بالاعتداء المسلح على العرب المجاورين وهو ماسيكون له اسوأ الأثر على البلاد العربية وما سيكون من ورائه سفك الدماء وبذل المهج والارواح مها صبرت البلاد ومهما بذل لها من وسائل التخدير والتسويف . واني أحذر المسؤولين من الآن ان سلوك هذا المسلك الخشن يكون من أدنى نتائجه نشوب الثورات الدائمة التي لاينطفىء أوارها ولا يهدأ سعيرها ، ثم اضطرار البلاد العربية للاشتراك بها بحكم الضرورة والمصلحة وحفظ الكيان ولقد كان سلوك الامة العربية حتى الآن يدل باجلى بيان على حبها للسلام وتجنبها للخصام ولكن هذا والله غير مايجب علينا عمله لحفظ الكيان .

الابتعاد عن الحكم

نشر هذا الحديث في جريدة (لسان الحال) البيروتية الصادرة بتاريخ ٢٨ ايلول ١٩٤٦ .

دولة لطفي بك الحفار رئيس وزراء ووزير الداخلية السابق من رجالات وابطال قضيتها ومن اكثر العاملين المتواضعين في الحقل الوطني والاقتصادي وهو عدا كونه صاحب الصوت المتزن الحكيم في المجلس النيابي السوري ، المراقب العام لمصلحة مياه « الفيجة » التي تعد نعمة من نعم الله على الدمشقيين .

حظيت بمقابلته في مكتبه ورجوته حديثاً لجريدة « اللسان » الزاهرة فتفضل وأجاب عن الاسئلة بما يلي :

الحكم وسيلة لا غاية

س — لم آثرتم اعتزال الحكم الى مثل هذه العزلة في الوقت الذي يحتاج الوطن الى خدماتكم الممتازة بالاتزان والحكمة ؟

ج — الخدمات العامة التي يجب القيام بها لاتكون محصورة كما هو معلوم في الحكم ووسائله لا سيما والذين اعتادوا القيام بالواجب الوطني بقوة ايمانهم ومبادئهم انما يستهدفون الصالح العام في جميع الادوار التي تمر على البلاد . فالحكم اذن وسيلة من وسائل العمل

حينما تساعد الظروف على ذلك ، والابتعاد عنه ايضاً وسيلة من الوسائل النافعة لمتابعة الاعمال الوطنية العامة في الميادين الحرة التي يكون العمل فيها غير مقيد بالقيود التي تستوجبها مبادىء الحكم وضروراته .

ومجال العمل واسع

ولذلك لامجال للقول ان ثمة اعتزالا للعمل اذ ان مجال العمل واسع جداً في جميع الميادين ، فنحن نعمل دائماً لتحقيق الاهداف العليا التي طالما ضحت البلاد في سبيلها ، وقد كنا ولا نزال من جنودها العاملين الذين لا يتخلون عن واجبهم داخل الحكم او خارجه . واني لأعتقد بان واجب العمل الآن اهم المحافظة على هذا الاستقلال الصحيح الذي تمارسه البلاد اليوم حتى تستطيع ان تثبت كفاءتها للقيام بهذا الواجب العام .

البلاد ربحت من الحرب ...

س ـ مارأيكم في وضع البلاد الاقتصادي الحالي وماذا يجب علينا للمحافظة على ثروة البلاد ؟

ج ـ لا شك بأن البلاد خرجت من الحرب وهي رابحة مادياً ، وبين أيديها ثروة جنتها في ظروف هذه الحرب المختلفة ولا سبيل الى المحافظة عليها الا اذا استطعنا ان نسيطر على ابواب الصادر والوارد لجعلها متفقين مع حاجة البلاد الاقتصادية بشكل جدي بعيد عن التساهل والمحاباة مع أية فئة كانت .

وواجب الحكومة دقيق

فالواجب الملقى على عاتق الحكومة في هذا الظرف من هذه الجهة دقيق جداً للقيام بالدرس اللازم لتعيين النواحي التي يجب فيها السماح بالاستيراد لما تحتاجه البلاد صناعياً وزراعياً واغلاق ابواب الاستيراد لكل الاصناف الكمالية مهما كانت الوسائل المغرية في سبيل ذلك .

لبنان الجار الشقيق

وأنا اعتقد بأن التوفيق في هذا الباب يحتاج الى وضع سياسة مطردة وموحدة مع (لبنان) الشقيق الجار ، وبصورة واضحة جلية .

والخلاف ليس من مصلحة أحد ...

واما مانحن عليه الآن من هذا التقلقل والاضطراب في ابواب الصادر والوارد وسير كل من لبنان وسورية في طريق مخالف فان نتائجه – ان لم نضع حداً عاجلا لها – سيئة جداً على ثروة البلاد وستكون الحالة الاقتصادية العامة معرضة لأزمة مستحكمة بطول زمانها فيما اذا بقينا على مثل هذه الحال !

فلسطين نقطة ارتكاز ...

س – مارأيكم في مشكلة فلسطين والطريق التي يجب اتباعها في حال فشل مؤتمر لندن ؟

ج – فلسطين المركز الرئيسي الحساس للبلاد العربية جمعاء ، ولمستقبلها علاقة كبرى بمستقبل البلاد العربية كافة من اقصاها وأدناها ،

فالواجب الحتم يقضي علينا جميعاً بأن نكون صفاً واحداً وكلمة واحدة لتحقيق اماني هذا القطر الشقيق في الحرية والاستقلال والحيلولة دون تمادي تحقيق وأخطار الاهداف الصهيونية وبأسرع مايمكن ... وأنا لا اشك بأن الوفود العربية تعمل في لندن الآن في هـــذا السبيل ولكلمتها وموقفها الاثر الفعال ان شاء الله .

مقرارت بلودان وحدها ...

على انه اذا لم تتحقق امانينا ولم نصل الى النتيجة المطلوبة ، وقد سألتم ماذا يجب ان نعمل ، فأنا اؤكد لكم ان الخطة التي يجب اتباعها والتي لا تخفى على اللبيب قد وضعت خطوطها في مؤتمر بلودان ، فما على الحكومات العربية ومن ورائها الشعوب الا ان تقوم بتنفيذها حالا . بصدق واخلاص ودون نظر الى المؤثرات الخارجية ومشكلاتها .

ألا لا يجهلن احد علينا

واعتقادي ان البلاد العربية حكومات وشعوبا يجب أن لا تقصر في هذا المضمار وسوف تجد نفسها مضطرة الى خوض الغمرة التي ستلجئنا اليها الايام متمثلين بقول القائل :

الا لا يجهلن احد علينا　　فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أثر الصحافة في حياة الامة

نشر في العدد الاول من جريدة العرب الصادرة
بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٤٦ .

(ضمير الصحفي وحده هو الرقيب عليه)

أدلى حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية بحديث الى مندوب « العرب » بمناسبة صدور اول عدد منها عن مهمة الصحافة وحرياتها فقال :

الصحافة عامل مؤثر في حياة الامة الاجتماعية والسياسية بالدرجة الاولى ، ولذلك فان واجبها كبير جداً يتطلب منتهى العناية من القائمين عليها ؛ وهي في هذا العهد تقف امام واجب مضاعف ، لانها مسؤولة عما ينشر فيها من الخير والشر ، والحق والصدق وما يسيء نشره الى مصلحة البلاد وما يحسن اليها في هذه الظروف الدقيقة .

حرية الصحف وواجباتها

ونحن اذا كنا منذ عملنا لتحقيق سيادة هذه الامة واستقلالها نحرص على التمتع بالحريات العامة ، فاننا في بدء حياتنا الاستقلالية نرى المصلحة تقضي بأن لا تكون هذه الحرية مطلقة من اي قيد او شرط لان للدعاية التأثير الكبير في تأسيس هذا الكيان الذي ضحت الامة في سبيله بالغالي والرخيص ، ولذلك فان ماينشر في الصحف من الابحاث السياسية والاجتماعية يجب ان يكون الرقيب عليه « ضمير » المسؤول عن الصحيفة « ووازعه الوطني » وعليه ايضاً ان يكون منتبهاً

لواجباته الملقاة على عاتقه ازاء هذه الحرية التي يستعملها وان يوازن بين استعداد الامة والقارئين وبين ماينشر عليهم ، ومن هذا يتبين ان مسؤولية اصحاب الصحف كبيرة جداً وهم وحدهم يقدرون ما على الحكومة من اعباء ومسؤوليات ويعرفون ان عليهم ان يكونوا عوناً لها في اداء مهمتها الصعبة لتحقيق اماني الامة ولا سيما في مثل هذه الظروف الدقيقة التي تمر بها البلاد الآن ، وتعمل فيها الدعايات الاجنبية بوسائل مختلفة عملها اذا لم تقاومها الامة بصحفها ونوابها وحكومتها .

انني لا أقول هذا بصفتي وزيراً مسؤولا فقط ، ولكني اقوله — كما يعلم الله — بصفتي رجلا يعمل في الحقل الوطني العام مجرداً عن الغرض والهوى ، وما اعلمه واطلع عليه يحفزني لان اقول كلمتي هذه خالصة لوجه الله ولوجه المصلحة العامة .

مناهج الصحف

انا لا انكر ان معظم الصحف تشعر بهذا الشعور الدقيق ، وتقدر مسؤولياتها العامة حق قدرها ، وتعمل في هذا السبيل بوحي ضميرها وواجبها ، واني لارجو ان تنهج جميع الصحف هذا النهج القويم ، وان تعمل لما فيه الخير للامة والبلاد ، وان تبتعد عن كل مايترك اثره السيء في الاوساط العامة والسذج من القارئين ، وما ينتج عنه من ضرر بليغ تحتاج الحكومة الى التعاون مع عقلاء الامة لمقاومته .

والحكومة مدعوة ايضا الى شد ازر المخلصين من اصحاب الصحف الذين لهم من تربيتهم الوطنية ، ومن ثقافتهم الصحيحة ما يربأ بهم عن النزول الى المستوى الذي نرجو ان تترفع عنه الصحافة السورية .

وأملنا كبير ان تكون الصحف السورية من الصحف العاملة للخير العام ، ومن أجل المصلحة الوطنية والقومية بقوة وتجرد واخلاص وليس اسر لقلوبنا ، وأرحب لدى صدورنا من الصحف التي تنهج هـــذا المنهج الحر القويم والذي يعود على صاحبه وعلى الامة بافضل النتائج ويسير بها الى أقوم السبل .

وعلى الصحافيين تقدير هذه الواجبات الملقاة على عاتقهم والمسئوليات الكبيرة التي تطالبهم بها ضحايا هذه الامة حتى تكون أهلا للحريات التي قدمت أثمن ما تملكه في سبيل تحقيقها . وأنتم تعلمون ان تقدير هذه المسئوليات حينما تكون الامة والبلاد متمتعة بسيادتها واستقلالها وحرياتها كبير جداً حتى لا تضطر الحكومات والرجال القائمين على الامر من نواب ووزراء للتفكير في وضع الزواجر القانونية والتحديد من هذه الحريات المطلقة للصحافة والصحافيين . وحينما يدرك كل فرد واجباته العامة نحو نفسه وعمله وأمته وحكومته ويقوم من نفسه بهذه الواجبات العامة فقل أن هذه الامة جديرة بممارسة حقها في السيادة والاستقلال والحرية . وأمتنا والحمد لله في جميع طبقاتها ، مدركة لهـــذه الواجبات العامة وما أعظمها من قوة وميزة لمن يقوم بها حق القيام .

الاستقلال والدستور

نشرته جريدة (القبس) بعددها الصادر
بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٤٧ .

ننشر فيما يلي الخطاب الخطير الذي القاه السيد لطفي الحفار في الاجتماع الكبير الذي اقامه الحزب الوطني يوم امس افتتاحا لنشاطه الانتخابي وهذا هو :

سادتي واخواني :

اذا كانت الامور تقاس بنتائجها كما يقولون فان مابذلته هذه الامة من تضحيات في جميع ميادين الجهاد ، وما قامت به من وثبات وثورات تجلت فيها خصائصها وقوة ايمانها الذي تستمده من تاريخها لم يذهب والحمد لله هباء بل أتى باطيب الثمرات وأثمن النتائج ، وهو ماتتمتع به بلادنا من سيادة تامة واستقلال صحيح لا تشوبه شائبة ، ومالم تستطع ان تنعم البلاد بمثله منذ قرون متطاولة ، فما هي الواجبات الملقاة على عاتقها ايها الاخوان للمحافظة على هذه النعمة الكبرى وللعمل على الاستفادة منها لخير ابنائنا واحفادنا ؟ اذا كان الجهاد ايام وجود الاجنبي للحصول على الاستقلال غاية مقدمة فانه الآن بعد الحصول عليه والفوز به قد اصبح وسيلة ذات شأن كبير لتحقيق اهدافنا الوطنية والقومية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فالواجبات التي

تطالبنا بها الاجيال الآتية كبيرة ، وليس لنا في التقاعس عنها عذر كالذي كنا نلتمسه بوجود الاجنبي والعمل لمقاومته ، لذلك نرى لزاما علينا ان نقوم بقسطنا كاملا لتعبئة قوى الامة ووضع الخطط والمناهج الواضحة للسير بها قدما الى الامام في جميع مناحي الحياة .

حفظ الاستقلال

ان واجباتنا تنحصر في هذه الفترة التي تمر بنا الآن بما يأتي ، واسمحوا لي ان اعددها باختصار :

اولا – العمل على حفظ استقلال بلادنا استقلالا مطلقاً سليما والذود عنه بجميع الوسائل والتيقظ لمقاومة الدعايات الخطرة التي تقوم بها دوائر أجنبية لها علاقة كبرى بالصهيونية وأذنابها وما يكمن وراءها من مشاريع وخطط تؤدي الى قبول فكرة تقسيم فلسطين لتأسيس الدولة اليهودية لاسمح الله فعلينا ان نعلن اننا نحارب هذه الفكرة حربا لاهوادة فيها لانها مبدأ الاستيلاء على البلاد العربية وتسرب النفوذ الاجنبي واليهودي الى جميع مرافق حياتها . نحن ايها السادة من العاملين لفكرة الوحدة العربية وبث العقائد القومية التي لها صلة بامجادنا وتاريخنا واذا كانت بعض البلاد السورية المنفصلة عنا لاسباب لامحل لسردها الآن كبلاد شرقي الاردن مكبلة بالقيود والاغلال ، فاننا نعمل على ضمها الينا سالمة حرة مستقلة لتنعم بما ننعم به من استقلال وسيادة .

واننا جادون في هذا السبيل بالاشتراك مع سائر البلاد العربية الاخرى وهذه جامعة الدول العربية خطوة مباركة طيبة لتوطيد هذه الفكرة والوصول الى تحقيقها بحسب تطور الحوادث وانجاحها والعمل

في سبيلها بالدعوة الصالحة والقدوة الحسنة ونحن نعتبر ان جامعة الدول العربية مؤسسة قومية نعلق عليها الآمال الكبيرة لخدمة الاهداف القومية والسعي لتقويتها وتعزيزها كما اننا نعمل على تمكين الروابط السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتشريعية بين اجزاء الوطن العربي توصلا لتحقيق غاياتنا العليا ومثلنا السامية في الوحدة العربية والتغلب على الصعاب مهما عظمت .

رعاية الدستور

ثانياً ـ ان الواجب يتقاضانا الحرص على رعاية الدستور وتطبيق القوانين والانظمة تطبيقاً صحيحاً عادلا يضمن الحق والمساواة بين الجميع والاشتراك في الخدمات العامة بحسب الكفاءة والاخلاص في العمل .

ارادة الشعب

ثالثاً ـ اننا نرى ان الحكم يستمد سلطانه وصلاحياته من ارادة الشعب التي يعرب عنها بالانتخاب الحر المستند الى المحافظة على حرية الرأي والاجتماع والنشر وتشكيل الاحزاب والهيئات المنظمة ، ونحن نعتقد ان نظام الحكم الجمهوري هو النظام الذي يلائم روح الشعب ويفي بحاجاته وينسجم مع الاهداف القومية ، وليس ذلك بجديد عندنا ، فقد اجمع رأينا مع رأي العاملين المخلصين ورجال السياسة من شتى الانحاء ايام اجتماع الجمعية التأسيسية وحتى ايام وجود صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل الذي كان يتمتع باحترام الرجال العاملين في الحقل الوطني وثقتهم منذ القديم ، اجمع الرأي على المبدأ الجمهوري

النيابي ، ومازالت الاحداث وتطورات الزمن تؤيد قوة هذا الرأي وصحته وملاءمته لبلادنا ومستقبلنا .

التوجيه السليم

رابعاً ـ اننا نعمل على تنسيق قوى البلاد المختلفة في جميع نواحي حياتها العامة من ثقافية واجتماعية وعسكرية وتوجيهها في سياسة انشائية منظمة تكفل تطورها السريع وترمي الى رفع مستواها وتحقيق الغايات المطلوبة فيها .

رعاية الاقتصاد

خامساً ـ يجب علينا ان نولي اهتمامنا ايضاً الى السياسة الاقتصادية العامة والى استثمار مرافق البلاد وزيادة انتاجها وتأمين حاجاتها الصناعية والزراعية وتنشيط مجهود الافراد والجماعات ونرمي الى ان تقوم الدولة بالخدمات العامة الاجتماعية والصحية ومشاريع النقل والمواصلات ومافيه فائدة للمصالح العامة .

ولذلك نرى ان العمل المنتج اساس تقدم الامة الاقتصادي وانه حق وواجب لكل قادر عليه ، ومن مبادئنا ان يكافأ العامل بنسبة مايحسن وعلى مقدار ماينتج لرفع مستواه وصون حقوقه وتأمين مستقبله . وان لايطغى رب العمل والحقل على حقوق العامل والفلاح .

روح المسؤولية

سادساً ـ واخيراً فاننا نرى ايها السادة انه يجب علينا في هذا

الدور الانشائي الذي يتوقف عليه مستقبلنا ومستقبل اولادنا وأحفادنا ان نجعل المواطن يشعر شعوراً تاماً بانه جزء من كل ، يجعله عميق الاحساس بحقه ومسؤوليته للمساهمة بكل مايعود لخير امته وبلاده ، وان نقوي روح الفضيلة والاخلاق لمكافحة المفاسد الاجتماعية التي لا تتلاءم مع ماتدعو اليه الاديان السماوية والآداب الاسلامية . هذا هو موجز أردت بسطه امامكم ايها السادة لاوضح لكم اننا جادون لوضع الخطط والمناهج التي تتطلبها حاجاتنا الان ، كما اننا جادون لتطبيقها والدعوة اليها ومراقبة تنفيذها ، اننا نعمل بوحي عقائدنا ومبادئنا منذ نعومة اظفارنا لم يثن عزيمتنا مامر بالبلاد وبنا من احداث ومحن وما لاقيناه من عقبات واسواء ، ولقد كانت امتنا العزيزة وما زالت قدوة لنا في سبيل التضحية والبذل والاخلاص وأمة هذا شأنها وهذا تاريخها وهذه خططها بالغة الى ماتصبو اليه بفضل ايمانها وقوة عزيمتها ، ونحن من ورائها نعمل ولا نمل ، وندأب ولا نكل ، والايمان بالله يحدونا للعمل والامل بمستقبل الوطن ونحن نسير قدماً في هذا السبيل الى الامام بحول الله وقوته .

تحية الرئيس

ايها السادة :

هذا دستورنا ، وهذه مناهجنا وهذه خططنا الصريحة في قيادة سفينة هذا الوطن الى المستقر الامين ، وقد تمرستم بالجهاد في سبيله طوال السنين الماضية ، وحملتم وحملنا معكم اعباء التضحية لادراك هذه

الغاية الحبيبة الغالية التي ادركناها مخلصين السعي لها ، وكان الثمن الذي دفعتم ودفعنا باهظاً ثقيلا ، كان الثمن مجموعة لا سبيل الى تقدير قيمتها من الضحايا الغالية ، اسمحوا لي ان أنحني وانحنوا معي باجلال امام هذه الضحايا والشهداء الاوفياء في هذه الساعة الرهيبة ، ولقد كان الثمن اضطهاداً وعذابا لقيه الكثيرون منكم ومنا لا نحصي ذكراه ، وكان الثمن ثروة من أثمن الثروات بذلناها على مذبح الحرية وقربانا لها على مذبح الاستقلال لانشاء دعائمه وتوطيد اركانه تأييداً للاهداف الوطنية الرفيعة التي ادركت البلاد قسطاً وافراً منها ، وستدرك مابقي عليها ادراكه من هذه الاهداف لتصبح سيدة عزيزة كريمة مطاعة ، رافعة الرأس تفاخر بطلها المفدى الذي يرمز الى تاريخنا القومي المجيد .

وإنني وأنا أختم كلمتي في هذا الاجتماع الشعبي الكبير ، أحيي باجلال واحترام هذا الرجل المجاهد المؤمن ، هذا الرمز العالي لأماني البلاد وآمالها ، هذا الركن الركين الاستقلال والسيادة الذي نعتبره آية فخرنا بما وهبه الله من اخلاص وتجرد ودأب على العمل لخدمة اغراض الامة وأهداف البلاد ، فخامة رئيس الجمهورية الجليل السيد شكري القوتلي أدامه الله ، والسلام .

الزعيم الخالد هنانو

نشرته جريدة (بردى) الصادرة بتاريخ
٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٧ .

« يطالع القراء فيما يلي الخطاب القيم الذي القاه في حلب السيد لطفي الحفار رئيس الحزب الوطني في الذكرى الثانية عشرة للمغفور له ابراهيم هنانو الزعيم والبطل المجاهد الذي رافقه الوطنيون في جهاده ونضاله ناشدين واياه غاية واحدة وهي استقلال سورية ، الذي ترفل البلاد اليوم في نعيمه . والى القراء نص هذا الخطاب الجامع » .

أيها السادة :

انها لذكرى محضة لنفوسنا ، مرمضة لخواطرنا ، هذه الذكرى التي نجتمع لاحيائها هنا كل عام ، ذكرى البطل المجاهد الزعيم الخالد الذكر ابراهيم هنانو ، فقد افتقدناه عام ١٩٣٥ كما يفتقد البدر في الليلة الظلماء وخسرنا بفقده ركناً من أركان الجهاد للقضية الوطنية في ظروفها القاسية ، ولكن هنانو كان أعظم في رسالته من أن يذهب من هذه الدنيا فيذهب معه كل شيء ! انه ترك من بعده رسالة اعتنقها ودان بها ، واعتنقتها ودانت بها عصبة من اخوانه في الساحة الوطنية ، وما هي الا ان كر الجديدان حتى أذعن الموقف لهؤلاء الوطنيين وسارت الامور بين الكر والفر والجذب والدفع حتى نشبت الحرب الاخيرة والوطنيون وحدهم في ساحة العمل الوطني يرعون

ذمة الوطن ويحفظون عهده وحتى كانت الصفحة الاخيرة وكان العهد الوطني الذي قام على تأسيسه ورعايته فخامة رئيسنا الجليل شكري القوتلي بمعاونة هؤلاء الوطنيين أنفسهم ، فاذا نحن في نعمة من تلكم النعم السابغة ، وفي نعيم من الحرية والسيادة والمجد ، ينبغي أن نعمل جاهدين في سبيل تقويم معوجه واصلاح فاسده في مختلف الاوضاع الداخلية والخارجية والاقتصادية والاجتماعية ، ونتعاون لازالة آثار هذا الماضي البغيض والارث السيء الذي تركه الاجنبي في مختلف نواحي الحياة ، وأن نكون جادين مخلصين في تأسيس كياننا وانشاء دولتنا على أفضل الاسس وأمتن الاساليب ، لنقضي على مافي أنفسنا وأخلاقنا من أنانية وغرض ، ونقوم بحمل أعباء قضية الوطن بتجرد واخلاص ، لنصل بها إلى ساحة الطمأنينة والأمان وتحقيق الآمال .

فالى روح الزعيم الخالد الذي لم يعرف في حياته التردد والوهن ، ولم تلن له بحق وطنه قناة ، إلى هذا الزعيم الذي رافقناه في جهاده ، وسرنا واياه جنباً إلى جنب سنين طويلة ، ننشد معه غرضاً واحداً ، ونلاحق واياه غاية واحدة هي استقلال هذا الوطن وحريته ، إلى هذا الرجل الفذ من رجال الرعيل الاول الذين لاتطالهم الوف المتنطعين ، تحية اخوانه الباقين على عهده المقيمين على رسالته .

إنني في موقفي هذا في مدينة الشهباء أذكر بألم وحزن وخشوع ، أخاً عزيزاً علينا جميعاً ، افتقدناه وهو في أبان نشاطه الوطني ، وأنحني أمام فاجعتنا الكبرى بالمغفور له سعد الله الجابري طيب الله ثراه ، وإني لأذكر والألم يحز في نفسي ، والحزن العميق يحفني من كل

جانب ، انني كنت واياه في مثل هذه الايام من السنة الماضية ، تقوم بالواجب لدى مجلس الجامعة العربية التي كان له فضل المساهمة بتأسيسها ، وقد بدأت أعراض المرض تظهر عليه وهو يجالد ويجاهد ، ويعمل بقوة وايمان ، كما كان شأنه في جميع مواقفه ، جزاه الله خير الجزاء بقدر ما أحسن إلى الامة والبلاد .

وإنني في موقفي هذا أيضاً في هذه المدينة ، أذكر بأسف وألم ، ما صادفه اخواننا الوطنيون العاملون ، أصحاب الكلمة الراجحة من عقبات حيل بها بينهم وبين بلوغ حقهم في تمثيل مدينة الجهاد تمثيلا يدنيها من حقها ، وأعلن أمام هذا الجمع الكريم أنه لا يرجى للبلاد الخير ورفعة الشأن ، إلا على أيدي اولئك الذين أُرضعوا الوطنية منذ نشأتهم ، وعاشوا حياتهم في ظل صوفيتها وحرمانها .

أيها السادة : اسمحوا لي قبل أن أبرح مكاني ، أن أحمل اليكم تحية دمشق ، وأن أنحني أمام روح فقيدنا وفقيدكم ، رحمه الله واسكنه فسيح جنانه .

على عاتق كل منا مسؤولية

ننشر فيما يلي نص الخطاب الذي القاه دولة السيد لطفي الحفار في جلسة مجلس النواب مساء يوم السبت الواقع في ٣٠ ايار سنة ١٩٤٨ وكان له أثر كبير في الاوساط السياسية في المدينة :

أيها الاخوان ، تعلمون اننا كثيراً ماتحاشينا في هذا الظرف الحاضر الذي تجتازه البلاد احداث اية أزمة او الاتيان بأي عمل من شأنه ان يعرقل عمل الحكومة الحاضرة ، وهذا ما لمسته في مختلف هيئات المجلس الكريم سواء في الحزب الوطني او الكتلة الدستورية او المستقلين ، فقد كانوا جميعاً يقدرون الظروف السياسية القاسية التي تمر بها البلاد حق قدرها ويتحاشون كل ما من شأنه ان يعرقل عمل الحكومة ، لا بل كنا نؤيدها تأييداً تاما في كل ماتراه ، حتى اننا كنا معها ملكيين اكثر من الملك ، اما الآن والبلاد تجتاز هـــذه الساعات الدقيقة التي لها علاقة كبيرة بمستقبل حياة الامة نجد ان الواجب يحدونا كنواب يتحملون مسؤولية العمل القائم سواء أكانوا في الحكومة ام خارجها للمساهمة في العمل فيدرسون ويبحثون .

على كل نائب مسؤوليته الكبيرة في هـــذه الظروف ، لذلك

لا أجد بدأ من قول كلمة هادئة في هذا الظرف الدقيق الذي تمر به البلاد ، وهذه الكلمة هي اننا اذا كنا تحاشينا حتى الآن ايجاد ازمة وزارية لها ذلك الا لاننا نريد ان نسهل عمل الحكومة ، وان نؤيدها تأيداً تاماً لتكون ناجحة موفقة في جميع اعمالها وخطواتها التي لها علاقة كبيرة بمستقبل اولادنا واحفادنا . ولكننا فوجئنا منـــذ ايام باستقالة احد وزراء هذه الحكومة الذي تترتب عليه المسؤولية الكبرى في تسيير دفة الامور ، فأنا أريد ان اصرح علناً بأنني عندما بلغني خبر هذه الاستقالة عزمت ان لا أتعرض لها لا سلباً ولا ايجابا ولا اتهم احد ولا القي الكلام جزافا ، ولكن الحكومة على الرغم من ان بعض الاخوان الزملاء تساءلوا عن هذه الاستقالة في هـــذا المجلس الكريم لم تنبس ببنة شفة جوابا على تساؤلهم حتى الآن ، ولذلك فانني لا استطيع ان تبقى البلاد بعيدة عن حقيقة هذه الاستقالة بل ارجو في مثل هذه الظروف الدقيقة التي تمر بها البلاد ان نكون صريحين في اعمالنا حتى نستطيع القضاء على الاشاعات السيئة التي يروجها البعض عن سوء نية او عن حسن نية . ولا يعني بحث هذه القضية اننا نريد ان نقر عملا او قولا لاسمح الله له الاثر السيء في الموقف الحاضر ، بل بالعكس يجب ان نقضي على الاشاعات والاقوال السيئة باعلان الحقيقة سافرة واضحة . اخشى كثيراً ان نقع بين طرفي الافراط والتفريط ، الافراط في تقييد الحكومة او التفريط في تأييدها واعطائها صلاحيات كبرى كاعلان الاحكام العرفية وماشاكل ذلك . ويذكر الاخوان انني كنت في اللجنة الداخلية والقضائية اشد منها حماساً في تأييدها حتى ان بعض اعضاء هاتين اللجنتين ارادوا ان يسلبوا مجلس الوزراء بعض الصلاحيات

فقمت غاضباً وقلت لمن تريدون اذن ان نعطي هذه الصلاحيات أليس لمجلس الوزراء ؟ وقد كنت اقول ذلك من كل قلبي صادقاً لوجه الله ووجه الحقيقة وما زلت كذلك . فاذن انا من الذين يريدون ان يقولوا كلمة يشعرون ان الواجب يتقاضاهم قولها ، فقد وقمت هـــذه الاستقالة في وقت كان يجب ان لا تقع فيها لانها فتحت بابا كان يجب سده بسرعة كلية ، ولكنني لم اجد اثراً لهذه السرعة لدى الحكومة الحاضرة ، لان الوضع الحالي لايتحمل هذا القلق وهذا الاضطراب والتردد ، وأخشى إذا قلت كلمة ان تحمل على غير محلها وان تؤول بأني اقصد من ورائها شيئاً يتعلق بالحكم او بالاستيزار او ما شاكل ذلك مما الابه ضاحكا هازئاً ذلك لان الواجب يدعوني ان اقول هذه الكلمة ولا حاجة بي لان اعرف عن نفسي وهذا المستقبل وهذه الظروف تملي على كل منا واجبه في هذا الموضوع . واذا كانت الواجبات العامة تلقي على عاتق كل فرد منا مسؤولية ما فعليه ان يتحملها بكل شجاعة وقوة ، واذا كانت الواجبات العامة تقضي بان لاتتحمل هذه المسؤولية ونتركها لاهلها من العاملين الصالحين فيجب — واقولها بكل صراحة — ان يكون عملهم كذلك . واني لاجد ان هذا الوضع غريب ، وان المصلحة العامة تقضي بوضع حد لهذا التردد والضعف ، لاسيما والمجلس على ابواب اختتام دورته العادية . لقد ايدنا طلب الدورة الاستثنائية لاننا نشعر بانه يجب ان يكون هذا المجلس الى جانب الحكومة يشاطرها المسؤوليات ويشاركها البحث والدرس في هذا الظرف الذي تمر به البلاد .

وسواء أبقيت هذه الحكومة التي أوليناها ثقتنا ام لم تبق فانني اقول انه لم يعد من الخير للبلاد ان تبقى هذه الحكومة بحالتها الحاضرة ولا يجوز

الاستمرار على هذا الشكل ، وانما يجب اولا ان نفهم مستوى الشعور العام لكي نقضي على الاشاعات السيئة والدسائس ، وان يكون هذا المجلس عوناً للحكومة التي يتمدها وعوناً على الموقف الحاضر لتسمو هذه الامة بشعورها وتمارس واجباتها وتتحمل مسؤولياتها بالنسبة لما تمر به البلاد في هذا الظرف الدقيق .

ان الاحداث ايها الاخوان خطيرة جداً والدسائس تحاك ، ولكن مع الاسف الشديد نجد كثيراً من الاهمال والاسترسال مع الحوادث دون ان يكون هناك عمل حازم حاسم يقضي على ما في هذا الموقف الحاضر من اشاعات مغرضة وتبلبل وقلق لان مسؤوليتنا ايها الاخوان هي مسؤولية هذا المجلس الذي يمثل من الوجهة البرلمانية المسؤولية الكبرى ، ولذا يجب علينا ان لا نمر بهذه الامور مر الكرام والاحداث على الابواب ، والمجلس سينتهي من دورته بعد جلسة او جلستين ثم تعقب ذلك دورة استثنائية لا نعرف كيف ستكون جلساتها مستمرة ام متقطعة ، وهل هناك اكثرية ام أقلية الى ماهنالك من امثال هذه الامور . فعلينا ان نعلن عن موقفنا من هذه الحكومة بقوة وجلاء .

واني اعتقد أن هذا المجلس الكريم ونوابه جميعاً يشعرون بواجباتهم وسيكونون عند حسن الظن بهم وسيحضرون باكثريتهم جلسات الدورة الاستثنائية ليشاركوا في الدرس والبحث وليشرفوا على مراقبة الموقف الحاضر . هذا ما اردت قوله والسلام .

حديث عن قضية النقد واستقلاله

نشر في جريدة (النصر) في اواخر سنة ١٩٤٨ .

رأى مندوب « النصر » ان يستطلع آراء اصحاب الرأي في موضوع استقلال النقد السوري ، فتوفرت لديه احاديث حصل عليها من عدة شخصيات نبدأ اليوم بنشر رأي دولة السيد لطفي الحفار رئيس الوزارة السورية ووزير المالية سابقاً :

الاقتراح الفرنسي

س — ما هو رأيكم في النقد السوري ورفض الاتفاقية التي عرضها الافرنسيون بشأنه ؟ وهل اطلعتم على ذلك من قبل ؟

ج — هذه القضية شغلت الصحف والرأي العام منذ امد بعيد ، وكانت الحكومة تعالجها بما لها من صلاحيات بنفسها ، ونحن لم نطلع على موضوع المناقشات الجارية بهذا الشأن ، وعلى الاقتراح الوارد ، الا منذ ثلاثة ايام حينما دعا فخامة رئيس الجمهورية المعظم بعض رجال المال والاعمال واصحاب الرأي في مثل هذه المواضيع الى عقد اجتماعين هامين تحت رئاسة فخامته .

نبقى ذيلا للفرنك

وبعد ان اطلعنا على الاقتراح الوارد قلنا ان هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة عميقة مجردة عن العاطفة ولكنها تستهدف مصلحة البلاد

الاقتصادية ، بالنظر لعلاقتها بالثروة العامة ، ومستقبل البلاد المالي . وبعد ان درسنا الموضوع في الجلستين الآنفتي الذكر ، كان الرأي متفقاً على ان قبول الاقتراح الوارد يعني ارتباط عملة البلاد بالفرنك الفرنسي الى امد طويل يتجاوز عشرات السنين ولا يمكن في حال قبول الاقتراح الوارد ولا بد من تصفية العلاقات المالية بين نقدنا المتداول والفرنك المعرض دائماً للنزول المتوالي .

خسارة وقيد تجاري

كما ان قبول هذا الاقتراح يعرض البلاد لخسارة خمسين مليون ليرة سورية حالا ، ويجعل معظم استيراد البلاد من البلاد الفرنسية التي لا تستطيع تلبية حاجاتنا وتجهيز البلاد من الوجهة الصناعية والزراعية ، لأن صادراتها تكون بمعظمها من الكماليات التي يجب ان نكون في غنى عنها .

دون نقد نادر

كما ان من نتائج قبول الاقتراح الفرنسي عدم تمكين البلاد من الحصول على اي كمية كانت من الدولار ، بغير انه يمكن اعطاء مبلغ لا يتجاوز الـ ٤٠٠ الف جنيه من النقد الاوروبي بالسعر الحر في اوروبا ، وهذه الكمية لا تكفي لأي حاجة من حاجات البلاد .

جر البلاد للتضخم

كما ان الاقتراح الوارد ايضاً سيكون من جرائه جر البـــلاد السورية الى التضخم النقدي ، وتراكم الرصيد من الفرنكات عند

فرنسا ، لايمكن بحال من الاحوال الخلاص منه .

ولهذا رأى المجتمعون بالاجماع انه يجب رفض الاقتراح الوارد وانه لايمكن لاي مفكر يقدر وضعية البلاد المالية والاقتصادية ومستقبلها القبول بالقيود الواردة في الاقتراح الفرنسي .

والامتيازات الفرنسية

كما ان من شأن هذا الاقتراح ايضاً ربط البلاد بالامتيازات الفرنسية القائمة فيها والتي يجب التخلص منها او تعديلها بشكل يتفق وحاجات البلاد .

نقدنا المستقبل منيع

لقد اجزت لنفسي ان اعطيكم هذه الايضاحات تنويراً للرأي العام ودفعاً للأقاويل السيئة التي يريد ان يروجها البعض بالنسبة لنقدنا المتداول الذي اعتقد انه في هذه الحال سيكون اكثر متانة واضمن مستقبلا .

الجلاء المالي والاقتصادي

وكما ان البلاد قبلت التضحية اللازمة لاجل الجلاء الاجنبي السياسي والعسكري كذلك فاني اعتقد ان البلاد ستقبل بالتضحية الواجبة في سبيل الجلاء الاجنبي المالي والاقتصادي .

ضمان النقد الحالي

س — مارأيكم في ضمان نقدنا المتداول الآن في سوريا ؟

ج — ان سوريا بلاد زراعية وصناعية منتجة ولديها من الثروة العامة ومن انتاجها الزراعي والصناعي ، ومن احتياطها الموجود ومواردها المختلفة ، ما يكفل سلامة النقد المتداول وضمانه واني اعتقد ان الحكومة تدرس بصورة جدية الوسائل التي يجب اتخاذها في هذا السبيل .

كما ان الواجب يقضي في موقفنا هـذا اتخاذ التدابير السريعة لتحديد الاستيراد وتشجيع التصدير وتقنين بعض المواد الكمالية حفظاً للثروة العامة .

لبنان له رأيه

س — وما هو موقفنا من لبنان ؟

ج — لست ادري ما هي العوامل التي دفعت لبنان الى قبول هذه المقترحات ولا نستطيع مجادلته في هذا الموضوع لأنه هو أدرى بمصلحته ولم نستطع الاتفاق معه بهذا الشأن على خطة موحدة .

وعلى كل حال يجب ان ندرس علاقاتنا الاقتصادية والمالية مع لبنان درساً جديداً ، بالنسبة لهذا الموقف الاخير .

لبنان أراد الانفصال

ونحن حرصنا كثيراً ، ولا نزال نحرص على الوحدة الاقتصادية القائمة بيننا وبين لبنان ، ولكنه كما يظهر ارادها انفصالية اجابة لبعض الدعاة ، والمستقبل القريب كفيل باظهار الحقيقة وعما اذا كان يمكن الاتفاق على الوحدة الاقتصادية والجمركيـة لمصلحة البلدين والمصالح

متشابكة والاعمال والمبادلات بيننا وبينه ذات بال .

وهنا مجال للقول كبير بالنسبة لعلاقاتنا مع ابنان التي يجب ان تكون على احسن حال مع مراعاة المصالح المتبادلة وهذا ليس بالامر العسير اذا حسنت النيات .

* * *

وقد شكر مندوب النصر دولة الاستاذ الحفار على هذه المعلومات القيمة .

موقف تاريخي

عقد الصحافي المؤرخ السيد امين سعيد فصولا متابعة في جريدة (الكفاح) عن الانقلاب الذي قام به حسني الزعيم بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٤٩ بعنوان (كنت في المزة) سرد فيها الوقائع التي مرّت اثناء هذا الانقلاب ، وذلك بعد ان مضى عهده باغتياله مع محسن البرازي ، جاء فيها في العدد الصادر بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٩ بالعنوان التالي :

(النواب يجتمعون في الخارجية)

مانصه بعد مقدمات :

ثم زار الزعيم حسني الزعيم قائد الجيش الرئيس فارس الخوري في منزله يوم الاربعاء الواقع في ٣٠ آذار ١٩٤٩ اي يوم الانقلاب نفسه ، ووصف الحالة وهو مضطرب ، ودعاه الى التعاون معه .

فنصحه بدعوة مجلس النواب ، وكان لايزال يوالي عقد اجتماعاته ، ويعرض الامر عليه ، وان يكون اجتماعه في دار مجلس النواب نفسه فتردد الزعيم في الاخذ بهذا الاقتراح والعمل بهذه النصيحة ، غير انه عاد فقبل ان يجتمع النواب في دار وزارة الخارجية للتداول في الموقف .

(اجتماع النواب في الخارجية)

وعقد هذا الاجتماع ظهر يوم الخميس ٣١ آذار ١٩٤٩ بدعوة من

رئيسه ، وبرئاسة السيد فارس الخوري نفسه ، وجاء الزعيم نحو الظهر كما دعي اليه السيد محسن البرازي .

وطلب الاول من النواب الحاضرين ان يؤيدوا انقلابه – ويلتفوا حوله – ويعلنوا الثقة به بدون قيد او شرط فانبرى في الجواب نائب دمشق السيد لطفي الحفار معارضاً هذا الطلب بشدة وعنف ، وترددت الاكثرية في إجابته إلى طلبه ، وقالوا ان الافضل ان تزال الاختام الموضوعة على قصر مجلس النواب ، وأن تغادره الجنود التي تحتله ، وأن يسمح للنواب بعقد جلساتهم ومزاولة صلاحياتهم فيه وهم لا يترددون في عمل ماتقتضيه المصلحة العامة ، ولم يرض هذا الجواب بالطبع الزعيم حسني الزعيم ، فانسحب من الاجتماع غير مرتاح .

ثم جاء في أعداد تالية من جريدة (الكفاح) في متابعة هذه الابحاث برقم (١٦) مانصه ايضاً :

(تصحيح لا بد منه)

حمل الي البريد الكتاب الآتي :

حضرة رئيس تحرير جريدة (الكفاح) وصاحبها المحترم .

لاحظت وأنا اقرأ الجزء الرابع عشر من الفصول اليومية التي تنشرونها عن عهد حسني الزعيم (بعنوان كنت في المزة) انكم أوجزتم في الكلام عن الاجتماع الذي عقد في دار وزارة الخارجية يوم ٣١ آذار ١٩٤٩ اي غداة الانقلاب ، مع ان هذا الاجتماع كان خطيراً واليكم ماجرى فيه ، وقد كنت من حاضريه أرويه لكم ، وأرجو اثباته خدمة للتاريخ وتقريراً للواقع .

فالذي حدث ان الاستاذ فارس الخوري خاطب النواب الذين كانوا حاضرين في الاجتماع ، وما كان عددهم يقل عن (٦٠) نائباً فقال : (ان الزعيم أتم انقلابه وهو يريد التفاهم مع المجلس والتعاون معه فما رأيكم ؟) وانه الاولى ان نفكر في أهون الشرين، وأخف الضررين!.

فانبرى له الاستاذ لطفي بك الحفار بقوة وقال مامعناه : ان نواب هذا المجلس اقسموا اليمين على احترام الدستور والمحافظة على احكامه ، وحيث ان الانقلاب الذي جرى امس هو خرق للدستور وعدوان صارخ عليه وعلى سلطة البلاد الشرعية ، فان اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ووزير الدفاع وبعض الرجالات الرسميين امر لايجوز السكوت عنه ، لذلك فأنا اطلب رفض هذا الطلب وأطلب من اخواني النواب المحافظة على القسم المقدس الذي هو في اعناقهم والعمل على احترام الدستور ، وانه ما من انقلاب على الاوضاع الشرعية الا انتهى باحدى النتيجتين فاما ديكتاتورية عسكرية او الفوضى ... وما بعدها . وافاض في ذلك كثيراً ، مما كان له اعظم الاثر في نفوس الحاضرين .

وبعد ان انتهى من خطابه سأل حضرة الرئيس الحاضرين هل يريدون ان يعقّبوا ، فتكلم الدكتور ناظم القدسي ومما قاله :

ان الظروف الطارئة قد تقضي على الانسان بالتحرر من يمينه ، ولذلك ارى ان على المجلس ان يعالج الحالة الحاضرة بالحكمة والروية .

فأجابه لطفي بك الحفار بقوله : ان من كان مستعداً ان يحنث بقسمه المقدس فوزره عليه وحده .

ووصل في تلك اللحظة الى دار وزارة الخارجية حسني الزعيم لمعرفة ما استقر عليه قرار النواب ، وما كاد يدخل من الباب حتى انصرف نواب الحزب الوطني الى ناديهم يتقدمهم الاستاذ لطفي الحفار ، وتبعهم ممثلو الاحزاب الاخرى ، وهكذا فشل الاجتماع .

وزار في مساء ذلك اليوم الدكتور القدسي والاستاذ وحيد الديويدري نائب ادلب الاستاذ الحفار في منزله وهنؤوه على موقفه هذا وخطابه الذي القاه امام النواب بدار وزارة الخارجية ، وقالوا له اننا فكرنا في الموقف ، وقد اتيناك باسم اخواننا نحيي فيك هذه الجرأة والوطنية ، واننا نشاطرك رأيك ، ثم حددوا موعداً لاجتماع آخر للاتفاق على خطة مشتركة في اليوم الثاني ، ولكن هذا الاجتماع لم يتم .

دمشق (نائب مطلع)

هذا ماجاء في جريدة الكفاح الصادرة بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٩ ننشره هنا للحقيقة والتاريخ .

وقد كانت الحوادث المتعاقبة مصداقاً لما جاء في هذه الكلمة فقد اصبح الحكم في البلاد بعد هذا الانقلاب العسكري حكماً دكتاتوريا مطلقاً في معظم الاحوال وان كان في بعضها مقنعاً باسم الدستور الرئاسي وغيره ومرت تجارب قاسية كمت فيها الافواه وفقدت الحريات وضاعت المقاييس والكرامات ولم يعد للقانون سلطان وملئت السجون من الاحرار واصبحت الاحوال العامة سيئة جداً مدة خمس سنوات متتالية الى ان انتهى عهد طغيان الشيشكلي الذي لم يمر على البلاد اسوأ منه لذلك

لم نسمع او نقرأ لصاحب هذه (الذكريات) ولا لغيره من رجالات البلاد شيئاً وقد كان مراقباً مراقبة شديدة في حياته العامة والخاصة لأنه بقي معارضاً ومقاوما لهـذه الاوضاع الشاذة وغير الشرعية حتى طبع هذه المجموعة . وقد قام اثناء هذه المدة هو واخوانه بتقديم احتجاجات شديدة ومذكرات سياسية ضد هذه الاجراءات غير الشرعية التي قامت في البلاد وتابع هذه المقاومة بكل جرأة واقدام . وكان لهـا الاثر الفعال للقضاء على هذه الدكتاتورية التي تحكمت وحكمت ظلماً وعدواناً وأفسدت جميع أوضاع الدولة والاخلاق العامة مع الاسف الشديد . وله (مذكرات) تتعلق بهذه الحقيقة سجل فيها مامر على البلاد من الاحداث السياسية بصدق وأمانة ، وامل الايـام تساعد على نشرها وطبعها وهي سلسلة طويلة منذ ايام العهد التركي حتى الآن نسأل الله ان يهيء للبلاد بعد هذه العبر القاسية من امرها رشداً .

ايار سنة ١٩٥٤

الناشر

ذكرى يوم الجلاء

اذيعت في الراديو يوم ذكرى الجلاء ١٥ نيسان سنة ١٩٥٠ في محطة شرق الادنى .

الامم كالافراد لا تدرك ماتناله الا في ساعة حرمانه او بعد زواله ، والاستقلال الذي تتمتع به الشعوب الحرة لايعرف قدره الا الذين خسروه او الذين جاهدوا في سبيله فهو اسمى ما في الحيـــاة من قيم معنوية لانه عنوان كرامة الانسان التي لا تحسن بدونها الحياة .

وهذا اليوم ـ يوم الجلاء ـ يمثل في أعيننا شيئاً اكثر من جلاء الجنود الاجنبية الذي اتخذ رمزاً له ، يمثل نضال خمسة وعشرين عاما بذلت فيه سوريا أنفس مايضن به من النفوس والذخائر حتى انقادت لها اماني الاستقلال والحرية ، ويمثل جهاد الاجيال التي تطاول عليها الامد وهي محرومة من نعمته السابغة الجليلة ، فكانت تنشىء الابطال وتبعث بقوافل الشهداء الذين يحملون لواءه سراً قبل ان يرفعوه علانية ، ويمثل أخيراً ماعقدنا عليه من آمال ويذكرنا بما تلاه من احداث كادت تطوي صحائفه المجيدة .

وفي هذه السنة ، يمر بنا اليوم الذي اتخذته سوريا عيداً تعيده وهي تذكر فيه شهداءها الابرار ورجالها الاخيار ، وقد غاب عنه احق الناس فخاراً به وأجدرهم بتكرمته ، الذي ازدانت به ايامه ، وبقي عزاءاً له ولاخوانه الحافظين للعهد، مها تنكرت الايام وتناسينا الوفاء والذمام .

والامم لا تسمو بحياتها ولا تحقق احلامها الا اذا تحلت بالقيم الاخلاقية الفاضلة وحرصت على التمسك بها وهي أحوج ماتكون لهذه القيم السامية ـ مقاومة الطغاة والمعتدين والوفاء للعاملين المخلصين ـ حينما تتعرض البلاد للاخطار والهزات والارزاء التي تضر بسمعتها ومكانتها وتهدد كيانها واستقلالها .

وعسى ان يعود هذا اليوم في سنة قادمة وقد انتعشت الآمال بعد ذبول ، ونهضت الهمم بعد قعود ، وأخذنا مرة اخرى نستقبل عهداً زاهراً ورجاء ناضراً والفة جامعة وسعادة دائمة وتكون نفوسنا المضطربة الآن ، قد سمت فوق مستوى المشكلات والكوارث التي نحن في عرضها ، والتي نتلهى عنها وعن سواها من الاخطار الماثلة بالمآرب الزائلة والاهواء الباطلة .

أخذ الله بأيدي ابناء سورية الصادقين حتى يحققوا لها ماترجوه من رغد وطمأنينة واستقرار ، ويعيدوا اليها مكانتها السابقة المرموقة بين الاقطار العربية فتأخذ بنصيبها الوافر في اعلاء شأنها وجمع كلمتها وحماية ميراثها التاريخي في جميع اجزائها والله من وراء القصد .

ذكرى القضاء على العدوان الافرنسي

اذيعت من محطة الشرق الادنى بناء على طلب منها
ونشرتها جريدة (الفيحاء) الصادرة بتاريخ ٢٩
ايار ١٩٥٠ .

لا أستطيع أن أسجل لهذا اليوم اكثر مما سجله لنفسه ، فهو ذكرى المعركة الحاسمة التي شنها الفرنسيون على هذه البلاد واختتموا بها نضال خمسة وعشرين عاما ، فسددوا آخر سهم في كنانتهم للقضاء عليها وانتزاع استقلالها الذي اصبح يومئذ ماثلا للعيان في داخل البلاد وخارجها ، ولم يلجأوا الى هذا العمل المريع الا بعد أن يئسوا من الوصول إلى أغراضهم التي بذلوا في سبيلها كل ما استطاعوا من ضغط عسكري ودبلوماسي .

وقد لقيت سورية عطفاً كبيراً في جميع الاوساط الدولية لايضاهيه الا مالقيه العدوان على شعب آمن من غضب واستنكار ، وكان رئيس الجمهورية المناضل الكبير السيد شكري القوتلي يمد البـــلاد بصبره وثباته وايمانه ، فزادها صبراً وثباتاً وايماناً ، حتى انجلت المعركة التي قادها الرعيل الاول - نعم الرعيل الاول - وخاض غمارها كثير من الابطال والشهداء الذين انضووا تحت لواء الوطن ، عن فوز مبـين باهر ، طويت فيه صحائف الاستعمار الحالكة من سورية بعد نضال وجهاد وثورات ودماء وثبات وصبر على البلاء .

واذا كانت فرنسة الآن قد اصبحت بالعرف الدولي من الدول الصديقة ، فان ذكرى هذه الايام المريرة لن تبرح الخواطر . والصداقة بيننا وبينها لن تصبح حقيقة واقعية الا اذا عدلت عن سياستها الاستعمارية كذلك في الاقطار العربية الافريقية العزيزة التي لا نستطيع ان نغفل عما يجري فيها من احداث ، ولا عما يبذله ابناؤها من جهود وتضحيات في سبيل الحرية والاستقلال .

لقد كان هذا اليوم لرجال الرعيل الاول كما كان لهم ما بعده قبل مضي سنة وهو يوم الجلاء ، وكانت لهم ايام غيرها غراء محجلة في تاريخ النضال القومي هي كالحلقة المفرغة التي يتصل اولها بآخرها وما كنت احب ان اذكر ذلك ولا ان أفخر به لانه قيام بأقدس واجب ، ولكن هذا النكران الذي يعمل البعض على نشره واذاعته حتى تغمط الفضائل وتنكر التضحيات وتجحد الحقوق ليس مما يجدر بامة تريد ان يكتب لها البقاء وقد عمل اولئك الرجال ماعملوه في سبيل بلادهم فحفظوا استقلالها ورفعوا رأسها وصانوا جيشها وسلموها حرة طليقة في جميع شئونها ، فمن ناظرهم في عمل كان مثلهم ، ومن زادهم في فضل لم ينكروه عليه ، ومن قصر عنهم في واجب لم يتحدوه ، فما بال فريق من الذين ليس لهم في خدمة هذا الوطن سابقة ، ايام كان الوطن محفوفا بالاخطار والمكاره ، والعمل لمقاومة الاجنبي وأعوانه ومقاومة طغيانه ليس من ورائه الا المنافي والسجون والارزاء والاوصاب ، فما بال هؤلاء الادعياء لا شأن لهم الا تشويه المحاسن وتوجيه المطاعن ! وكفران النعم والدعوة الى تشويه العمل الصالح والجهاد المقدس ؟

هل يسترون من السماء نجومها بأكفهم او يطمسون هلالها بأيديهم ؟ ونحن الآن بحاجة الى غير هذه المنازعات والمشاحنات فالاخطار التي تحيط بنا هي فوق التلهي بسفاسف الامور ، وإني لاوجه كلامي الى كل من له قلب او ألقى السمع وهو شهيد والى كل من يهمه مصير أمته وبلاده من خاصة وعامة ، حاكمين ومحكومين من اصحاب الضمائر ، من الذين يتقون الله في مستقبل اولادهم وأحفادهم ، ولا بد لي بهذه المناسبة ان استعرض موقفنا على حقيقته ، لا كما نحب ان نقول ، ولا كما يحب أن يصوره الخصوم .

ان سورية منذ اربعة عشر شهراً تحكم حكما يسميه المراقبون المحايدون من ساسة البلاد العربية أنه غير مستقر ولا آمن وان البلاد تتخبط تخبطاً عجيباً ليس فيها أساليب ديموقراطية ولا حكومات منسجمة ولا وزارات مؤتلفة ، وقد زجت في مشاكل وضع دستور جديد ، لم تستطع ان تخرج منها حتى الآن ، فاثيرت خلافات بين ابناء الوطن الواحد وكنا بمندوحة غن اثارتها ، وأخذت الدعوات الخطرة تتصاعد من بعض المسئولين إلى مبادىء غريبة عنا ، تزيد في قلق سياستنا واضطراب امورنا وتكاثر خصوماتنا ، حتى اصبحت بلادنا موضع الحذر وموضع الشك وتعرضت الى اخطار لا يمكن تقدير نتائجها منذ الآن .

وفي غمرة الاحداث اقبلنا باستخفاف لاحد له على تقرير مبدأ الانفصال عن لبنان الذي هو منا ونحن منه لحماً ودما ، فماذا كانت آثار هذه الخطة الاقتصادية واللاوطنية التي قام البعض باتباعها والدعوة اليها ، والقينا فيها بأنفسنا في بيداء مجهولة من نتائج سياسية وأخطار وطنية واقتصادية ،

وهل نستطيع ان ننكر التصدع السياسي الذي نشأ عن هذا الانفصال الاقتصادي في المستقبل القريب او البعيد ؟

والأغرب ان هذه الخطوات السريعة في توسيع شقة الخلاف بين سورية ولبنان جاءت في الزمن الذي يعمل فيه لانجاز قواعد الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية ، فضربنا مثلا بما صنعناه على ان هذه المساعي عقيمة من جميع الوجوه ، وان اعمالنا تذهب سدى في تناقضها بين الدعوة إلى الشيء والعمل بضده ، فلا عجب اذا لم نكن موضع احترام الدول العربية الاخرى ، ولم ينجح الدفاع المشترك ، ولم ينجز التعاون الاقتصادي ، وبقيت جامعة الدول العربية تأخذ وترد في وضع النصوص وبحث المواضيع بضعة اشهر ، لاننا هنا وهنا لانجد في امورنا ولا نتوسل للنجاح بوسائله الجدية ، التي تعتمد على الرأي والخبرة لا على ارتجال الخطط والمناهج .

وهنالك المشكلة بل الكارثة الفلسطينية التي يظهر اننا وسائر الدول العربية قنعنا بما صارت اليه ، فلم يبق لدينا مانعمله الا ان يخاصم بعضنا بعضاً ، ونسينا الخطر الداهم الذي هو على مقربة منا ، ونحن نظن اننا ندفعه بغفلتنا او تغافلنا .

وإذا قلنا مشكلة فلسطين فينبغي ان نعلم ان ذيولها وعواقبها خطرة على سورية ومنها شرقي الاردن اكثر من سائر البلاد العربية ، واذا كانت البلاد السورية قد بذلت كل طاقتها ليحتفظ سكان فلسطين ببلادهم وعروبتها ، فنحن لا نحب ان يحمل بعضنا مسئولية الفشل بعضاً آخر - كما هي العادة

في مثل هذه الاحوال ـ وأكتفي بالقول بانه لو نجحت المساعي وكتب لأصحابها الفوز لعقدت على مفارقهم أكاليل الظفر ، فاما الآن وقد اخفقت المساعي التي بذلت بوسائلها المختلفة ونواياها المضطربة وتناقضها العجيب فلا يجوز أن نطأطيء رؤوسنا وان نتخاذل ويتخذ بعضنا بعضاً عدواً . فالعدو الحقيقي الذي يتربص بنا الدوائر يستفيد وحده من الخلاف وينعم به ويستثمره ضد بلادنا في القول والعمل ونحن لاهون .

ان معالجة هذا الامر الخطير تستلزم تقارب العرب لا تباعدهم وتعاونهم لا تخاذلهم والالتفاف حول جامعتهم العربية بصدق واخلاص وتجرد وايمان ، وتقديمهم الاهم في مشروعاتهم السياسية بالنسبة لهم جميعاً لا المهم بالنسبة لكل جزء من أجزائهم ولعل الدول العربية لا تحب ان تعرف حقيقة موقفها اليوم ، كما انها لم تكن تحب ان تعرف حقيقة موقفها بالامس ، وإذا كانت تعرف ذلك فهي على الاقل لا تسعى لما تريده بالوسائل التي تحققه ، كما نراه الآن والاسف المرير يملأ نفوسنا .

ان العدوان الذي نحن اليوم بصدد ذكرى القضاء عليه ، لم يبعث في قلوبنا ما كان ينبغي ان يبعثه من بهجة وغبطة بسبب الاحداث التي تلته في فلسطين وتخاذل البلاد العربية ، وما آل اليه الامر في سورية العزيزة فغيرها حالا بعد حال وأبعد عنها الاطمئنان والاستقرار ولعل الآلام الممضة التي نشعر بها تبعث في نفوسنا النشاط والحياة والدأب حتى نعيد لهذه البلاد أملا فقدته ، وعزاً أضاعته ، وحتى

تستعيد سورية مكانتها الاولى وسيرتها المثلى واستقرارها المضاع واستقلالها الذي نبذل في سبيل المحافظة عليه ماعز وهان ، ونعمل مخلصين في المحافظة على نظامنا الجمهوري على ان نلم الشعث ونجمع الشمل ونبعد عن نفوسنا الاحقاد والضغائن ونسمو باخلاقنا عن الاشتغال بالقشور دون اللباب ، وفي هذا فصل الخطاب والسلام .

عبد الحميد كرامي

الخطاب الذي القاه صاحب هذه الذكريات في حفلة تأبين الفقيد الكبير عبد الحميد كرامي رحمه الله عداه حساناه في ٢٩ ربيع الاول ١٣٧٠ وفق ٧ كانون الثاني ١٩٥١ في مدينة طرابلس .

عرفته منذ ثلاثين سنة ونيف وخبرته في مختلف الظروف والمناسبات ، وجالسته في السراء والضراء ، وتحدثت اليه في أحوالنا العامة والخاصة وما تعاقب على هذه البلاد في مدى ثلث قرن من محن وارزاء ونعم ورخاء ، فكان حصاد هذه الخبرة الطويلة ان رأيت فيه رجل التضحية والايثار والاستقامة والنزاهة في معالجة المشكلات وممارسة الاحكام . والايمان الكامل بحق امتـــه وبلاده ، والصبر على المكاره في جميع مراحل حياته الحافلة بالمكارم وأنواع الجهاد ، فكان له من هـــذه الخلال قوة الزعامة الحقيقية بين أهله واخوانه وعشيرته وبني وطنه على اختلاف نحلهم ومذاهبهم وأديانهم .

وقل ان رأيت زعيما تعنو له الرؤوس ، وتلتف حوله القلوب ، وتذعن لكلمته الجماهير من الخاصة والعامة مثل عبد الحميد كرامي ذلك لأنه كان رحمه الله يتمتع بكثير من الصفات السامية ، والاخلاق الفاضلة ، وأخصها التضحية والاستقامة والايمان .

اما (التضحية) ففي سبيل عقيدته الوطنية ومبدئه القومي فقـــد

نادي منذ أفل نجم فيصل الاول رحمه الله عن هذه البلاد مع اخوانه الوطنيين العاملين في سوريا ولبنـان بحق هذه البلاد ، والدعوة إلى بذل ما عزّ وهان لتحقيق استقلالها وحريتها ووحدتها ومقاومة الاجنبي المغتصب ، فكان هو وبيته الكريم واخوانـه في الشمال الذين آمنوا بدعوته وساهموا معه في نضاله القوة اللاّئبة لمقاومة المحتل وأعوانه لم يضعف ولم يتردد ولم يهادن او يتودد ، بل كان صلب العقيدة ، قوي الشكيمة ، شديد البأس في محاربة من كان عوناً للاجنبي على بلاده ومقاومة التفرقة ومحاربة الدعوة لهذه الاقليمية الضيقة .

وكان الصخرة الصماء امام اخطار الاستعمار والمستعمرين ، والعقبة الكأداء دون تحقيق أمانيهم وأغراضهم . وقـد حاربوه بجميع قوى الشر ، وقاوموه بجميع وسائل الباطل ، وسلطوا عليه وعلى اخوانـه واشقائه الحديد والنار مراراً ، وشجعوا الاوغاد والاشرار عليـه ، وعطلوا مصالحه ومزارعه وصادروها سنين وأعواما . ولكنهم لم ينالوا منه إلا الصد والاعراض والدأب والثبات لمعارضة مشاريعهم ومقاومة أساليبهم ، ومحاربة خططهم مهما كلفه ذلك من جهد وبذل ومال ودماء .

والموقف ياسادتي لايسعني لتعداد هذه المآثر وتفصيل هذه المفاخر وأكثركم يعلم منها القليل او الكثير في الماضي القريب او البعيـــد فكانت هذه التضحية بمعناها الحقيقي سراً من أسرار عظمته وزعامته .

وأما (الاستقامة) فهي الصفة الثانية التي عددتها افقيدنا العزيز ، فهي من الخلال التي رافقته في جميع ادوار حياته ، ومراحل جهاده ولا أعتقد ان الجماهير انقادت لزعيم لها اذا لم تكن مؤمنة بنزاهته واستقامته ، النزاهة بالقصد ، والاستقامة بالعمل .

فقد مارس عبد الحميد كرامي الاعمال العامة في الاحوال السلبية والايجابية . وكان المثل الاعلى في نزاهته وترفعه عن الدنايا ، واستقامته التامة في معالجة الصعاب والمشكلات وبعده عن الريب والشبهات في جميع مراحل الحياة ، وإني لأعرف الكثير من الحوادث التي تدل على مبلغ تمسكه بخلق الاستقامة وصدق القالة ولكن مجال القول الآن لا يسمح لتعدادها ، ولكنه لابد من التنويه بها لتكون المثل الصالح للشباب والاعقاب .

وأما (الايمان) وهو الصفة الثالثة التي أجملتها في مطلع خطابي هذا لفقيدنا الغالي ، هذا الايمان هو الذي يخلق الزعامة والتي يكونها ، ذلك لان صاحبه يعمل بقوة وحي ايمانه لخدمة امته وبلاده ويندفع في هذا السبيل دون تكلف او تصنع أو تصدع .

وأصحاب الايمان الذين يقومون بالدعوة لما يؤمنون به ، يتعرضون للكثير من النوازل والكوارث والمصائب والصعاب ، ولكنهم يتحملونها بصبر وقوة وجلد ، والمؤمنون هم الذين يتحلون بصفات الشجاعة والاقدام ، والرجولة الحقة والقوة بحق دعوتهم دون تلجلج او ضعف .

ولقد كان فقيدنا الفذ ذلك الرجل المؤمن الصابر الشجاع ، فلقد احتمل الأذى والعدوان في سبيل دعوته وتعرض رضي الله عنه للمنافي والسجون ، وكان هدفا للمؤامرات الدنيئة على حياته وحتى على حياة اشقائه واخوانه لينالوا من هذا الايمان ، ويضعفوا من جذوته المتقدة ، ورجولته الكاملة ، ولكنهم باءوا بالخزي والعار والفشل والفرار .

وتاريخ نهضات الامم ينبئنا بان الايمان : الايمان الصحيح يدك

الراسيات من الجبال ، وانه هو دعامة القوة والنجاح ، وان تكتب الغلبة والانتشار والنصر لأية دعوة إلا إذا كان صاحبها مؤمناً بها ايمانه بالله وكان ايمان عبد الحميد كرامي من هذا الطراز .

وبعد : بماذا احدثكم عما اعرف عن قوة عارضته ، واشراق حجته ، وجمال احاديثه ، وتواضعه الجم ، واسلوبه الأخاذ ؟ بهذه الاخلاق الفاضلة كان فقيدنا الراحل العظيم يدعو لمبادئه الوطنية ، ويبشر بغاياته القومية ، ويعلم الناس معاني الحرية والاستقلال والوحدة ، وكانت هذه مثله العليا يعمل في سبيلها ويجاهد لأجلها وسلاحه في كل ذلك ، وعدته في هذه الحياة هي هذه الخلال السامية : التضحية والاستقامة والايمان .

رحم الله فقيدنا الكبير عداد حسناته ، وألهمنا الاقتداء بحسن سيرته ، وانا لله وانا اليه راجعون .

نجيب الريس في زحمة الخطوب !

طلبت ادارة تحرير القبس كلمة من السيد لطفي الحفار بمناسبة مرور سنتين على وفاة المرحوم نجيب الريس فقيد الصحافة والوطنية فأرسل اليها المقال الآتي الذي نشر في العدد الخاص من جريدة (القبس) الصادرة بتاريخ ١٠ شباط ١٩٥٤ .

في زحمة النضال الوطني ومقاومة الاجنبي ايام احتلال فرنسا لسوريا وبعد القضاء على حركة الملك فيصل في هذه البلاد .

في سنة ١٩٢٢ فيما اذكر دخل علينا شاب لايزال في ميعة الصبا ونحن جلوس في مكتب المرحوم المبرور فوزي الغزي نتداول ونبحث فيما يجب عمله لمقاومة هذا الاحتلال الاجنبي ، وكان هذا المكتب مكان اجتماع الاخوان الوطنيين ، دخل هذا الشاب الذى لم نكن نعرفه من قبل وقال : هل من اخبار ؟ فقلنا له من أنت ؟ فأجاب أنا مخبر الصحف المحلية هنا ، فأجبناه بالنفي ، ولم نأبه له ، ثم كرر هذه الزيارات والطلبات ، وكررنا له الاعراض وعدم الاهتمام .

اذكر هذه الحادثة جيداً ، لاقارن بينها وبين ماوصل اليه فقيدنا الغالي من المكانة الرفيعة والثقة في أخلاقه ومبادئه الوطنية وإيمانه القومي ، ثم تابع عمله الصحفي كمخبر ، ثم بدأ يكتب مقالاته وتعليقاته بشكل ينم عن قوة وإيمان ، فانتبهنا له ، وأكبرنا شأنه ،

وبدأت مواهبه تظهر ، ووطنيته تتقد ، وايمانه بحق امته وبلاده يشع بين سطور مقالاته وتعليقاته وأخباره ، حتى انه في مدة وجيزة من اعماله الصحفية ، وملازمته للحلقات الوطنية التي كانت تعقد في اماكن مختلفة في دور الاخوان ومكاتبهم للقيام بواجب الدعاية ومقارعة الاجنبي في اعماله والجرأة في ذلك دون تردد او ضعف ، مما لفت الانظار اليه ، وأصبح موضع الثقة والاهتمام والمشاركة في الاجتماعات والابحاث والتضحيات حتى انتهى به المطاف في سني الاحتلال الاولى الى سجن ارواد مع اخوانه الذي كان من بينهم أصغرهم سناً .

وبذلك تخطى الصفوف من بين زملائه الصحفيين وقتئذ ، وأصبح الكاتب الوطني المؤمن الذي يشار اليه بالبنان ، بما تمتاز مقالاته من روح القوة والايمان وحسن البيان .

وبذلك اصبح عضواً عاملا بين الوطنيين المناضلين ، ثم بين رجال الكتلة الوطنية ، ولم يكن ذلك لأن مواهبه الادبية وكتاباته القوية كانت تعد في الطليعة بحسن الاسلوب وقوة الاداء او انه اصبح يعد من بين الكتاب والادباء ، لم يكن هذا وحده يوصله الى ما كان يتمتع به من مقام واحترام ، ولكن ايمانه الوطني وصلابة عقيدته القومية وثباته دون تردد او تلون او ضعف جعله بطبيعة الحال من الوطنيين الموثوقين .

فقد كان رحمه الله حينما يكتب في قبسه مقالاته الوطنية والسياسية كان يقتبسها من روحه الوثابة وايمانه العميق في الدفاع عن حق امته وبلاده دون هوادة او لين .

وكان من أحب الاشياء اليه الاشادة بامجاد أمته العربية ، والدعوة الى العمل في جميع الوسائل لاستعادة كرامتها وأمجادها ، وكانت عقيدته القومية عقيدة القومي المؤمن الواعي الذي يستلهم مثلها العليا من التاريخ الصحيح والتمكن من دراسته دراسة وافية ، ومن التضلع في لغته العربية ومتابعة دراستها بلذة وشوق وفهم ، وكلما تعمق في هذه الدراسات التاريخية والادبية واللغوية ازداد ايماناً بامته وسمو آثارها وجمال لغتها ، حتى انه كان يحفظ المتنبي وشوقي وغيرهما ، وعرف باستشهاداته الشعرية الجميلة التي كان يختم بها مقالاته الرائعة طبقاً للمعنى والغاية المقصودة في المقال .

وهذا شأن القومي الواعي الذي يؤمن عن علم ومعرفة ودراسة وتتبع ، وهو ما أدعو اليه شبابنا المثقف ، وجيلنا الناشيء او الصاعد كما يقولون .

أدعوه للتمكن من دراسة تاريخ أمته وبلاده وأمجادها وأعمال رجالها والفاتحين الابطال منها ونبوغ أدبائها ، وروائع شعرائها والتعمق لمعرفة كتابها وأدبائها النابغين ، وما خلفوه من آثار ثمينة وكنوز دفينة ليزداد ايماناً بعظمة أمته ويفاخر بمآثرها وآثارها عن علم وفهم وذوق دقيق ، ولا يكون ذلك الا بعد هذه الدراسات الوافية النافعة . وما ألذها من دراسات ، وما أجملها حينما يتذوقها ويفهمها حق الفهم ، وبذلك يحسن الاقتداء ويجمل الاحتذاء .

والامم اذا لم تتصل اصولها وجذورها بالماضي المجيد والمفاخر السامية ، والآثار العلمية والادبية والفنية الرائعة ، فلا يرجى منها

خير ، ولا تستطيع ان تنشيء دولتها ومستقبلها على اساس مكين ، وكل بناء إذا لم يكن له هذا الاساس الذي يبنى على العلم والفهم والدرس يخشى عليه من الانهيار .

وهكذا كان فقيدنا الغالي رحمه الله عداد حسناته المؤمن الصادق في حق أمته وبلاده ، وهذا هو سر هذه الذكرى التي لا تمحوها الايام ، ولا تبلى مع تقادم الازمان ، وستبقى آثاره التي كانت تهز النفوس ، وترهب العدو وتقوي الآمال ، وينتظرها القراء بشوق واعجاب نبراساً يهتدى به ، وقبساً يستضاء بنوره .

الخاتمة

كما ان لكل كتاب ، بل لكل عمل بدايته ونهايته ، كذلك كان للذكريات فاتحتها ، وها هي الخاتمة التي تستقرّ عندها لتكون الغاية التي ينتهي منها واليها القارىء الكريم .

وخاتمة الكتاب خلاصته وزبدة ما اشتمل عليه ومُلخّص ما خرج منه الفكر والحس ، بعد طول المطاف وتنوّع القطاف . فهي اذن الغاية ثم هي آخراً مقياس الحكم للحكم الجزم . وكثيراً ما اعتمدت في مطالعاتي ونقدي الأدبي فواتح المؤلفات او خواتيمها فتكشفت لي عن حقيقتها وشخصية أصحابها بما يوحي ويغني ويفيد ... ذلك بأن الروح المسيطرة تتجلّى فيها واضحة على أتمّها وتكون هذه الروح بمثابة العين من الانسان ينفذ منها الفكر الى العالم الداخلي بما لا تفصح عنه بقية الحواس الاخرى .

والخلاصة الخالصة من « ذكريات » الحفار أنها دروس في علوم شتى : في التاريخ والسياسة القومية وفي الاقتصاد والاجتماع وفي العمران والاخلاق وفي كثير غيرها مما يجعلها سفراً جامعاً بل صورة رائعة للحياة العربية والسورية في مطلع قرننا الحاضر ، والتطور الذي مرّ عليها في هذه النواحي في السنين الخالية . والشباب الناشىء على الغالب في اشد الحاجة للاطلاع ودرس هذا التطور الذي طرأ على البلاد .

وهي في خطورتها هـــذه التستنبطين في الوقت ذاته فوائدها المرجوة عن قرب وبُعد .

فوائدها في الاحياء المعاصرين وبخاصة الجيل الجديد الذي يُهمّه استكناه الماضي القريب من تطور بلاده وجهاد رجاله . وفوائدها للتاريخ البعيد الذي سيلتمّس في غمار الاقوال والاحكام وجهَ الحقيقة فيقع من هذه الذكريات على الكثير الكثير مما يَعنيه ويكشف له عما قصد اليه . إن في هذا الكتاب تصويراً لأدقّ مرحلةٍ من تاريخنا الناهض بعد طول السبات ، والمتحرر بعد طول الاستعباد ، والمُتطوّر بعد طول الجمود والخمود .

وما أسرعَ النسيانَ الى الانسان حتى لتُفلت من ذاكرته وقائع أمسه ويومه فما بالك بما بَعُد به العهد ، وخالطه التمويه وسوء القصد ، وبُذِلَ في طمسهِ مُنتهى الجُهد ؟ إننا بحاجة الى التذكير للتغلب على آفة الغفلة عمّا يُفيدنا استرجاعُ ادراكه من الحقيقة التي أثبتتها التجربة والتي تفيدنا في مستقبلنا كقياس صحيح ودليل ناصح واضح . ولا شيءَ أعونُ على ذلك من هذه الذكريات النافعة اي من الحديث عن الماضي بخيره وشره وبما له وعليه ، فنستنتج ما مرّت طوال السنين في سبيل استقراره وما بُذِلت شتى المجهودات في انتظاره . ولنا أن نذكر موقفنا من العالم والتآمر الذي يَحفّنا ابداً لطمس تاريخنا ونَفْي قوميتنا والدسّ على تقاليدنا وأمجادنا ممّا يُشوّهها ويطمس معالمها لتقطع الصلة بها ، فادّكارُ مقوماتنا على وجهها الصحيح لاسبيل اليه الا بالأقلام النزيهة ، وأين هذه الاقلام اذا لم تكن أقلام الخُلّصِ من أفذاذنا الذين عمرت قلوبهم بالايمان والوفاء للحقيقة والوطن في آن

واحد ؟ وعاصروا حوادثها في مختلف الظروف والاحوال . وهكذا يسفر لنا وجهُ الخطورة في ذكريات الحفار ، فقد تحدث فيها حديث الوقائع الراهنة وحديث الحق والصدق وحديث القائد يصف المعركة بعد إذ خاض غمارها بنفسه وبلا فيها مايبلوه أمثاله واستكنه كل ما حفّ بها ولابسها . وهو ما لا نجده في حديث سواه ممّن يصطنع الخيال مادةً او يكتب بسائق من الطمع المادي او التزوير السياسي .

وتطّرد خطورةُ الذكريات لتكون توجيهاً وايحاءً ولتكون فوق ذلك تصويباً وتصحيحاً . فلشدّ ماحرص صاحبها على التركيز والتذكير في كثير من المناسبات التي تبعث على حب الاحتذاء وطلب العلاء ، واشدّ ما نصح مصوبا في كثير من الحوادث والاحداث التي خالطها الوهم وتناولتها ايدي التحوير والتغيير بما لا يتفق مع الحق . ذلك ما نلمسه في الذكريات شائعاً كالنور ينفلّ مُدلَهمّات الظلام كالحديث عن الدعوة القومية وعن مشروع مياه عين الفيجة وعن القضايا الحركية وعن الشؤون التجارية والمالية والصناعية وعن الجهاد الوطني والمؤامرات السياسية وعن المجاهدين من الرعيل الاول . وما الى ذلك ، وما اكثره !

فاذا انتقلت الى الشخصية ، شخصية صاحب الذكريات ، وقعت على مايُعجب ويُطرب . وقعتَ على الايمان العامر بالوطن وخدمة الوطن وحبه والغيرةِ الشديدة عليه . ووقعتَ على التضحية بالشباب وبالحياة نفسها في سبيل رفعة العروبة وعزها ودرء الخطر عنها . ووقعت على النزاهة البريئة في الجهاد وبذل المجهودات . ووقعتَ على الرصانة قولا وعملا وعلى الشعور الراقي نوازع وميولاً . ثم وقعتَ على الجرأة في قول الحق ودحض الباطل في أدق المواقف وأخوف ما يخافها

الناس . هذا الى عزوف عن المراكز لايكون فيها الخير للوطن وأهله ، وتواضع رفيع لايؤتاه الا من استشرف الكمال وازدان بأشرف الخلال . ولئن أعدّدَ لك الامانة والوفاء والعزيمة الماضية والكياسة في كافة الاخلاق فقد عُرِف بذلك صاحب الذكريات وشهد له به حتى الخصوم ، والفضل ما شهدت به الاعداء .

ويقيني ان من يطالع الذكريات تطالعه شخصية فذة غنية بتجارب الحياة ، وهي التي توجتها العصامية بتاجها المرصّع كما رفعتها الآلام والخطوب الى مرتبة القادرين والابطال النادرين .

لقد اشترى الحفار شهرته بأغلى أثمانها شأن أمثاله ممن يجدّون ويجاهدون ويضحّون ويفادون فتسعى اليهم الشهرة صاغرة على رأسها ، ومع ذلك فلا تزيدهم الا مضياً في الجهاد ومضاء في العزيمة .

لقد نشرتُ هذه « الذكريات » وعُنيت باخراجها وكان لي شرف تدقيقها وتحقيقها ، وها أنذا اعترف للحق لا سواه بأنها خير ماصدر في معناها ، وخير مايُرجى فيه الفائدة عن تاريخ سورية العربية في جهادها وجهودها كما ان صاحبها خير من يعتزّ بهم تاريخنا الحديث لأنه من خيرة العاملين وفي الطليعة الاولى في قافلة المناضلين الخالدين .

وجيه بيضون

فهرس

المجلد الثاني من كتاب (ذكريات)

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تصويب

المجلد الثاني من كتاب (ذكريات)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠	٢٢	الجلس	الجالس
٤٤	٠٨	لنا	لها
٤٧	١٩	مع الاخ فارس الخوري	مع الاخوين فارس الخوري وحسني البرازي
٥٨	٠٤	خلاء	اخلاء
٦٣	٠١	المعارضه	المعارض
٧٨	٠٧	وهي لا تعمل	وهي تعمل
٩٧	٠٤	مستثمراً	مستمراً
١٧٦	٠٥	تطلب	تطالب
١٩٥	١	تأبين المرحوم الملك فيصل	تأبين المرحوم الملك غازي
١٩٩	١	غاري	غازي
٢٠٦	١٨	تنظر	تنتظر
٢٣٨	١	من هم المينون	من هم المعنيّون
٢٥٣	١٢	وما لم	وهو مالم
٢٦٨	٨	المستقبل	المستقل
٢٧٥	٩	الحقيقه	الحقبه